زد

تأليف

فاسيلي فاسيليكوس

ترجمة : موسى بدوى

Amly
http://arabiccivilization2.blogspot.com

زِد

تاليف : ڤاسيلى ڤاسيليكوس
ترجمة : مــوسى بــدوى

القسم الاول

من الساعة السابعة والنصف ...
الى الساعة العاشرة والنصف ...
ذات مساء من شهر مايو

Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com

— ١ —

تطلع الجنرال الى ساعته فى اللحظة التى كان فيها الخطيب الرئيسى فى الحفل ، وهو وزير الدولة لشئون الزراعة ، يختتم الخطاب الذى يلقيه عن الاجراءات التى يتعين اتخاذها ، للوقاية من مرض العفونة الفطرية .

آلا أن الوزير أخذ يطيل فى هذه الخاتمة ، وبدا كأنه لا يريد الانتهاء ...

وبدل الجنرال وضع ساقيه ، فعاد بالساق اليمنى فوق اليسرى . كان صدره قد بدأ يضيق ازاء هذا الفيض من حديث الوزير ، الذى استطرد بعد أن ارتشف بعض الماء من الكوب الذى أمر رئيس مكتبه أحد السقاة باحضاره ، اذ كانت الحرارة فى ذلك اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو ١٩٦٣ قد ارتفعت الى درجة فظيعة منذ أكثر من أسبوع ، الأمر الذى كان يهدد بجفاف لسان الوزير ، وعدم وضوح كلمات خطابه ، ومضى يقول :

— ولكى نتقى الاصابة بهذا المرض ، علينا أن نرش الكروم بمحلول يتكون من خليط السلفات والملاح النحاس ...

وأخذ الحاضرون ، وهم من حكام المدن وقادة البوليس ، يغالبون النعاس . لقد كان الوزير زلق اللسان ، غير أنه كان يتحدث كما لو أنه يختبر للمره

الأولى قدرته على الكلام ، كما أنه كان يستخدم ألفاظا علمية جافة ، ثقيلة على الأسماع .

والواقع انه ما الذى يهمهم من مرض العفونة الفطرية ؟

ان هذا الوزير يبدو كأنه لا يعرف أن زراعة الكروم فى مقدونيا ، ولا سيما فى سالونيك حيث يعقد هذا الاجتماع ، ليس لها الدور الرئيسى فى الدائرة الانتخابية التى رشح نفسه فيها . انما الذى يهتم له الجميع هو زراعة الطباق ، والوزير لم يتطرق اليه فى حديثه على الاطلاق .

أما هم ، فانهم يعرفون جيدا ماذا يهتم له القوم فى هذه المنطقة . فبغير أن يقفوا كثيرا عندما يسمى بالعفونة الفطرية ، يعلمون أن الأمر يتعلق بمرض يجىء مباشرة من بلاد الشرق ، مما روج لنجاح محاولات مكافحة الشيوعية ، اذ وجدت هذه المحاولات آذانا صاغية لدى أعداد كبيرة من الفلاحين ، ولكن ليس جميعهم . غير أنه كان لا يزال هناك موضوع لايمكن المجادلة فيه ، هو أن مرض العفونة الفطرية الذى أخذ ينتشر فى الحقول ، ويدمر المحاصيل ، انما كان قد ظهر للمرة الأولى فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه الشيوعية . ان الاثنين فى عمر واحد .. فكانت المنشورات التى تلقيها الطائرات ، التى كان من الأجدى أن تستخدم فى رش المبيدات الحشرية على حقول زراعة الطباق ، تقول فى حروف حمراء ضخمة ان العفونة هى مرض شيوعى .

كان مديرو الزراعة فى شمال اليونان وحدهم ، هم الذين يتابعون باهتمام ذلك التحليل العلمى الذى يدلى

به الوزير ، فلما انتهى منه ، تردد فى المكان تصفيق خافت ، بينما أخذ هو يهبط من فوق منصة الخطابة.

ونهض الجنرال ، وتريث حتى جلس الوزير فى مكانه بين الحاضرين ، ثم اتجه الى المنصة واستدار الى الحاضرين وقال :

— اننى أنتهز هذه المناسبة بدورى ، لكى اضيف الى ما شرحه الوزير بضع كلمات . ولسوف أحدثكم عن مرض العفونة الخاص بنا ، وهو الشيوعية . ان هذه فرصة نادرة بالنسبة لى ، بوصفى المشرف الأعلى على قوات الأمن فى اليونان ، ولذلك فاننى سأتحدث اليكم ، باعتباركم خدام الدولة ، عن العفونة المذهبية التى تعيش فى بلادنا حاليا ...

اننى لا أشعر شخصيا بعداء نحو الشيوعيين ، وكنت دائما على استعداد لكى أقدم لهم أى مساعدة ، وأى توجيه ، لكى يعودوا الى طريق الوطنية . ذلك أننا جميعا ندرك ، أن اليونا والشيوعية أمران لا يتفقان ، حتى فى جوهرهما ...

لذلك فان الشيوعية يجب أن تقاوم ، مثلها مثل العفونة الفطرية ، وهى مثلها نتيجة لعناصر طفيلية. وكما أن العفونة الفطرية تعالج بالرش بالمبيدات الحشرية ، فان الرجال أيضا يتعين علاجهم بالمطهرات الملائمة . والمدارس فى هذه الحالة ، هى المرحلة الأولى ...

حقا ان هناك من الطلبة والعمال والشباب من لديه الكثير من المشكلات ، ولكن اذا نحن نجحنا فى تطهيرهم ، فلسوف يكون عسيرا بل مستحيلا على مرض العفونة الشيوعية أن ينتشر فى شجرة الحرية اليونانية المقدسة ...

وعلت عاصفة من التصفيق غطت على عبارة الجنرال الأخيرة ، ثم انتهى الاجتماع . وفى نظام تام، نهض حكام الأقاليم ، وقادة البوليس ، ومديرو الوزارة من مقاعدهم ، واشتغل بعضهم لفافته ، وأخذوا ينسحبون استعدادا للخروج وراء رؤسائهم الكبار .

وفى الردهة اقترب رئيس مكتب الوزير من الجنرال، وانحنى انحناءة كبيرة وهو يشد على يده ، ثم سأله قائلا :

ـ الى أين أنت ذاهب الآن ؟

فأجاب الجنرال : الى المسرح .. لمشاهدة فرقا باليه بولشوى . لقد تلقيت دعوة ، ويجب أن أذهب غير أننى سأمر على مدير البوليس لأصحبه معى ، اذ أنه ...

وقاطعه رئيس مكتب الوزير فجأة قائلا وهو يتوقف وسط الردهة :

ـ انهم لم يرسلوا الى دعوة .

فصاح الجنرال الذى لم يكن يعبأ كثيرا برئيس مكتب الوزير ، اذ كان يرى فيه مجرد رجل يذهب ويجىء وفقا لما يراه الحكام ، وصادف خلال عمله العشرات من أمثاله : يا للأهمال !

وقال رئيس مكتب الوزير وهو يسير نحو الدرج الكبير المغطى بالأبسطة الحمراء :

ـ ترى ما الذى يأخذه المسرح الوطنى على الوزارة التى أعمل بها ؟

ـ لابد أنه نوع من الاهمال .. وعلى أى حال فانه سيكون مبعث سرور كبير لى أن أتنازل لك عن دعوتى.

ـ كلا يا سيدى الجنرال .

ـــ اذا كنت اقترح ذلك ، فانما لانه ليست بى على الاطلاق رغبة فى أن أذهب . واذا كنت قد قلت عكس ذلك من قبل ، فلأنى كنت افكر فى أن مدير قسم زراعة الأرز ، وهو ذلك الشيوعى السابق ، يصغى الينا .

فقال رئيس مكتب الوزير متسائلا :

ـــ هل كان هذا الشيوعى السابق يصغى الينا؟

ـــ فلنقل انه المتعاطف السابق مع الشيوعية . ان لدى اقرارا منه ، يندد فيه بالشيوعية وركائزها .

قال رئيس مكتب الوزير وهو يرافق الجنرال حتى الباب الخارجى للوزارة :

ـــ اننى أدرك ما تقول . انك لا تحتمل أن ترى اى شىء يجىء من بلاد الفاشية الحمراء ، حتى وان كان فى صورة الباليه .

ـــ كلا .. ان الأمر ليس ذلك ، فلقد تعلمت خلال مهنتى أن افرق بين الفن وبين الحياة . وانما لسبب آخـــر .

وخفض الجنرال من صوته ، فى اللحظة التى كان فيها الحارس يرفع السلاح تحية له ، وراح يهمس كما لو كان مشتركا فى مؤامرة :

ـــ ان أولئك الذين يسمون انفسهم بأنصار السلام، يعقدون هذا المساء اجتماعا ، سوف أحضره بوصفى متفرجا عاديا ، واستمع الى مناقشاتهم ، وأحاول الحصول على كلمة السر الجديدة لديهم . اذ لا يجب أن ننسى أن الدولة قد عهدت الينا بمهمة ثقيلة ، هى وقايتها من العدوى ، فواجبنا اذن أن نكون فى اى مكان . وهذا هو ما يجعلنى أتنازل لك عن دعوتى لحضور باليه بولشوى .

ـ لا تصر على ذلك يا سيدى الجنرال ، لانه يستحيل على قبولها . ولسوف أبعث باحتجاجى بالطريق الادارى .

وهم الجنرال بفتح باب سيارته . لقد كان منصبه يبيح له الحصول على سائق خاص ، ولكنه كان شغوفا بتولى القيادة بنفسه . وقد أوشك أن يدخل الى السيارة ، عندما ظهر الوزير على عتبة الوزارة، وراح يهبط درجاتها مسرعا ومعه حاشيته . وقد وصل الى مواجهة الجنرال ، عندما كان هذا يدير محرك سيارته ، فسأل الوزير وهو يخفض زجاج النافذة.

ـ هل تحب أن أصحبك معى ؟

فأجاب الوزير : أننى ذاهب الى المطار .

ـ ذلك من دواعى سرورى ، فاصعد اذن .

لم يكن فى الامكان رفض مثل هذه الدعوة ، من مثل هذا الرجل . ان من يحمل رتبة الجنرال له فائدة فى جميع الأحوال ، وخاصة اذا كان جنرالا فى البوليس. وانطلق الاثنان الى المطار .

وبينما كانا يعبران المدينة ، لاحظ الجنرال أن أضواء المساء قد أخذت فى الظهور على استحياء ، وأن شارات المرور لم تكن واضحة فى ذلك الغسق . وكان الليل الرائع الحار يهبط من السماء ، لكى يلف بسدوله تلك الأوامر السرية ، التى كان يتعين تنفيذها فى ذلك المساء . وأحس بنشوة لا شائبة فيها ، فالخطة قد وضعت بكل عناية ، وهو على وشك الحصول على أفضل دليل ، بأنه كان بعيدا عن مكان الحادث .

وراح يتحدث فى أمور كثيرة مع الوزير ، فوصلا الى المطار فى ذات اللحظة التى كانت فيها الطائرة ، وهى من طراز داكوتا دى سى ، تدير أول محركاتها ،

وهيكلها لا يزال ثابتا على الأرض . وكان جميع الركاب قد صعدوا اليها ، ولم يبق سوى اغلاق بابها .

ونظر الجنرال من سيارته الى الوزير وهو يصعد ومعه حاشيته الى الطائرة ، ثم سحبوا سلمها ، ودار محـــركها الثانى ، وتهـــادت حتى بلغت آخر مدرج الطيران .

وعاد الجنرال الى المدينة ، فى الساعة التى كانت فيها الأحداث على وشك الوقوع .

* * *

— ٣ —

رأى يانجوس ، وهو جالس على المقعد المرتفع فى مقدمة سيارة النقل ذات العجلات الثلاث ، هيكل الجنرال البارز العظام ، فاستعاد شعور الثقة ، اذ كانت الشجاعة قد بدأت تتخلى عنه .

وكلما كانت الساعة تقترب ، والوقوف من حوله يتدهور ، ارتفع صوت يهمس له قائلا :

— يانجوس .. لا تفعل .

حقا ان هذه هى المرة الأولى ، التى يسمع فيها مثل هذا الصوت يتردد فى داخله ، وهو يمتزج تماما بالضجيج المنبعث من المحرك ، الذى لم يكن قد وجد له بعد كاتما للصوت .

صحيح أنه يهيم بذلك ، وأن يكيل الضربات لأولئك الحمر ، بل انه كان يشعر من جراء هذه الضربات بسعادة تملأه حتى الأعماق . ولقد حدث فى المرة الأخيرة ، منذ ثلاثة أسابيع قبل ذلك ، فى أثناء الاحتفال وأعطوا الذين كانوا هناك درسا طيبا .

وهو يذكر جيدا ذلك الرجل الذى كان يرتدى عوينات ، ولا يعرف من أين انهالوا عليه ، فراح يصيح قائلا : لماذا تضربوننى ؟

ويومها رد عليه يانجوس ، وهو يوجه اليه ضربة على رأسه ، قائلا : لأن ذلك يسعدنى !

لقد كان ما حدث فى ذلك اليوم يزيل الصدأ عن النفس . فالهراوة تهبط مع الذراع ، والذراع يتحرك وفقا لما تمليه عليه الروح، والروح تنفذ تعليمات الرجل الذى يعرفونه باسم الزحافة البحرية ، وهذا يعمل وفقا لمبادىء هتلر ، وهو الوحيد الذى يقولون انه حاول تخليص العالم من الشيوعية .

* * *

غير انه فى هذا المساء ، وهو جالس فى سيارة النقل ذات العجلات الثلاث ، باحساس غريب ، يشبه الشعور الذى يراود الفارس ، الذى يعرف أن ماسيقدم عليه يتوقف على الجواد الذى يمتطيه .

لقد كان يعرف سيارته طراز بينفر ، وهو يحبها حب عبادة ، ويحب أقل مسمار فيها ، ويعرف كل نزواتها، ابتداء من مفتاح الادارة ، حتى جهاز عداد المسافات.

أما المحرك الذى ركبه لها من طراز فولكس فاجن، فانه كان يعمل بصورة تدعو الى الاعجاب . ولم يكن يخشى قط ان تتعطل فيها فرامل ، أو ينخلع منها شىء. لم يكن ما يزعجه هو عدم الثقة فى سيارته ، وانما ما كان يخافه هو الا يستطيع أن يضرب ، والا يتمكن من استخدام ذراعيه .

وفضلا عن ذلك ، فانه اذا كان يقوم بهذا العمل، فهو يقوم به من أجل هذه السيارة ، التى هى وسيلته الوحيدة للعيش ، والتى هى رفيق مخلص له فى حياته اليومية ، وتتيح له أن يكسب خبزه الذى يشبه به أفواه ابنائه الخمسة

لقد كان لا يزال فى حاجة الى عشرة آلاف وراخمة، لكى يسدد حساب أرستيد ، شريكه فى السيارة . كان الاثنان قد اشترياها مناصفة ، ولكنه هو ، يانجوس الذى يشتغل عليها ، ثم يعطى شريكه نصيبه من عرقه.

وقليلا قليلا أصبح العبء كله واقعا على كاهله، بينما الآخر لا يتعب ، ولا يقوم بأى عمل . حقا أن أرستيد فتى طيب ، ولكن بأى حق يأخذ ذلك المبلغ ؟

والواقع ، من الذى يتعرض فى كل لحظة للخطر ، وسط سيارات النقل الضخمة ، وسيارات الركاب ، والسيارات العسكرية ، التى كانت تعرضه للموت ؟ ومن الذى يعيش كما لو كان يمشى على حافة الموسى؟ انه يانجوس ، ويانجوس وحده .

أما أرستيد ، فهو لا يصنع شيئا ، انه يحصل على النقود فحسب . ومن هنا فان يانجوس قرر أن يدفع له الجزء الذى يشارك به لكى يحتفظ وحده بسيارة النقل ، وما تدره من ربح .

كان كل ذلك شيئا عظيما ، ولكن كيف له بالعثور على هذه الدرامخات العشرة آلاف اللعينة ؟ ان ذلك ليس بالأمر اليسير ، فان آخر ورقة من ذات الألف لمست يده ، ترجع الى ثلاثة شهور مضت .

كان ذلك يوم أن أعطى زوجته صفعة طيبة ، لأنه قدمت قدحا من القهوة الى ذلك الشيوعى القذر ،الذى كان يقوم بتوصيل مواسير للمياه أمام بيتهم . كان يانجوس غائبا ، وعلم بالأمر بعد عودته ، بعد أن نقل بعض صناديق الموتى بسيارته الى حانوت نيكيتاس عامل دهان الأثاث ، الذى طلبه لينقلها مرة أخرى الى شركة نقل الموتى ، بدأ اتمام دهانها . فلما انتهى من ذلك ، بعث بمساعده الأصم الأبكم للبحث عن

يانجوس فى شارع فاسيليوس هيراكليو ، حيث كان « المخزن » ، وهو المحطة التى يقف فيها سائقو عربات النقل .

ولما لم يكن مع نيكيتاس نقود صغيرة ، فانه سلمه ورقة بألف دراخمة لكى يغيرها . وقد قام يانجوس بتغييرها لدى صاحب الشركة ، ثم عاد حاملا النقود. ولم يأخذ منها سوى ثلاثين دراخمة ، هى الأجر المتفق عليه .

وعاد الى بيته ظهرا ، وكان فى حالة ضيق . ان شركات نقل الموتى كانت تبعث فيه الحقد الشديد، وكانت امرأته مشغولة فى غسيل الأطباق ، بينما الأطفال يلعبون فى الشارع ، فى الحفر التى تركها العمال وراءهم .

وبينما راح يحتسى طبق الحساء الساخن ، راحت هى تقص عليه أنها قدمت قدحا من القهوة للعامل قائلة :

ـ لقد كان يعمل أمام البيت تماما ، وهو صديق لنا ، أليس كذلك يا يانجوس ؟ وعندما انتهى من عمله، طلبت منه أن يجىء لأقدم له شيئا من القهوة .

وهنا صاح فيها يانجوس :

ـ ومن تظنين نفسك أيتها العجوز الشمطاء كيف تتركين هؤلاء الأقذار الذين لا يريدون صاحب الجلالة الملك .. يدخلون بيتى ؟ انك دنست هذا البيت ، أيتها الفاجرة ! وهل تعتقدين اننى أطعمك وآويك هنا كل هذه السنوات ، لكى تقدمى القهوة الى هؤلاء الكلاب ؟

وصفعها تلك الصفعة ، ثم صفعة ثانية ، وأمسكها من شعرها بعنف ، فراحت تصرخ بأعلى صوتها .

وجاء الأطفال من الشـــارع ، فثـــار عليهم يانجوس بدورهم . وأخذت المرأة وهى لا تزال بثوب الغسيل المفتوح على صدرها تركض باكية ، فى طريقها الى مركز الشرطة فى الحى ، وهى تهذو كالمجنونة ، من ذلك الوحش الذى عاود ضربها ، وتطالبه بأن يطلقها ...

* * *

ان شعورا بالفخر كان يجعله يتيه اعجابا بنفسه، فى كل مرة كان هذا المشهد يعود الى ذاكرته . وهذا هو ذات الشعور الذى أحس به منذ قليل ، عندما حياه الجنرال باشارة من رأسه ، كما لو كان يريد أن يقول له :

— ان كل شىء على ما يرام .

وما حدث بعد ذلك ، ان الجاويش قد استدعاه الى مركز الشرطة ، وراح يوجه اليه الحديث فى لهجة قاسية ، فى وجود امرأته ، ويحذره بأنه يجب عليه أن يقلع عن هذا السلوك ، وانه يجب أن يلتزم بأحكام القانون ، وأنه يرى نفسه مضطرا الى معاقبته على ما فعل ، بوصفه ممثلا القانون .

أما هذا العقاب ، فيجب أن يتقرر بينهما على انفراد، بعد انصراف امرأته . وخرجت هذه وهى تجفف عينيها فى ثوبها المبتل .

وأصبح الاثنان وحدهما .

وعند ذلك نهض ديميس ، وهو اسم الجاويش ، وربت على كتفه فى ود وقال :

— ان الأمر هكذا يا عزيزى يانجوس .. وهذا هو ما نسميه الوطنية . ان هؤلاء المتطفلين على المجتمع

يجب الا يدخلون بيوتنا . لقد أحسنت صنعا بمعاملة زوجتك بهذه الطريقة ، وسوف تفكر طويلا فى المرة القادمة ، قبل أن تقدم القهوة الى واحد منهم . ان هؤلاء النساء ، بل كل النساء يا عزيزى يانجوس ،

عقولهن فى اقدامهم ، ويكفى أن نعطيهم حق التصويت، حتى يختل توازن هذه البلاد . هل تتناول معى قدحا من القهوة ؟

وفى هذه المناسبة ، أصبح هو وديميس أفضل صديقين فى العالم . وفى المساء عندما كانا يتجولان فى شوارع الحى : وهو حى فقير بالرغم من أنه يقوم فى قلب المدينة وفيه كل بؤس وقذارة القرية البلقانية ، كان ديميس يأخذه بذارعه .

وعند ذلك ، كان يانجوس يشعر بالشرائط الثلاثة الموضوعة على ذراع الجاويش تستند الى ذراعه، فتمتلىء روحه بالسعادة ، وهى سعادة ما كان يمكن أن تحدثه فيه ذراع أجمل امرأة .

كان الاثنان يسيران معا ، فيحييهما الجيران فى احترام ، نفس أولئك الجيران الذين كانوا يسمحون لأنفسهم قبل ذلك بتعته بكل الصفات الوضيعة . ان هذه الرءوس ذاتها تنحنى له اليوم ، وهى تراه فى صحبته الشرطى ، فيبعث ذلك فيه شعورا بغبطة لا قرار لها .

* * *

وفى هذه الفترة تعرف الى الرجل الذى يطلق عليه اسم « الزحافة البحرية » .

وقد بدأ هذا الرجل يلقنه مبادىء المنظمة . وفى نفس ذلك اليوم جاء لرؤيته فى الصباح ، ووعده بأن يستعيد المخالفة التى كانت قد حصلت منه ، بل وأن العشرة آلاف دراخمة ستصل اليه ، لكي يسدد بها دين ارستيد ، وعند ذلك تصبح سيارة النقل ملكا خالصا له . أجل .. ان الكاميكاز ، وهذا هو اسم الدلع الذى يسمى به السيارة المصنوعة فى اليابان ، ستكون له ، اذا هو قام بالمهمة التى يطلب منه القيام بهـا .

وما يطلب منه القيـام به ، هو أن يؤجر ليضرب شخصا ما ضربا عنيفا ، وذلك أمر يختلف تماما عن اصطناع حادث يعطل المرور . حقا انه على استعداد لأى شيء ، وليس لديه ما يجعله يقيم وزنا لأى معنى ... الا أن هذا الأمر بالذات يجعله يشعر بنوع من النفور .

ومن داخله جاءه صوت يقول :

— يانجوس .. لا تفعل ذلك .

ان ذلك الرجل المدعو الزحافة البحرية لابد أن يكون شيطانا ، أو حية رقطاء . فلقد ذهب به الى أحد مقاهى السوق ، وشرح له دوره بغير مواربة :

— استمع الى يا يانجوس .. انى ما كنت لأطلب منك مثل هذا العمل ، لو لم أكن واثقا منذ الآن ، من أنك لا تتعرض لأى خطر . ان هذا العمل يجب أن يتم ، لأن الرجل الذى يجيء ليتحدث هذا المساء ، ينبغى أن يختفى لبعض الوقت ، فلا يستمع اليه أحد. لقد بالغ بعض الشيء فى مضايقة آذاننا .. وفى لندن كان هو السبب فى وقوع المشاغبات التى قوبلت بها الملكة . وفى سباق الماراتون قام وحده بمسيرة للسلام،

وفى مجلس النواب كاد يفقأ عين أحد نوابنا ، وهاهو اليوم يجىء ليثرثر . فعلينا اذن نحن المقدونيين ، أن نلقنه درسا صغيرا ، لكى يدرك ماذا تعنيه مقدونيا .

وسأله يانجوس : وماذا يعمل هذا الرجل ؟

ــ انه نائب فى البرلمان .

ــ وهل هو شيوعى ؟

ــ أجل يايانجوس .. انه ثمرة لا تزال فجة ، ولكنها بدأت تزدهر فوق فرعها . لقد تركنا له ما فيه الكفاية من الهواء لكى يتنفس ، ولكنه بدأ يطير ، وذلك يحتم علينا أن نقص له أجنحته ، والا طار أعلى مما ينبغى . ثم انهم اذا حدث وجاءوا الى الحكم ، فستكون أنت ولذا أول من يذبحون .

ــ وماذا عن سيارتى ؟ هل هى التى سأصدمه بها؟

ــ أجل .

ــ ومتى يصل هذا الرجل ؟

ــ انه يصل ظهر اليوم بالطائرة ، قادما من أثينا .

قال يانجوس وهو يصب محتويات قدحه فى جوفه دفعة واحدة :

ــ ان الأمر يتطلب شيئا من التفكير .

ــ لقد فكرنا وانتهى الأمر ، وعليك أن تقبل أو ترفض الآن . هل تنتمى الى فرقة الموت فى المنظمة أم لا ؟ ويالك من شجاع !

أصابت هذه العبارة يانجوس فى الصميم ، فراح يتطلع فى ذهول الى بقايا القهوة فى قدحه ، كما لو كانت العلاقات التى ترسمها هى التى تحدد مصيره. وأخذ نفسا عميقا من الهواء ، ثم قال :

ــ ان العملية فى هذه المرة تخص واحدا من النواب، وهو ليس كأى رجل عادى . ولذلك فانى أطلب أن

تدفعوا المبلغ المتبقى على من ثمن السيارة ، الى جانب الغرامة التى سيحكمون بها على .

قال الآخر وهو ينهض واقفا :

ـــ اتفقنا .. فلننصرف الآن ، لأن رفاقك ينظرون ناحيتنا ، وليس هناك ما يدعو لاثارة شكوكهم . ان هذا المساء سيكون مساء عظيما .

* * *

ودفع الرجل ثمن القهوة ، وخرجا الاثنان معا .

كانت السماء تمطر رذاذا خفيفا مما يسقط فى الربيع ، فتندت سيارات النقل المتراصة فى الموقف .

وقال يانجوس : ان لدى سؤالا واحدا قبل أن نفترق . ان اليوم هو الأربعاء ، وفى هذا المساء تغلق المحلات أبوابها ، فكيف أبرر وجود سيارة النقل الخاصة بى فى الموقف ؟

ـــ لا تقلق لذلك .. وسوف تتلقى تعليمات أكثر وضوحا .

وغادره ومضى ، فانضم الى رفاقه .

كان هؤلاء قد تجمعوا عند مدخل احدى دور السينما ، احتماء من المطر . وقال لهم يانجوس انه ذاهب لتناول كأس من الرتسينا فى الحانة المجاورة ، وعند ذلك قال كوستا انه يشعر بدوره بالظمأ .

وبينما كانا يسيران ، استند كوستا بمحض الصدفة عليه ، فأحس بالهراوة المخبأة تحت ثيابه ، فسأله:

ـــ ماهذا الذى تخفيه ؟

أجاب يانجوس : انها هراوة .

ـــ وماذا تصنع بها ؟

ـــ هناك عمل هذا المساء .
ـــان لديك بيتا واطفالا يا يانجوس ، ومن الأسلم الابتعاد عن هذه الأمور .
ـــ هناك رجل يصل الى هنا اليوم ، ويتعين علينا نحن المقدونيين ، أن تلقنه درسا لا ينساه .
لم يفهم الآخر شيئا ، فروى له يانجوس المسألة فى ايجاز ، وبعدها قال كوستا :
ـــ اذا حدث أن اكتشف ذلك ، فقد يعود عليك بالضرر .
ونهض كوستا منصرفا ، بينما استمر يانجوس يشرب وحده . ان شيئا يضايقه منذ استيقظ مبكرا فى هذا الصباح . لقد جاء الى الموقف فى السابعة صباحا ، ولم يقم بأى عملية نقل حتى الآن ، فأخذ يسب ويلعن . ولقد كان يوشك أن ينفجر ، عندما رأى قومسيير البوليس ، أجل .. قومسيير البوليس نفسه ، وقد ارتدى ثيابا مدنية ، يقترب من المكان .
انه لا يعرف الرجل جيدا . لقد اقترب منه مرتين أو ثلاث مرات من قبل ، وكان دائما فى زيه الرسمى. أما الآن ، وهو فى الثياب المدنية ، فقد خيل اليه أنه مختلف تماما . وباشارة بسيطة من رأسه ، أدرك يانجوس أنه يريد أن يتحدث اليه على انفراد ، فألقى بقية لفافته على الأرض ، وسحقها بقدمه الثقيلة ، وكان الشراب قد أحدث فيه مفعوله ، واتجه نحوه.
كان الضابط ينتظره تحت اعلان عن فيلم لرعاة البقر تعرضه السينما . ولقد استدار يانجوس ، فرأى اثنين أو ثلاثة من زملائه فى الموقف يرقبونه ، وما أن وصل الى الضابط ، حتى وضع هذا يده على شاربه الكث وقال له : هيا بنا .

سـأل يانجوس وهو يزحزح العصـا تحت ابطه ليخفيها جيدا : الى أين ؟

وأدرك القومسيير على الفور معنى الحركة التى قام بها ، فقال يانجوس :

ـ لقد زودتها بشريط صغير فى مؤخرتها ، لكى يسهل الامساك بها .

ومشى الاثنان نحو الحـانة ، التى كان يانجوس يشرب فيها مع كوستا منذ بضع لحظات قبل ذلك ، وسأل القومسيير فى خبث :

ـ هل أقدم لك كأسا صغيرا يا سيدى القومسيير؟

ـ لا وقت للشراب اليوم . أن أمامك عملا ، وعملا ثقيلا ، وعليك أن تظل فى يقظة كاملة .

ودلفا أخيرا الى محل للحلوى . لقد كان شرفا كبيرا ليانجوس أن يجلس على مائدة واحدة مع القومسيير، فطلب (بغاشة) بالكريمة . ورآها من بعيد والعامل يعدها ، وقد تصاعد منها الدخان ، فجرى ريقه فى فمه ، بينما جيء بها اليه ، وقد عمر سطحها بالسكر والقرفة . وكان القومسـيير قد طاب لنفسه فطيرة بالجبن وكوبا من اللبن الساخن ، فلما جاء بها الخادم قال له :

ـ انتبه يا سـيدى .. فانها خارجة لتـوها من الفرن .

وسأل القومسيير يانجوس عما اذا كان يريد شيئا آخر ، ولكن يانجوس رفض .

قال الضابط : كان المفروض أن يعقدوا اجتماعهم فى نادى بيكاديللى،ولكن لم يسمح لهم بشغل القاعة. وسوف يتجمعون أمام النادى ، انتظارا للعثور على

قاعة أخرى . وستذهب أنت الى هناك مبكرا فى المساء ، وبدون سيارتك ، وتسبب لهم شيئا من القلق والازعاج حول أشياء تافهة .

فسأل يانجوس وهو يلعق بقايا السكر :

ـ هل أبدأ على الفور باستخدام الهراوة ؟

ـ كلا .. انك ستذهب أولا الى هناك ، لكى تبث شيئا من الارهاب ، وعملك هذا المساء هو ذلك الشخص . وعليك الا تظهر سريعا ، أما الآخرون فلا شأن لنا بهم .

ـ واذا أمطرت ؟

ـ اذا أمطرت فلتمطر .. ماذا فى ذلك ؟

ـ واذا حدث شىء للعجلات ، ولم أستطع ...

ـ لن تمطر .

ـ وأين تحدث المظاهرة ؟

ـ سوف يخطرك بذلك المركز الرئيسى . فبعد أن تذهب الى نادى بيكاديللى ، سوف تمر على المركز لتلقى آخر التعليمات عن المكان وغير ذلك . مفهوم؟ وهناك أمر آخر .. فقد علمت أنك تركت مكانك خلال زيارة ديجول ، وذهبت الى احدى الحانات ، وأريد ألا يحدث ذلك اليوم . اننى أعرف أنك رجل طيب ، ترتبط بكلمة الشرف ، وعلى ذلك فلا تضعنا فى مركز حرج . ان الأوامر صارمة ، وسأكون هناك ، لأضعك تحت مراقبتى ، كما أن الرؤساء جميعهم سيكونون هناك أيضا . لقد نالك شرف عظيم باختيارك لهذه المهمة .. مفهوم ؟ ان ذلك الشخص قوى وقد يتعين أن تشتبك معه ، وان كان ذلك غير مرجح ، طالما أن السيارة هى التى ستؤدى المهمة .

— هؤلاء القتلة .. سوف أنتقم منهم . لقد قتلوا أبى ...

— عظيم .. ولسوف يكون زميلك فانجوس الى جانبك . انه سيركب خلف سيارتك ، وهو يعرف ما سيحدث .

— وأين التقى به ؟

— هو الذى سيلتقى بك ، فبلغه ما قلته لك ، لانى لن أتمكن من مقابلته ، ولا تنس أنى لم التق بك اليوم ولم أرك .. هل تفاهمنا جيدا ؟

— نعم يا سيدى القومسيير .

— اننى أريد عملية متقنة جيدا . والآن عد الى الموقف ، والزم الصمت .

غير أن ذلك كان الشيء الوحيد الذى لم يفعله ، فعندما نهض لينصرف ، كان يشعر تحت ابطه بالهراوة الصلبة ، مما بعث فيه شيئا من الاطمئنان ، وامتلأ باحساس القوة ، كمن يطارد اللصوص والنصابين ومهربى المخدرات والقوادين ، وقد تركزت فيه،فأحس بالانتعاش . فلما وجد نفسه بين زملائه فى الموقف ، لم يستطع أن يمنع نفسه من التفاخر عليهم ، لكى يثير ذهولهم . قال :

— هل رأيتم ذلك الرجل الذى كان معى ؟ انه القومسيير .. وقد طلب لى قطعة من (البغاشة).

— أى قومسيير ؟

— قومسيير البوليس .

— انه يريد بنا شرا .. وماذا كان يريد ؟

— انه فى حاجة الى..هل سبق أن رأيت قوميسيرا للبوليس يجيء ليعرض عليك قطعة بغاشة ؟

ـ هل سمعت المثل الذى يقول !. اذا كانت الفطيرة التى لا تأكلها تحترق .. فدعها تحترق ؟

ـ اننى شىء لا غنى لهم عنى .

ـ أنت .. انك تشرف المهنة التى تنتمى اليها ! مهنة الحمالين !

ـ اننا لسنا حمالين .. بل نقوم بتسليم البضائع للشـــارين .

ـ انك تعرف كيف تخلص نفسك جيدا ، أما نحن فاذا هم أمســكوا بنا ، خارج المدينـــة ، ســـحبوا تصاريحنا .

ـ اذا هم امسكوا بكم فى مخالفة ، فسوف أصحح الأمور .

ـ وكيف ذلك يا سيد يانجوس ؟

ـ ان لى سندا فى البوليس .

ـ اننى أفضل ان أهلك جوعا ، ولا أتعامل مع رجال البوليس . انك معهم لا تعرف الى أين يذهبون بك.

ـ ماهذا الذى تقول ؟

ـ اننى أقول ما أعرف .. فاذهب وبع نفســـك لهم ! ..

أخرج يانجوس هراوته ، وهم بأن يضرب بها ذلك الرجل الذى تطاول عليه وأهانه ، غير أن كوستا تدخل لاعادة الهدوء وقال :

ـ دعكم من هذا .. اننا نقف هنا منذ ساعات ، ولم يكلف أحدنا بأى عمل . فهل جئنا لنكسب عيشنا، أو لنتعارك معا ؟

وفى هذه اللحظة ظهر شخصـــان على الرصـــيف المقابل ، ونادى أحدهما على يانجوس ، الذى كان

يراهما للمـــرة الأولى . كانا رجلين يبـــدو عليهمـــا الغموض ، فانتحى بهما جانبا ، ثم سأله أحدهما :

ـــ هل أنت يانجوس ؟

ـــ أنا بعينه .

ـــ اننا فى حاجة اليك لعملية نقل

وذهب معهما الى أعمدة البنك المجاور ، وقالا له:

ـــ اننا أعضاء فى المنظمة الملكية الدستورية لليونان، وشعارها .. الوطن ... الأسرة .. الدين .

واخرج كل منهما بطاقة عضويته وعرضها عليه. ولم يكن يانجوس يعرف القراءة ، ولكنه راى راســـا يمثل الموت ، فأدرك أن الرجلين أعضـــاء وفى فرع المنظمة التى ينتمى اليها .

قال : لى الشرف .

ـــ ان منظمتنا سوف تشترك بدورها فى العمل هذا المســـاء ، ونحن نعارض فى انهم اختاروك لعمليـــة ق.م.ش .

تساءل يانجوس :

ـــ ما هى ق.م.ش .

كان واضحا أن ليس له معرفة بما يقولان ، فأجاب الثانى ساخرا :

ـــ انه شجاع .

ـــ انه يريد أن يتظاهر بالبراءة ، وأنه لا يعـــرف معنى ق.م.ش ما الذى علموه لك فى المنظمة ؟

ـــ اننى أقوم بتســـليم البضـــائع على ســـيارتى الخاصة ، ونحن نسميها عمليات نقل .

ـــ ق.م.ش معناها قناصة مضادة للشيوعيين،هل فهمت .

ـــ فهمت .
ـــ اننا جئنا أولا لنتعرف عليك ، ولنقدم عنك تقريرا للرئيس .
ـــ أى رئيس ؟
ـــ رئيسنا .. لقد أبلغنا عنك بالأمس ، وها قد جئنا . وعليك أن تذكر أننا نقوم بحراستك عن قرب، فعملية هذا المساء هامة للغاية ، ويبدو أنك لا تدرك ذلك . هيا .. ونرجو لك التوفيق !
ولكزه فى جانبه ، فاصطدمت يده فى الهراوة ، فقطب جبينه وقال لزميله :
ـــ يبدو أنه شجاع حقا .
وأضاف الثانى ومسلح حتى أسنانه .
وقال له الاثنان معا :
ـــ عد الآن الى سيارتك ، والزم الصمت .
أحس يانجوس بالارتياح وهما يبتعدان ، وعاد الى مكانه عكر المزاج . كان المطر قد توقف ، والسيارات لازالت واقفة ، وقد غطيت بالمشمع ، وكل منها وراء الأخرى ، ولم تكن واحدة منها قد قامت بأى عمل فى ذلك اليوم . وعند مروره بالكشك ، سمع صوت يقوت له وكأنه يرد على ما يدور فى رأسه :
ـــ يانجوس .. نيكيتاس ترك لك خبرا لكى تذهب اليه ، اذ أنه سيكلفك بشىء تنقله .
كان ذلك هو كل ما يرجوه ، فمنذ الصباح وهو يسير على قدميه فى ذهول ، وقد حان الوقت لينصرف الى عمل ما ، ثم ان نيكيتاس مدين له بعشرين دراخمة، وقد علم أنه مر لكى يسددها له ، ولكنه لم يعثر عليه.
ولاحظ وهو فى طريقه اليه ، أن الساعة الكبرى للمركز تشير الى الثانية عشرة ظهرا ، وأن وسط

المدينة يكاد يخلـــو من المارة . وعاودته الرغبة مرة أخرى فى الدخول الى الحانة ليحتسى كأسا ، ولكنه فطن الى أنه يجب الا يفعل ، اذ أن عليه أولا معرفة ماذا يريد نيكيتاس .

ووصل الى الورشة ، حيث وجد نيكيتاس منهمكا فى العمل ، فقال له :

ـــ لقد أخبرونى أنك تريدنى .

وجفف الرجل يديه فى مئزرته ، وصافح يانجوس، وقال :

ـــ لدى بعض الأثاث أريد نقله الى أحد التجار .

ـــ ولكن اليوم هو الأربعاء ، والمحلات مغلقة فى المســـاء .

ـــ لقد أخطرته ، وسيظل فى انتظارك ، وهاك هو العنوان .

قال يانجوس : يستحيل فى هذا المســـاء ، فاننى مرتبط بعمل .

ـــ مر على اذن فيما بعد ، فى حوالى الســـابعة والنصف .

ـــ مستحيل .

ـــ ولكن يجب أن أسلم البضاعة هذا المساء ، فقد وعدت التـــاجر ، وهو عميل طيب ، وســـأدفع لك الدرخمات العشرين ، وسأكون هنا حتى التاسعة .

فقال يانجوس وهو يتنهد :

ـــ اننى مشغول هذا المساء ، فاننى سأقوم بأكبر عمل جنونى فى حياتى ، وقد يصل حتى قتل انسان .

ـــ هل تعاركت مع أحد ؟

ـــ لا تعبأ للأمر ، وسوف تعلم غدا .

ـــ ولماذا غدا ؟
ـــ لأن الأمر سيقع هذا المساء ، وسوف تعلمه غدا .
ـــ لست افهم شيئا .. ما هو هذا الأمر ؟
ـــ وما الذى يهمك منه ؟
ـــ اننى أعرفك يا يانجوس ، وأعرف أنك تثور من اجل أقل شىء . وأنت انسان طيب ، ولكن حاذر من أن تجلب على نفسك المتاعب بمثل هذه الأمور .
ـــ كنت أظن أنك تريدنى لعمل سريع .
وعاد الى الموقف ..

* * *

ولم يكن الجنرال وحده هو الذى حياه ، ولكن كانت وجوه معروفة أخرى ، أرسلت اليه اشـــارات من رءوسها . ولم يستطع وهو فوق سيارته البخارية أن يميز هذه الوجوه ، فان الليل قد هبط ، وتزاحمت الجماهير على الحى . وكانت العلامات المضيئة قليلة، وواجهات العرض فى المحلات تتوارى خلف المارة . وراحت العشرة آلاف دراخمة التى وعدوه بها لكى يسدد دين أرسيتد تتراءى فى خاطره ، الى جانب الغرامة التى سيدفعونها له . كان فخورا لأنه الوحيد الذى يجلس فوق عربة تسير بمحرك ، بين جماهير تسير كلها على الأقدام .
كلا .. انه الآن يشعر بأنه على ما يرام . انه يريد أن ينقض ، وهو يحاول أن يعثر على ذريعة لكى ينفجر. لقد مر قبل ساعة على نادى بيكاديللى ، وقابل هناك القومسيير ، الذى طلب منه أن يذهب ويمزق الاعلان

الكبير ، الذى وضعه أولئك الذين نظموا مظاهـرة انصار السلام .

ولم يدرك جيدا لماذا يفعل ذلك ، ولكن القومسير قد همس له بعبارة ، قد تكون :

ـ انهم لن يعرفوا أين يذهبون .

انها من توافه الأمور ، فما الذى يهمه من كل ذلك؟ وعلى أى حال ، فانه كان يعرف المنطقة جيدا ، وفى خطـوة تدل على الثقة بالنفس ، شـق طريقه بين الجمهور ، ووصل الى اللوحة الضخمة التى أقيمت وسـط الطريق . ورفع ذراعه وأمسـك اللافتة من أعلاها ، وانتزعها بنفس الطريقة التى كان ينتزع بها فيما مضى ثياب العاهرات ، وفى حركة وحشية أثارت حوله موجة من الغضب .

وصاح أحدهم : اذا كانت لديك الشجاعة .. فعد الى هنا !

ـ صعدت الدماء الى رأس يانجوس ، ولكنه يجب ألا يضرب مهما كلفه ذلك . ان هذه هى التعليمات ، اذ ينبغى أن يحتفظ بكل قوته لذلك الشخص . ومع ذلك ، فانه لم يسبق طوال حياته أن سمح لأحد بأن يقول له .. « اذا كانت لديك الشجاعة .. فعد الى هنا » .. فاستدار على عقبيه ، ولوح بقبضته فى وجوه الذين كانوا يهددونه . انه قادر على الاطاحة بهم جميعا ببضع ضربات من ظاهر يـده ، غير أن الأوامر كانت هى الأوامر ، وذلك تركهم وابتعد .

وفى هذه اللحظة رآها ، فقال فى نفسه :

ـ حتى أنت هنا . .أيتها العاهرة العجوز !

عرف فيها تلك المرأة التى تعمل فى وظيفة مستشارة البلدية للحى الذى يعيش فيه ، ثم جرى انتخابها فى قائمة اليسار . وبعثت هذه المقابلة الغضب فى نفسه، الى حد لم يستطع معه الاستمرار فى المقاومة ، فوجه ضربتين من قدمه الى بطن هذه المرأة . وقد أخطأتها الضربة الأولى ، ولكن الثانية أصابتها فى الصميم ، فانثنت على نفسها ، ولكنها لم تسقط على الأرض.

ولقد هم باخـــراج هراوته ، عنـــدما رآها تركض بعيدا ، وتحتمى فى أحد المحلات الذى امتلأت واجهته بالحلى . قال فى نفسه :

ـــ يا للبقرة .. لقد فرت من بين قدمى .

واعتماه الغضب ، فتناول مقعدا من سطح المقهى، وقذف به فى اتجاه ذلك المحل ، فدخل المقعد من الباب، وأصاب طفلة صغيرة . واتجه اليه صـــاحب المقهى وعملاؤه مهددين ، وخرج له صـــاحب المحل ، وقد تسلح بقطعة من الخشب . وعند ذلك فطن يانجوس الى أنه يجب أن يسيطر على نفسه ، والا يمكنهم من الامســـاك به قبل الأوان . فلو أن ايشتيوزور علم بما حدث ، فلقد يرفض أن يدفع له الحساب المتفق عليه . لذلك فانه أوقف احدى سيارات الأجرة ، وقصد بها مباشرة الى المركز ، فان الوقت قد أزف .

كان السائق قد رأى ما حدث ، ولكنه لم يتكلم . وقال يانجوس :

ـــ يا للأقذار .. انهم يعتقدون أنهم قادرون على حمايتها .

ووصل الى المركز الرئيسى ، وطلب من السائق أن ينتظر . وكان جو المركز من الهدوء ، مما أعاد اليه توازنه . فلما عاد طلب من السائق مـــرة أخرى أن

يذهب به الى نادى بيكاديللى ، وكان يرافقه هذه المرة احد المخبرين .

كان الجمهور قد تفرق ، والسوق على بعد خطوات، فقصد اليه ، وامتطى سيارته ، وراح يتجول بها مدة ساعة فى الطرق التى كانت تخلو من السيارات ، لكى تمتلىء بالمشاة ، أمام القاعة الجديدة التى ينتظر أن يعقد بها الاجتماع ، عند تقاطع شارعى ارمو وفنزيلوس .

وقد حيا الجنرال ، واستعاد ثقته بنفسه . ولكن العبارة التى تقول :

ـ اذا كانت لديك الشجاعة .. فعد الى هنا !

كانت مسيطرة عليه ، ولا يستطيع التخلص منها. وقال لنفسه :

ـ ان هذه الشجاعة لا تنقصنى .. وهاأنذا .

كان المهم لديه الا يتأخر عن عملية « النقل » ، ولما كان الحديد الآن ساخنا ، فيجب طرقه على الفور .

***

لم يكن كوستا يطيق رؤية يانجوس ، وهو بهذه الصورة .

وفى ذلك المساء كان مارا بمحض الصدفة عندتقاطع شارعى ارموفنزيلوس ، لمجرد أن يرى ما يحدث هناك . وقد شهد تلك الوحشية المرتسمة على وجوه أعضاء المظاهرة المضادة ، ورأى الجنود الذين كان بعضهم فى ملابس مدنية ، وهم يتعمدون عدم التدخل فيما يحدث ، وشاهد الأحجار التى تقذف بها نوافذ نادى النقابيين الديمقراطيين ، وسمع الهتافات تقول: « زد .. أيها البلغارى القذر .. لسوف تموت » .

وقد رأى أيضا عددا من أنصار السلام ، والآخرون يسوقونهم بالقوة الى أركان بعيدة ، لكى يشبعوهم ضربا. عند ذلك استدار على عقبيه،واستقل الاتوبيس، وعاد الى بيته . ان ما كان يشك فيه منذ الصباح ، يحدث فى هذا المساء تحت سمعه وبصره . وفكر فى نفسه :

— ترى ما الذى سوف يعقب ذلك ؟

لقد عادت الى ذاكرته الأيام السوداء التى مرت على البلاد فى فترة الحركات السرية ، وما صاحبها من أعمال نفى وتعذيب . ولو كان أحدا آخر ، لما عرف تفسيرا لكل هذا ، أما كوستا الذى أمضى حياته كلها وهو يناضل من أجل نفس هذه المعانى ، فان الأمر يختلف . حقا ان الأمر انتهى به الى الشعور

باليأس ، والى الاقتناع بعدم جدوى المحاولة ، فلم يكن مخلوقا من الصخر .

ومع ذلك ، فان هناك آخرين أكثر خطا ، قد وقعوا عرضة الارتداد عن العقيدة التى يدينون بها ، قبله بكثير . انه لم يتوقف عن نشاطه السياسى الا خلال الأعوام الستة الأخيرة ، بعد أن أقسم بحياة أطفاله، على ألا يتدخل بعد ذلك فى أى عمل سياسى . وهو مع تقدم العمر ، قد وهنت ذراعاه ، ولم يعد يستطيع تحمل عبئه الثقيل ، فأصبح حملا ، فى نفس الموقف الذى يعمل به يانجوس .

ولكنه لم يعد يطيق يانجوس هذا. انه يذكره بعمليات التعذيب التى تعرض لها ، عندما كان منفيا فى الجزر. ان أولئك الوحوش الذين فقدوا الروح ، كانوا يحاولون استئصال أرواح المنفيين ، فيغرقونهم فى مياه البحر بعد وضعهم داخل أكياس أغلقت عليهم ، الى أن يعلنوا ارتدادهم عن الشيوعية .

ان يانجوس واحد من هؤلاء الغلاظ ، ولو أن معسكرات النفى عادت مرة أخرى ، فلسوف يكون من أوائل الذين يعبأون لحراستها .

لكن كوستا تعلم كيف يغلق فمه ، فلقد فقد بدوره توازنه ، كما أن ايمانه قد فتر كثيرا .لقد كان هناك الكثير من النضال ، الكثير من التضحيات ، والكثير من الدماء ، ثم جاء أولئك الذين باعوا أنفسهم ، وأولئك المتعاونون ، لكى يعودوا الى السلطة من جديد . وقد رأى كوستا كيف أن الذين ارتدوا قبله ، قد دبروا لأنفسهم نوعا من الحياة المستقرة .. على حين أنه هو ، الذى لديه طفلان لا يكفان عن النمو ، وزوجة لا تتوقف عن تدبير البيت ، اعتمادا على كتفيه اللتين

لا تتوقفان عن حمل الأثقال للآخرين . فما الفائدة اذن؟ ان وقتنا يجيء حتما يتحطم فيه كل انسان ، وقد تحطم هو منذ ست سنوات مضت .

الا أن يانجوس هذا قد أصبح بالنسبة له شيئا لا يحتمل . انه لم يكن يعرف عنه سوى القليل ، أو لاشيء اطلاقا عن حياته وسلوكه. لقد كانا يتحدثان معا، عندما يكونان معا فى الموقف . فهو الابن المدلل لرجال الشرطة ، ومن حقه أن يعمل ليلا ونهارا ، وبينما الحمالون الآخرون ليس مصرحا لهم بالعمل الا داخل المدينة ، كان يانجوس من حقه أن يعمل ويذهب أينما يشاء . وعلى حين أن الآخرين يدفعون الغرامة المقررة اذا هم ارتكبوا أقل مخالفة ، فان يانجوس كان يستطيع دائما أن يفلت بطريقة ما من دفع الغرامة. لقد كان واثقا من قوته ، الى حد انه لم يكن يخفى أى شيء ، وهو يروى كل شيء فى غير حذر ، شأن من لا يعرف كيف لا يثق فى الآخرين .

وهكذا فانه عندما رآه هذا الصباح صامتا لا يتحدث، سأله عما يضايقه ، فلم يكن من يانجوس الا أن دعاه لتناول كأس معه . ولقد كان من عادة كوستا أيضا أن يحتسى بعض الكئوس ، فذهب معه الى تلك الحانة الواقعة فى مواجهة سوق موديانو ، وبينما هما يسيران ، اذ بيده تصطدم مصادفة بشيء صلب ثقيل جعل كوستا يسأله :

ـ ما هذا الذى تخفيه ؟ أهو سوط ؟

ولقد أجابه بأنها هراوة غليظة ، فقال له :

ـ وماذا تصنع بها ؟ ان ذراعيك قويتان بما فيه الكفاية .

فقال يانجوس : لن أكون فى حاجة ماسة الى ذراعى هذا المساء ، فلنترك هذا الموضوع الآن ، ولا تسألنى شيئا عنه .. فلقد قطعت على نفسى التزاما .

ثم جلسا الى مائدة صغير ، وطلبا دورقا من الرتسينا .

ـ فى صحتك !

وأجاب كوستا الذى كان يجد فى تصرفات يانجوس فى ذلك اليوم شيئا غريبا :

ـ وفى صحتك .

كان قد قرر أن يستدرجه فى الحديث ، فاستطرد قائلا :

ـ ماذا بشأن العشرة آلاف دراخمة ؟ وكيف يمكنك ادخار مثل هذا المبلغ الكبير ؟

فكشف له يانجوس عن المؤامرة ، ورواها بالتفصيل من الألف الى الياء ، فقال له كوستا : لا تزج بنفسك فى مثل هذه الأمور يا صغيرى يانجوس . أنك رجل فقير ، ولست شيئا كبيرا . ان الفقراء هم الذين يخسرون دائما ، أما الأقوياء ، فانهم يظلون دائما أقوياء ، والأسماك الكبيرة تبتلع الأسماك الصغيرة .

ـ هل تريد ان تلقننى درس الصباح يا سيد كوستا ؟

ـ ان لك أطفالا .. ولك أسرة .

ـ على أى حال اذا تسربت هذه القصة ، فستكون انت الذى فعل ذلك .

ولم يكن كوستا يعرف من يكون (زد) الذى حدثه يانجوس عنه ، فتبادر الى ذهنه أنه قد يكون أحد أولئك النواب اليساريين ، الذى انتخبوا بعد خروجه من الحزب . وبدأ عقله الذى كان لا يزال يثقل عليه

الشراب والرغبة فى النوم ، يتحرك بعد فترة ، فلم يحاول أن يعرف المزيد ، خوفا من أن تفلت أعصاب يانجوس . الا أن شعورا بالتضامن كان مدفونا فى أعماق أعماقه بدأ يستيقظ ، وهو شعور كن يشكل فى الماضى الشىء الوحيد الذى يربطه بالحياة .

ان فى مواجهته عدوا ، هو رجل لديه نية مبيتة على قتل نائب من الذين كان ينتمى اليهم . ثم انه بالرغم من عدم انغماسه فى السياسة ، كان ينتهز فرصة الانتخابات ، لكى يدلى بصوته سرا لليسار .

قال يانجوس وهو يصفق بيديه مناديا الخادم :

ـ هل نتناول دورقا آخر ؟

ـ كلا .. اننى مضطر للذهاب لتسليم حمل من الراديوهات .

وأسرع بالانصراف . كان يعرف أن سولا ، وهى موظفة فى الشركة التى سيسلم لها الراديوهات ، هى زوجة مدير مكتب اليسار الديمقراطى الموحد فى مدينة سالونيك . لذلك أراد أن يحذرها على الفور ، ويخبرها بكل ما علمه .

أخذ يسير وهو يشعر بالألم ، فقد كان ذلك هو أول عمل سياسى يقوم به ، منذ أقسم بأنه لن يتدخل فى السياسة . وكان سروره يزيد من عذابه ، بطريقة ملتوية وغير مباشرة . ان يانجوس لا يعرفه الا منذ قليل ، ونظرا الى أن لا أحد تقريبا يوجه اليه الحديث فى الموقف ، فان هناك احتمالا كبيرا فى أنه يجهل ماضيه . فلو أنه عرف أن كوستا كان فيما مضى مناضلا يساريا ، لما أسر اليه بمثل هذا الحديث .

ان فى كل رجل ، وخاصة اذا كان حمالا ، رغبة فى حياة لم ينعم بها ، أو فى بيت لم يستطع أن يشيده ،

أو فى تصريح لم يحصل عليه . وعند أول لفحة هواء، فان هذه الرغبة ، أو الجمرة الخامدة ، لا تلبث أن تشتعل من جديد ، فيصبح الماضى حاضرا .

وقد وصل كوستا الى الشركة الكهربائية ، واجتاز بابها الزجاجى . وعندما رآه مدير الشركة داخلا بهذه العجلة ، اشار اليه برأسه نفيا ، اذ لم يكونوا فى حاجة الى خدماته اليوم . وأجابه كوستا بأنه لم يأت لعمل ، وانزلق خلف الحاجز الزجاجى لكى يصل الى السيدة سولا ، التى تعمل محاسبة فى الشركة .

وفوجئت برؤيته ، ولكنه طلب منها أن تخرج معه بضع لحظات ، لأن لديه أمرا عاجلا يريد أن يبلغها به. فلما أصبحا فى الشارع ، وتأكد أن أحدا لن يستطيع أن يسمع ما يسر لها به ، قال :

— ان هناك شخصا يدعى زد ينتظر وصوله هذا المساء ، ويجب ان تحرسوه تماما ، لأن هناك مؤامرة قذرة تعد له .

— ومن أين حصلت على هذه المعلومات ؟

— لقد تحدثوا عن ذلك فى مكان ما ، وكنت موجودا، فسمعت كل شىء . ولا تقولى انك علمت بالأمر منى ، لأنهم هددونى ، وقالوا انه اذا تسرب عن المؤامرة شىء ، فلابد أن أكون أنا الذى أبلغت .

— ومن هم هؤلاء الذين تتحدث عنهم .. وأى مكان تقصده ؟ ومن الذى وجه اليك هذا التهديد ؟

— لا أستطيع أن أخبرك بأكثر من ذلك . اننى رجل فقير ، وقد بدأت أخيرا فى تأسيس بيت ، وانتظر لتصريح لى بالعمل على سيارة نقل ، ولم أحصل عليه حتى الآن . ثم اننى أخشى من عصابة المافيا هذه ، وقد

سبق أن حطموا لى ثلاثة ضلوع فى ماكرونيوس .

ـــ لن أقول شيئا عنك .

ـــ حتى لزوجك ان مصدر الخبر يجب أن يظل سرا، والا فاننى سوف أضيع .

ـــ لن أقول حتى لزوجى .

ـــ اننى أعرفهم جيدا ، وأعرف ماذا يستطيعون عمله . أنكم تعيشون بعيدا عنهم ، أما نحن فنقترب منهم كل يوم ، ويجب أن نكون على حذر . فاسهروا على سلامة زد جيدا ، لأنهم يريدون القضاء عليه .

وغادرها وهو يقول ذلك . والآن وقد عاد الى بيته ، وهو يهم بأن يأوى الى فراشه ، وبعد أن شاهد المظاهرة المضادة أمام المبنى الذى كان يتعين على زد أن يتحدث عنده،رأى ذلك الحشد من الجماهير الصاخبة ، فانه لم يعد لديه أى شك ، فى أن هذه الليلة تخفى فى طياتها آلاما كبرى للجميع . وراح يكرر فى صوت مرتفع :

ـــ انه كما كان يحدث من قبل .. ولم يتغير أى شىء ! لقد انقضت سبعة عشر عاما على الحرب الأهلية، وهاهو كل شىء يعود كما كان !

وصاحت زوجته من المطبخ :

ـــ كف عن هذا الهذيان :

وعند ذلك استدار على جانبه السليم ، وراح فى النوم .

* * *

لقد كان على حق .

هذا هو كل ما استطاع أن يقوله ، وهو يتطلع من نافذة ندى النقـــابات ، ويرى الفظائع التى تقـــع فى الطريق ، وراح يقول :

ـــ انهم سوف يقتلونه .. وسوف يحصلون على جلده . هكذا كانوا يلقون المسيحيين الأوائل للسباع الجائعة . ولكن هذه السباع التى تصرخ فى الشارع الآن ، التى هزلت أجسادها ، وارتدت أحط الثياب ، وتفشت فيها الأمراض ، هل تستطيع أن تصرخ فى مؤيدة البؤس والجوع ، ومعارضة السلام ؟

لم تكن اللحظة وقت تأمل ، انما كانت ساعة غليان وفوران ، ولحظات حرج شديد ، فراح يترقب الوقت الذى سيخرج فيه زد من الفندق ، ومعه رفاقه للمجىء الى هنـــا .

أما هو ، فقد أدى واجبه ، فما أن اتصـــلت به زوجته تليفونيا فى الصباح ، وقالت له انها يجب أن تراه بأسرع مايمكن ، فانه لم يفكر لحظة واحـــدة فى اجتماع هذا المساء ، ولا فى زد .

ذلك أن صوت سولا كان يتضح بالقلق ، فاعتقد أن شيئا خطيرا قد وقع لها ، أو لعلها تكون قدارتكبت خطأ فاحشا فى دفاتر الحسابات ، أو أن تكون معرضة لخطر يتهددها .

وعند ذلك راح يناشدها :

ـــ ماذا هناك ؟ ما الذى حدث ؟

قالت : اترك مكتبك على الفور ، وسأغادر بدورى مكتبى ، وسوف نلتقى على الرصيف الأيمن .

كنا قد افترقنا فى الصباح على ما يرام ، وها هى الساعة لم تتجاوز العاشرة بعد ، فما الذى يمكن أن يكون قد وقع فى مثل هذا الوقت القصـــير ؟ لقد كان يعرف زوجته جيدا ، فهى من ذلك النوع من النساء الذى لا يفزع من أجل لا شىء . لقد كان لابد من شىء رهيب ، حتى تفقد هدوء أعصـــابها . فمـــا الذى أمكن أن يحدث ؟

أخذ يترنح وهو يهبط الدرج ، وماكاد يصل الى الشارع ، حتى كان يوشك أن يركض .

قالت وهى تلتقى به كما اتفقـــا ، على الرصـــيف الأيمن :

ـــ لقد جاء الى شخص ما ، وهو شخص لا يريد أن اكشف عن اسمه ، حتى لك ، وأكد لى أن هناك من دبر لقتل زد هذا المســـاء . ولم اكن حتى على علم بمجىء زد .

ظل صامتا . كان جهل زوجته بمجىء زد ، يعطى ما تقوله وتكشف عنه مزيدا من الاهتمام .

قالت : ان الرجل الذى قدم الى هذه المعلومات ، يجهل حتى من يكون زد .

ـــ وكيف علم بالأمر ؟ من اين ؟

ـــ هل تريد أن تفتح معى استجوابا ، أم تصدق هذا الذى اقول ؟ ان ما ينبغى عمله على الفور ، هو اتخاذ بعض الاجراءات .

وما كادت تنتهى من ذلك ، حتى عادت ادراجها .

هتف قائلا : انتظرى يا سولا .. لحظة واحدة .

أجابت : هذا مستحيل ، فان صاحب العمل قد تطلع الى فى دهشة ، وهو يرانى أخرج بغير سبب . وانت تعرف جيدا ، أن فى استطاعتهم فصلى فى أى لحظة بسببك .

وبعد ذلك ، فانه ماكاد يعود الى مكاتب اليسار الديمقراطى الموحد ، حتى اتصل تليفونيا بالمحامى ماتساس ، بغير أن يكشف له بدوره عن أن هذه المعلومات مصدرها زوجته .

وقد رد عليه ماتساس بأنه سيسارع بأبلاغ الأمر الى المدعى العام ، ويطلب حمايته .

راح يفكر الآن ، وهو يتطلع من النافذة ، فى مبنى نادى النقابات :

— يالها من حماية جميلة ! انهم سوف يقتلونه .. وسوف يحصلون على جلده .

ولقد ظل واقفا يفكر ، الى أن جاءه حجر ، فحطم زجاج النافذة ، ثم أصابة فى صميم وجهه ، ومعه عبارة تقول :

— أيها البلغارى القذر .. لسوف تموت هذا المساء !

* * *

كان جورج ماتســـاس المحامى ، وعضـــو فرع سالونيك للجنة اليونتية لتخفيف حدة التوتر الدولى والسلام ، ينتظر أسفل المبنى ، عند الباب الحديدى ، وهو المبنى الذى يقع فى الدور الثالث منه النادىالنقابى والديمقراطى ، الذى كان زد سيلقى فيه خطـــابه، وذلك لكى يســـتقبل الذين سيحضرون الاجتمـــاع ، فيعيد اليهم شيئا من الثقة .

وأخذ انصار السلام يتوافدون فى حماس ، كمـــا كان يفعل المسيحيون الأوائل ، تملؤهم ثقة عميقة ، هى الثقة التى تعمر قلوب أولئك الذين يؤمنون بمثل أعلى ، أو يؤمنون بالله .

كان مايؤمنون به هو السلام ، ، وهى كلمة جوفاء حقا ، ولكنها استعادت معناها فى الآونة الأخيرة . ان السلام لايمكن أنيكون مجرد رغبة سلبية لدى البشر، من أجل الوئام والصداقة بين الشعوب ، انما السلام يتطلب تأييدا ، ومشاركة ، ونضالا .. ضد كل مايمكن أن يتهدده . ومن أجل ذلك ، فانهم لم يكونوا يخشون صراخ الصارخين ، ولا عبارات التهديد ، من جانب الذين تجمعوا فوق الأرصفة المحيطة بالمبنى ، تحت انظار قوات البوليس والأمن العام .

كان الجانب الأكبر منهم قادمين مباشرة من نادى بيكاديللى ، حيث ذهبـــوا أولا تلبية للاعلانـــات التى

نشرت فى الصحف . غير أنهم عندما وصلوا الى هناك، قرأو اللـــوحة الممزقة التى تعلن عن تغيير المكان ، وبدون أن يساورهم القلق اتخذوا طريقهم الى نادى النقابات ، الذى لا يبعد سوى مائتى متر . ولـــكن عندما فطنوا الى أولئك المواطنين الطيبين الذين جاءوا يتظاهرون مستنكرين فى حماية البـــوليس ، ثم راوهم يتحرشـــون بهم ، ويوجهون اليهم الســـــباب بل ويضربونهم ، أدركوا مع تلك الدرجة من الاشمئزاز أن اجتماعهم ، كم هو ضرورى ولا غنى عنه .

وكان وقوف ماتساس عند الباب يزودهم بالثقة ، كما أنه كان يرحب بهم . فقد كان يحاول بذلك الحد من تلك الرهبة التى كان فى وسع رجال البـــوليس أحداثها فيهم ، وهم ينادون بأسمائهم ، مما جعل أنصار السلام هؤلاء يتخيلون انفسهم أمراء ، قد وصلوا الى حفل يقيمه ملوك أصيبوا بالصمم .

وكان بعض رجال البوليس الذين ارتدوا الثيـــاب المدنية ، يهمسون عند مرورهم قائلين :

ـــ هل تريد أن تجد نفسك فى المشرحة ؟

أو يقولون الآخر :

ـــ الم تكف عشر سنوات فى السجن .. من اعادة العقل الى رأسك ؟

لكن وجود ماتساس كان بمثابة البلسم الشافى،أو الملجأ الأمين فى منطقة قمرية مجهولة ، اذ أن هذا الحى الذى أغلقت المحلات فيه ، قد تحول الى حلبة متعطشة الى الدماء .

وكان ماتساس بين الحين والآخر يترك مكانه الى كشك قريب للتليفون ، ثم يتصل منه مرة بالمدعى العام

واخرى بمدير البوليس ، اذ ان ما كان يحدث كان أمرا لا يصدقه أحد . وكلما تقدم الليل ، كانت تلك الوجوه تكتسى بأقنعة تنم عن مزيد من الشراسة ، وما كان واحد من رجال البوليس أو قوات الامن ليحرك اصبعا من اجل نجدة أولئك الذين يضربهم هؤلاء المتجمهرون.

ولم يستطع أن يتصل بواحد منهما ، اذ كان يقال له فى كل مرة انهما ليسا موجـــودين . وعندئذ داخله الشك فيما يدبر لهم ، وتذكر انه منذ أعلن عن هذا الاجتماع فى الصحف ، أصبح هو وبعض الأعضاء تحت رقابة دائمة . فحيثما كان يذهب ، كان يتعقبه اثنان من المخبرين ، مما جعل كافة تحركاته معروفة . وفى ذات يوم استدار بغتة ، وواجه أحد الرجلين اللذين يتعقبانه ، وطلب منه تفسيرا لما يفعل ، فقال له هذا :

ـــ اننى فى الخدمة يا سيد ماتساس .

وقصد من فوره الى رئيس ديوان وزارة شـــمال اليونان ، وكان صديقا له ، ولكن هذا تضع الدهشة، واستبعد حدوث ما يقول . فما كان من ماتساس الا أن قال :

ـــ اذا لم تكن تصدقنى ، فتعال انظر بنفسك .

وذهب به الى النافذة ، وأشار له الى الحارسين اللذين ينتظرانه أمام باب الوزارة . واختفى الرجلان عقب ذلك يوما أو اثنين ، ففكر ماتســـاس فى أنهم قد كفوا عن متابعته ، الى أن علم بعدها أن جميع رجال الأمن قد عبئوا لكى يتولوا حراسة زائر كبير المقام، هو الجنرال ديجول .

وبعد ذلك رأى سيارة أمريكية ضخمة سوداء اللون تتوقف بالقرب من بيته ، حيث تبقى طول النهار ،

والى أن تنطفىء جميع أضواء البيت . وقام بمسعى آخر لدى مسئول كبير،فقصد معه الى مدير البوليس، ولكن هذا قال لهما :

— مما يؤسف له أننا تلقينا تعليمات من وزارة الداخلية ، تفرض علينا أن نراقب أعضاء اللجنة . ورغم تقديرى لك يا سيد ماتساس ، فلا يمكننى مخالفة هذه التعليمات .

كانت هذه هى القرينة الأولى التى اقنعته ، بأن لا شىء مما يحدث فى هذا المساء،يقع بمحض الصدفة. أما القرينة الثانية ، فقد جاءته من صاحب قاعة بيكاديللى ، وهو رجل يدعى زومبوس ، الذى بعد ان وقع عقدا بتأجير القاعة لجماعة أنصار السلام ، وبعد أن تسلم قيمة الايجار كاملة ، وهى ثلاثة آلاف درخمة، اذا به يخطرهم عشية الاجتماع مباشرة أنه لا يستطيع تسليمهم القاعة ، الا اذا هم حصلوا على تصريح من البوليس .

وقد حاول ماتساس جاهدا الحصول على هذا التصريح ، ولكن عبثا . وهكذا الى جانب عملية المراقبة ، أضيف رفض زومبوس تأجير القاعة . ولقد قصد مرة أخرى الى المدعى العام ، لكى يحيطه علما بمسألة أكثر خطورة ، هى ما ترامى اليه عن نية قتل زد ، فقال له :

— ومن الذى ينوى قتله ؟

فأجاب ماتساس : لست أدرى

— اذن .. فاننى ازاء هذا الاتهام المبهم ، لا أستطيع عمل شىء ، الا أن أخطر ادارة البوليس ، وسأتحدث أمامك مع المدير .

وقد فعل ، ولكن مدير البوليس لم يكن هناك ، فاتفق المدعى مع الضابط الذى تحدث معه ، على ان ينقل تحذيره اليه عندما يعود .

* * *

وغادر ماتساس مكتب المدعى العام ، واخذ يبحث عن قاعة للاجتماع . والواقع أنه لم يكن هناك سوى قاعة بيكاديللى ، ولكن صاحبها لم يبق له اى اثر ، فى حين أن زد كان سيصل بالطائرة فى الساعة الثانية والنصف ، وفى رفقته سباتوبولوس ، كما كان عليه أن يذهب لاستقباله مع الآخرين .

لم يكن يعرف زد شخصيا ، ولكنه ماكاد يراه وهو يهبط من الطائرة ، حتى اجتاحه شعور عظيم بالثقة . انه يرى رجلا أصيلا ، قويا ، له جبين مرتفع . انه زعيم ، وبطل العاب البلقان . وكان زد يمسك بيد معطفه الخفيف ، بينما كانت فى اليد الأخرى حقيبة أوراقه . كانت الصورة التى انطبعت فى الأذهان عنه بعد أن نشرت الصحف صورا له فى الشهر الماضى ، بمناسبة المسيرة التى قام بها وحده من ماراثون الى أثينا ، هى صورة رجل معذب . أما عن قرب ، فقد بدا مختلفا جد الاختلاف .

وبينما كانوا يتجهون الى السيارات التى كانت تقف فى انتظارهم ، استدار زد نحوه ، وسأله فجأة ؟

ــ هل تم اعداد كل شىء لهذا المساء ؟

فأجاب ماتساس : مما يؤسف له انه لم يتم اعداد شىء ، فلم نعثر بعد على قاعة ، الجمهور لا يعرف ذلك ، وعندما سيجىء ، لا نعرف أين نبعث به .

لم يضيعا وقتا حتى لتناول الطعام ، فقد تركا الحقائب فى الفندق ، وذهبا على الفور لمقابلة مدير البوليس . واستقبلهما هذا فى فتور ، ولكن بغير أن يبدى عداء سافرا ، وأخبرهما بصفة نهائية ، أن زومبوس يرفض تماما تأجير القاعة .

* * *

فكر ماتساس فى كل ذلك الآن ، ولم يعد يجد فيه أية غرابة . ذلك أن كافة الأمور تتقابل فى نقطة واحدة ، تماما كما تتجه الطرق المتقاطعة نحو مركز واحد ، وهذه النقطة هى تلك القاعة الواقعة فى الطابق الثالث ، والتى أمكن استئجارها فى آخر دقيقة .

ان عملية مراقبته ورفض زومبوس تأجير القاعة ، والمعلومات المجهولة عن محاولة القيام باغتيال زد ، كل هذه الوقائع التى حدثت فى الأيام الأخيرة ، انما كانت تجد لها ، فى الساعة الثامنة وخمس دقائق ، من ذلك المساء الثانى والعشرين من مايو ١٩٦٣ فى مدينة سالونيك ، مكانا طبيعيا ، تماما كما كانت تتكون من مجموعة المكعبات التى يلهو بها وهو طفل ، صورة تبرز فجأة . والصورة التى تتبين له هذا المساء ، هى صورة العدوان الذى يدبر ، تحت سمع البوليس وبصره . فهل لم تعد هناك قوانين فى هذه البلاد ؟ أم أن هذه القوانين قد أصيبت بالشلل ؟ وهل هذه هى المحافظة على النظام ؟

وجاء من يخبره أن القاعة أصبحت مكتظة ، وانه قد حان الوقت لاستدعاء الخطباء . وكان الفندق الذى

ينزل به هؤلاء ، يقع فى المواجهة مباشرة ، وكل ماعليه أن يخوض البحر الزاخر من الجمـــاهير المتراصـــة فى الشارع ، حتى يصل الى الناحية الأخرى . كلف رجلا آخر بالوقوف مكانه ، واستنشق نفســـا طويلا من الهواء ، ثم اتجه الى الفندق .

راح يتقدم كما لو كان يسير فوق حبل مشـــدود ، وقد وجد نفسه فجأة وسط تلك الجماهير ، فأخذيجاهد لكى ينفذ من خلالها . وجاءته ضربة فى ظهره ، ولكنه لم يعبأ ، وواصل محاولته ، حتى وصل الى الرصيف وهو يقول فى نفسه :

ـــ حتى ماوماو .. الا يفعلون مثل ذلك .

ودخل الفندق وقد تزاحمت الأفكار فى رأسه ، لكى يخطر سباتوبولو وزد أن الموعد قد أزف ، فاذا بهما جالسان معا ، وقد توترت أعصابها من طول الانتظار ، وعلى استعداد لدخول ساحة السباع .

* * *

ان الموتى لا يتكلمون .

والموتى لا يعرفون كيف يزيف التاريخ . انهم يروونه بدمائهم ، ثم لا يعرفون على الاطلاق ، ما يحدث بعد موتهم . وهم لا يعلمون مدى تضحيتهم ، وهذا الجهل هو الذى يجعلهم أكثر جمالا ونقاء .

لقد كان المسيحيون الأوائل يعرفون لماذا يضحون بأنفسهم ، وكانوا يسيرون نحو الاستشهاد ، وهم على علم بقضيتهم . ولكن كيف نزعم اليوم اننا نريد أن نضحى بأنفسنا ، اذا كنا لا نؤمن الا بما هو صواب ، وبأبسط انواع الصواب ؟ ومن الذى زعم أن الظلم يتفق مع العدل ، أو أن الفقر يتفق مع الغنى ، أو أن الحرب تتفق مع السلام ؟

وعلى الرغم من أن أحدا لم يخاطر بذلك ، فان هناك كثيرين يبدون كل يوم بأعمالهم وكلماتهم ، كأنما يؤيدون هذا الزعم .

لم يكن يخامره اى شعور أو رغبة فى الاقتداء بالقديسين . كل ما هناك أنه ذاق الفقر ، وتعرض للمرض ، وواجههما ، وكانت هذه هى مهنته . كان يعرف أن هناك مستشفيات تخفف الآلام ، وأن هناك مؤسسات متباينة تتناول أصعب مشاكل العصر وتعمل

على تبسيطها . واذا كانت الرصاصة الواحدة تتكلف ما يتكلفه لتر كامل من اللبن ، وكانت الغواصةالنووية تعادل ما يدفعه شعب بأكمله من أجل طعامه طوال اسبوع ، فاين اذن يكون الومعقول ؟

هكذا كان يرى الأمور ، ومن أجل ذلك كان يريد أن يتحدث فى ذلك المساء . انه ليس شيوعيا ، واذا كان قد انتخب نائبا عن اليسار ، فان ذلك لأنه يرى فى اليسار نفس وجهات نظره . ثم انه ليس واحداً من واضعى النظريات الماركسية ، اى أنه ليس رجلا أسيرا لنظام بعينه . انما هومتفتح على كافة الاتجاهات، وهو يشعر أن التيارات تمر عبرة ، بدون أية عوائق، ولو انه يفضل التيارات التى تغير فيه الدفءوالحماس.

ولقد توصل الى الايمان بأن الآلام الانسانية لا يمكن ان تشفى على المستوى الفردى ، ومع أنه استطاع أن يعالج بغير مقابل الكثيرين من المرضى فى عيادته الطبية أيام الثلاثاء والجمعة ، فانه لم يكن يرى فى ذلك أمرا له جدوى . ذلك أنه يكفى مقارنة مرضاه بالجماهير البشرية الهائلة التى ليس فى وسعها أن تشترى لنفسها أبسط أنواع العلاج ، لكى يصاب بالذعر . ولقد كان ينظر نفس النظرة الى الاحسان .. والواقع أنه ما فائدة اعطاء بعض النقود الى الفقير ؟ ان ذلك لم يقلل عدد الفقراء فى العالم ، ومن هذا فان الذى يجب أن يتغير هو الأسلوب ، حتى يمكن تغيير العالم .

والمشكلة بالنسبة له هى انه يرى أن هذا العالم ، واقع تحت تهديد عبء خطير ، وأن العسكريين أغبياء

دائما ، وأن الاحتكارات تدافع عن الاحتكارات لصالح الاحتكارات .

ولم يكن يهتم بأن يصبح سياسيا محترفا ، لأن مهنته الخاصة هى أن يكون طبيبا ، بل وأن يكون افضل الأطباء ، وأن يصبح أستاذا فى جامعة أثينا ، هذه البلاد التى ليس فيها غير جامعتين اثنتين .

* * *

ولقد كان يحبُ زوجته .

وعندما كانت تبكى وهى تلومه على أنه يخونها ، كانت شرايين رقبتها تنتفخ بالدموع ، فيبدو له كأنها عروق تضرب فى أعماق أصل الحياة . وكانت عيناها المضيئتان ، وعنقها الجميل ، وجسدها الانسانى ، والضوء الذى يشع من روحها ، كل ذلك كان يربطه بالحياة . وعندما كانت تقول له.. اننى احبك .. كان العالم كله يكتسى بنوع ساحر من الجمال .

انه يحب هذه المرأة التى شهد معها النعيم . وحتى وهو فى هذه المدينة البعيدة ، وحتى وقد عرف غيرها من النساء ، فانه يفتقدها الى أبعد الحدود .

لكم تصبح الحياة جميلة ، عندما يثق الانسان فى الشمس ؟ انك تتطلع اليها ويتطلع اليها العالم كله معك ، وانت تحب واذا بالآخرين جميعا يحبون معك ؛ وانت تأكل واذا بك وحدك الذى يأكل ، وليس معك أحد .

من اجل ذلك أصبح نائبا ، ومن أجـل ذلك حول جميع دخله الى الحزب ، اذ أن هذا المال لا شأن له به . غير انه لمـا كان يعرف أن المرء لابد له أولا من أن يملأ معدته ، لكى يستطيع أن يبدى اعجابه بشروق الشمس ، وأن لابد له من أن يكون جسد سليم حتى يستمتع بالحب ، فانه كثيرا ما يلجأ الى وسائل ، غير مقبولة على الدوام .

* * *

ونهض من مكانه ، وتهيأ للخـروج مع الآخرين ، وخيل اليه أن ماتساس مضطرب وهو يقول له :

ـ ليس لديك فكرة عما يحدث فى الشارع .. ولابد من تدبير عدد من الرجال لكى يحيطوا بك .

عند ذلك أجابه قائلا :

ـ لا جـدوى من ذلك .. واذا كانوا رجـالا .. فليأتوا وحدهم .

لكن الآخرين لم يكونوا من هذا الرأى ، فانه يجب عدم اللعب بالنار . وذلك أن جميع قوات البوليس فى الخارج ، تؤيد المظاهرة المضادة ، الأمر الذى يتعين معه اتخـاذ تدابير فعـالة للوقاية ، وعلى ذلك فان البطولة لا تتفق مع هذا العصر .

قال : ـ ومن الذى يتحدث عن البطولة ؟ ان هؤلاء من الجبناء ، وهم من الجبن الى درجة أنهم لن يجرأوا على الاقتراب .

ـــ انهم يضربون خبط عشواء ، وليس هناك من يحاول ايقافهم .

قال : ـــ هيا بنا !

وتقدم الجميع . ورأى صاحب الفندق يحييـــه من وراء مكتبه ، ثم اجتاز باب الخروج . كان الليل قد أسدل ستائره على سالونيك ، وفى مواجهته شهد لوحة تضىء وتنطفىء ، وأحس بهدوء غريب يملأ قلبه .

لم يكن معه سوى الأوراق التى أعـــدها لكى يلقى خطابه ، ثم أنه لم يكن ليجد صعوبة فى قول ما يريد .

وسار الآخرون وراءه ، وبدأوا يقطعون الشارع ، واستطاعوا أن يعبروا التقاطع بغير مضايقة ، الى أن أصبحوا على مسافة بضعة أمتار من مدخل المبنى ، واذا بثلاثة رجال ينقضون عليه من الخلف ، ويضربونه على رأسه ، ويصيبونه بجراح ، ثم سمع من يصيح قائلا :

ـــ يا للنذالة ! ويقولون انهم متحضرون !

واستند الى اكتاف الذين سارعوا لنجدته ، ودخل المبنى . وحاولت موجة كبيرة من البشر أن تتبعه ، فدار صراع رهيب بينها وبين الذين فى الداخل ، الى أن تمكنوا من اغلاق الباب الحديدى .

وكان الوحيد الذى ظل فى الخارج هو سبد توبولوس ، الذى دار فى ذهنه لحظة ، أن هذه الجماهير ســـوف تمزقه اربا .

— ٧ —

قال اشتيوزور ، أو الرجل المعروف باسم الزحافة البحرية :

— ليس ذلك الا فاتحا للشهية .

وكان يعنى بذلك الضربات التى أصابت زد ، وأن حركة العنف سوف تستمر بعد ذلك .

ووافق الجنرال على هذا القول فى صمت ، وابتعد خطوتين ، متظاهرا بأنه لا يعبأ بالأمر . لم يكن يشعر بأى احترام نحو هذا الرجل ، غير أنه كان لا غنى له عنه ، اذ كان العين التى يرى بها فى الطين ، حيث أحط أنواع البشر .

لقد عرفه أيام كانت اليونان واقعة تحت الاحتلال ، وظل منذ ذلك الوقت يلجأ اليه كلما أراده فى أحد الأعمال الدنيئة ، وكان يحضر الاحتفالات التى تقيمها المنظمة .

كانت هذه المنظمة منجاة لأستيوزور ، فلقد فر من اليونان عام ١٩٤٤ ، عندما خرج منها الألمان ، الذين عينوه فى فيينا وزيرا للدعاية ، لما سمى بحكومة اليونان ، الى أن عاد الى هذه البلاد ، اعتقادا منه بأنه سينجو من العقاب . غير أنهم اعتقلوه وحاكموه

بتهمة الخيانة والتعاون مع الأعداء ، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وهو حكم لم يستمر سوى بضعة أشهر وجد نفسه فى نهايتها حريته ، ولكنه ظل بعدها يحتفظ بالاحساس بأن أقدامه لا زالت تلامس رطوبة السجون التى كان يبعث اليها قبل ذلك بمن كان يصفهم بالكلاب اليساريين .ونتيجة لهذاالاحساس، لم يجرؤ على أن يظهر فى أى مكان ، ولا على أن يحاول تولى أى عمل ،الى أن كان اليوم الذى أسس فيه هذه المنظمة لقدماء المحاربون وضحايا المقاومة فى شمال اليونان .

ومن زوايا النسيان والعار ، عاد الى السطح ، اذ أن البوليس قد سارع باحتضان هذا الابن العجيب ، طالما أن هدف المنظمة هو تدعيم قوات الأمن ، فى كل مرة يتطلب الأمر المحافظة على النظام والهدوء فى البلاد ، والدفاع حتى آخر نفس عن الحضارة المسيحية اليونانية .

وكان الهدف الأخير هو الذى اجتذب الجنرال ، وجعله يساند أهداف المنظمة ، بالرغم مما كان يكنه من احتقار لأحد الخونة الذى ارتدى زى الألمان . واقد كانت هناك منظمات أخرى مشابهة ، ومنها منظمة الأمن الوطنى ، ومنظمة ملك اليونان الدستورى ، والقدرة الالهية ، واليونان الخالدة ، التى كان رئيسها الكولونيل كيلكيس ، وهو ضابط بوليس على المعاش .

وكان اليونانيون لا يلقون بالا الى هذه المنظمات ، اذ أنها لم تكن تعدو فى أنظارهم الا تجمعات من العناصر الفوضوية .

ولقد كان يانجوس احد الذين جندوا فى منظمة اشتيوزور ، ولأنه كان يجيد الشجار ، فانهم ألحقوه بفريق الموت . وكان اشتيوزور يقف خطيبا فى أعضاء المنظمة ، شارحا لهم الفائدة التى تعود عليهم فيقول :

ـ اننى اكرر لكم أن هذه المنظمة ستجعل من اليونان فردوسا ، اذا أنتم تجمعتم معا ، وخدمتم سيدا واحدا .

وذات مرة تجرأ أحدالأعضاء واعترض علىمايقول:

ـ ليس الأمر دائما على هذه الصورة !

وهنا راح اشتيوزور يصيح وهو يتوجه بالسؤال الى جميع الحاضرين :

ـ هل تعرفون من كان هتلر ؟ اقرأوا كتاب « كفاحى » ، وسوف تعرفون عنه الكثير .

وأجاب صوت : ـ لقد كان الرجل الذى أقسم أن ينقذ العالم .

فقال اشتيوزور : ـ رائع ! اننى سعيد لأنكم تذكرون ما سبق شرحه لكم . أجل .. أن هتلر كان هو الرجل الذى أراد تصفية اليهود والشيوعيين ...

وصاح أحد الحاضرين : ـ انك تلقى علينا وعودا كثيرة ، ولكننى لا أجد من يشترى البيض الذى نتعيش منه ...

وتنهد يانجوس الى جانبه وقال

— أما أنا ، فأين أعثر على النقود التى أسدد بها دين أرستيد ؟

وقال ثالث : — زوجتى مريضـــة ، ولا أســتطيع علاجها بالمجان ...

وغضب اشتيوزور وقال فى هياج :

— يا لكم من أغبياء ! اننى أحاول أن أجعل منكم رجالا ، ولكنكم لا تتوقفون عن التسول . فما الذى تقدمونه فى مقابل ما تطالبون به ؟

فأجاب يانجوس : — اننا نعطى الضربات .

— اجل .. انك تفعل ذلك ، ولكن الآخرين ليست لديهم مثل هذه الشجاعة .

فقال صوت : — لأنهم جياع ! انهم لا يكسبون الا النذر القليل ...

— لسوف تعيشون كالأمراء ، عندما نصـــل الى الحكم !

— ولكن .. الستم فى الحكم بالفعل ؟

فأجاب اشتيوزور : — ولكنهم يضايقوننا .. انهم يقومون بالمظاهرات ، فيصرفوننا عن الاهتمام بكم . ولسوف تقوم احدى هذه المظاهرات بعد بضعة أيام ، وسيكون عليـــكم أن تقضـــوا عليها . فعليكم اذن أن تتزودوا بالأحجـــار والعصى ، وتنتقلوا الى العمل ، وعند ذلك سوف تجدون التعويض والمكافأة . ولسوف أكون هناك حتى أرى ما يمكن أن تفعلوه ...

وهكذا سارت الأمور فى ذلك المساء ، فقد شاهد يانجوس وهو يتحول بعربته البخارية ، بغير أن يعتريه شعور بالخوف . وعندما رآهم يوجهون الضربات الى رأس زد ، اجتاحه شعور طاغ من الفرح ، وراح يكرر للجنرال :

ـ ان الاسماك الكبيرة ينبغى أن توجه اليها الضربات التى تفقدها الشعور ، قبل أن تستطيع الاطباق عليها .

وتظاهر الجنرال هذه المرة بأنه لم يسمع شيئا مما قال .

* * *

أخذ زد ، الذى أصيب بجرح فى رأسه ولكن بغير أن يترتب عليه نزيف خطير ، يصعد السلم وهو يضغط بيده على المكان الذى تلقى الضربات ، بينما بدأ الدوار يتغلب عليه .

فلقد بدأت الدرجات تتراقص تحت قدميه ، وأوشك أن يسقط . الا أن اثنين أو ثلاثة من زملائه بادروا بالامساك به .

لم يكن قد تطلع حتى الى الوراء ، لكى يرى أولئك الذين ضربوه أمام ضابط البوليس ، الذى شهد كل شىء بغير أن يعبأ ، وبغير أن تبدر منه أقل بادرة لنجدته. لقد كان يرمى بذلك الى الامعان فى اذلالهم ، وأن يشعرهم بأنهم لا شىء . ولقد ضربوه بشىء صلب ، وهو الذى أصابه بهذا الجرح .. انه قطعة من الحجر أو الحديد .

ولم يدخل على الفور الى القاعة حيث ينتظره الجمهور منذ وقت طويل ، وانما قصد الى غرفة مجاورة ، وتمدد على أريكة قديمة ممزقة ، ان الضربة قد أحدثت فيه انفعالا شديدا ، فأراد أن يستريح قليلا. وجعل أحد الحاضرين يقف عند الباب حتى لا يضايقه أحد ، ثم استغرق فى غيبوبة قصيرة .

وعند ذلك راحت الأشكال تختلط فى راسه ببطء . ان ذلك التقاطع الذى عبره منذ قليل عند خروجه من الفندق ، مغطى بأشجار البرتقال المزهره . وهناك ميدان تفوح فيه رائحة الخشب المحجر ، وهناك بستانى عجوز ، يحمل معولا ينظف به الأشجار يقول له :

ـ لا تترك حديقتك يا ولدى للأهمال .

ان الحياة تستعيد جمالها القديم ، عندما يتطلع اليها بعينى طفل . كيف أمكن لهذه الحديقة أن تترك ، حتى يغطيها هذا الشوك والعوسج ؟ ... وهذه الأشجار كيف تهمل حتى يأكلها السوس ؟ وذلك القلب ، لماذا توقفت فيه الضربات ؟

وتغير شكل الميدان فى الظلام ، واتخذ هيئة البيضة. انها بيضة بيضاء ، وفوق سطحها أشكال غريبة ، تكشف عما فى داخلها . ثم تحولت هذه البيضة الهائلة الحجم الى لون أحمر ، مع أن عيد الفصح قد انتهى .. فكيف لا يزال اليوم ، هو خميس العهد ؟

انه لا يزال طفلا ، وقد أجلسته أمه على ركبتيها ، انها أم لها وجه فى لون أديم الأرض ، وهو وجه له خطوط عميقة ، وتعلوه الآلام ، فى تلك القرية التى عاد اليها لكى يقضى عيد الفصح ، اذ أنه يذهب الى المدرسة والبيت مملكتها التى تفتخر بها ، وهى أم حنون ، تنادى عليه دائما قائلة :

ـ يا ولدى .. يا صغيرى ...

ولا تخرج من شفتيها كلمة نابية قط ..

انها الأم الأرض ، ذات يوم مقدس ، وهى بيضة حمراء اللون ، فى مثل لون الدماء التى تجرى فى باطن يـــده .

ان تلك الغيبوبة قد انتزعت شيئا مما يجـــرى فى أعماقه ، وبين الحين والآخر ، ينهار فى داخله شىء جديد . وأدار وجهه الى ظهر الأريكة ، ودفن أصابعه فى عينيه ، حتى لا يرى كل ذلك اللون الأحمر ، الذى ينبعث من الصحراء .

ان كل ذلك يعاوده الآن . ما هذا ؟ وما هذه الأفكار الحمقاء التى تجعله يرتعد ؟ لو أن هاتين العينين كانتا من زجاج ، لمـــا استطاع أن يدفن فيهما أصابعه هكذا .. لو أنه باع بدوره أحدى هاتين العينين الى ذلك المغنى الأسود فى مقابل عشرة آلاف دولار كما يقول الاعلان ، لمـــا كان ... ان أحد الفلاحين قد فعـــل ذلك . أجل .. انه فلاح من اقليم فولوس ، وقد شعر كما لو كان قد ربح فى اليانصيب . أما هو ، فليس مقدر له مثل هذا الحظ قط ، ثم أنه .. ما فائدة أن يكون للمرء عينان اثنان ؟ الا تكفيه عين واحـــدة ؟ لو كان الأمر كذلك ، لاســـتطاع أن يرى قدرا أقل من قبـــح الحيـــاة .

وما بال كل هؤلاء الناس ، الذين لكى يعيشوا باعوا شعور رءوسهم وباعوا عيونهم ؟ ان هذه الشعور هى التى يصنع الآخرون منها الشعور المستعارة التى يتزين بها الأغنياء ، كذلك الأمريكية التى عرفها منذ بضـــعة أشهر مضت عندما جاءته لكى يجهضها . انها عندما خلعت الشعر المستعار الذى تضعه فوق رأسها ،

كشفت تحته ، وكان ذا لون أشقر ، عن شعر بنى قصير ، فى مثل طول شعر الصبى . وعند ذلك تناول الشعر المستعار وراح يفكر :

— ترى من أى امرأة يجىء هذا الشعر ؟ أية شابة قروية شقراء ، فى أية قرية ، هى التى باعته ، لكى تقدم ولا شك نذرا لاحدى القديسات ؟

وعاد الميدان مرة أخرى .

لقد درس هو التشريح ، وهو يعرف أن آخر صورة ترتسم على عينى الميت تظل محفورة الى الأبد فى تلافيف عقله ، وبهذه الصورة يحصل على تصريح المرور الى العالم الآخر . ان الصورة تتخذ بعد الموت مكانا لهـا تثبت فيه على شبيكة العين ، فأى صورة سوف تثبت فى عينيه ، يوم أن يودع الحياة ؟ هل تكون صـورة هذا الميدان ؟ .

* * *

بدأت الأشياء تتخذ أمامه أبعادها الحقيقية ، فرأى الغرفة التى يرقد فيها ، والأريكة التى تمدد فوقها ، وأحس بآلامه وهى تخف وتتوارى .

قال لنفسه فى ارتياح :

— لقد مر الأمر سريعا .

ونهض واقفا ، فشـعر بأنه على ما يرام ، وأنه يستطيع أن يتحدث . وفتح باب الغرفة ، ودلف الى

القاعة ، فأحاطت به موجة من الهتاف ، بينما كانت تجيء من الشارع صرخات الأفاقين والمتسكعين .

وأصبح فوق المنصة ، فتطلع أمامه ورأى تلك الوجوه الحافلة بالمشاعر ، والتى راحت بدورها تتطلع اليه بعيون متعطشة الى بعض قطرات من المطر ، قد تطفىء ما فيها من لهيب .

قال : ــ لقد ضربونى هنا .

وأشار الى مكان الجرح ، فراح البعض يصيحون :

ــ يالعار ! وماذا يفعل البوليس ؟ ماذا تصنع السلطات ؟ اننا وحدنا الذين نتعرض للاضطهاد ، أما الآخرون فيتركونهم يفعلون ما يشاءون . فليدخلوا الى هنا اذا شاءوا !

ــ ان هذا الصراخ لن يجدى فى شىء ، والأفضل أن نغلق مصاريع النوافذ جميعا .

ونهض ثلاثة رجال وأخذوا يفعلون ما أشار به . وعندما فتحوا الزجاج لكى يغلقوا المصاريع الخشبية ، اجتاحت القاعة عاصفة من الضجيج تشبه هدير البحر ، دليلا على أن الهياج قد بلغ قمته ، وأن القوم قد يشعلون النار فى المبنى ، ويحرقونهم فيه كالفئران .

وتعالت فى الخارج صيحات تقول :

ــ على البلغاريين أن يعودوا الى بلادهم !

ــ زد سوف يموت !

ضغط على الجهاز الموصل بمكبرات الصوت الموضوعة بالخارج ، واقترب من الميكرفون وقال :

ـــ اننى أطلب من مدير البوليس حماية حياة زميلى سباتوبولوس . انه معرض لخطـــر المـــوت . لقـــد اختطفوه !

ثم وجه حديثه الى القاعة قائلا :

ـــ أرجو الهدوء .. والا فاننا لن نحصـــل على شىء .

وفتح حقيبة أوراقه ، وأخرج منها بضع ورقات . لم يكن فى نيته أن يقرأ نصا مكتوبا ، ولكنه يريد بضع ملاحظات ، هى هيكل ما ينوى أن يدلى به . وقال :

ـــ اننى أبادر بتوجيـــه الشـــكر على دعوتكم لى للحضور اليكم ، فنحن غير منعزلين عن بعضنا البعض، بل أن العالم كله يدير أبصاره فى هذه اللحظة الينا ، والجميع ينتظرون الكثير من هذا الاجتماع . وأنتم أيها الحاضرون ، لقد جئتم لأنكم لا تتراجعون أمام أى شىء، غير أن هناك كثيرين لم يتمكنوا من ذلك لعدة أسباب..

وانطلق من الشارع حجر ، أصطدم بمصراع النافذة، بينما مضى زد يقول :

ـــ دعوهم يلقون أحجارهم ، فسوف تعود وتسقط فوقهم . ان السلام كما ترون فكرة غير مقبولة لديهم .. فلماذا يفعلون ذلك ؟

وارتفعت من القاعة أصوات تقول :

ـــ نريد نزع السلاح !

ـــ فليغلقوا القواعد العسكرية !

— علينا أن نخرج من حلف الاطلنطى !

فقال زد : — لا تقاطعونى . ان السلام ليس مجرد فكرة ، ولكنه عمل ، ولابد له من رجال يدافعون عنه ، والعالم لا يمكن العيش فيه ، الا اذا ساده السلام .

وعادت الهتافات فى القاعة :

— ديموقراطية !

— نزع السلاح !

— لا نريد مزيدا من سفك الدماء !

— الرصاصة الواحدة تتكلف ثمن لتر من اللبن !

— نريد السلام ! نريد السلام !

وعاوده الدوار ، فضغط بيده على جبهته . كان يستمع الى الشعارات تدوى حوله ، كما لو كانت ضربات المطارق فوق رأسه ، ويصغى الى صيحات الحقد الصاعدة من الشارع عبر الزجاج المحطم ، فيختلط الاثنان معا ، فيشعر أنه وسط ضجيج هائل كأنه صادر عن البراكين . ورأى أمامه ما يشبه المعدن المنصهر ، الذى يأخذ بعد ذلك فى التجمد على هيئة الكتل . انها كتلة قابلة للتشكيل ، وهو الذى عليه أن يشكلها ، فماذا يصنع بها ؟

ان الجو لم يعد مهيأ للهدوء ، فقد بدأت النفوس تشتعل ، وهؤلاء الحاضرون لن يظلوا كالقطيع فى انتظار الذئاب التى تتصايح فى الخارج .

قال لنفسه :

— يجب أن أتكلم .. انهم هنا ينتظرون . لقد تركوا بيوتهم وجاءوا الى هنا لكى يسمعونى أتحدث ، وعلى أن أتكلم . ولكن ما الذى أقوله لهم ، ومن أين أبدأ ؟

ان لدى الكثير ما أريد قوله ، مما يجعلنى لا أستطيع أن أنطق بكلمة واحدة فى غير موضعها . ان الطيور الجارحة تحلق فوق صحراء ، ما هى بالصحراء ، والحب للجميع وليس لشخص بالذات ، وهذه هى المشاعر التى تساورنى الآن .. اننى وحيد ، والرعب يتعاظم ، وكل انسان وحيد فى نهاية الأمر . ان علينا أن نخدع أنفسنا ، ومن الأفضل لنا أن نرى عكس ذلك ، وكل منا يتألم على انفراد ...

وتوقف هنيهة عن التفكير ، ثم قال :

ـ اننى أحمل اليكم تحيات اولدرماستون وبتى امباتيلو التى لا يزال زوجها سجينا ، وتحيات جميع أنصار السلام فى العالم . انهم فى هذه اللحظة معكم بأفكارهم ، فلقد أصبح السلام اليوم عقيدة جديدة ، المجانين وحدهم هم الذين لا يؤمنون بها . ان الموتى لا يتكلمون ، ولكن لو أنهم استطاعوا ذلك ، لقالوا الكثير عن الذين قتلوهم . ولو أنهم هبوا من قبورهم ، لسألوهم : لماذا ؟ ولكن الموتى كما قلت لا يتكلمون ، وعلينا أن نتحدث نيابة عنهم ، وعلينا أن ندافع عن القضية فى غيابهم ... اننا جميعا أخوة ، فوق هذه الأرض الصغيرة . فكروا فى الكواكب الأخرى ... ومن أجل حياة كريمة ، حياة لا تنتهى قط بالقتل ، ادعوكم للمسيرة الكبرى من أجل السلام .

قال الحاضرون :

ـ نريد السلام ! نريد السلام !

ـ فليسقط حلف الأطلنطى !

ـ لن تمر الفاشية !

ـ ولن يمر الارهاب !

وتصاعدت من الشارع الشعارات المضادة :
ـــ على البلغارين أن يعودوا الى بلغاريا !
ـــ هذه الليلة نهايتكم !
ـــ الموت لزد !
قال لنفسه : ـــ انهم يصيحون .. ولكن ليس لديهم ما يقولونه .

قال موجها الحديث الى من هم فى الشارع :
ـــ سيدى المدعى العام .. سيدى المحافظ .. سيدى الجنرال ... سيدى مدير البوليس . أنتم جميعا يا من تقفون فى الخارج ، اننى أطلب حمايتكم ، وها أنا أجذب شارة الخطر !

لم يأت أى رد . ان الليل يضع عقدته حول عنقه ، ولو أنه ضيق عليه الخناق قليلا ، لحدث الاختناق . والليل وحده هو الذى يبقى مع دوران الأرض حول محورها .
قال فى نفسه :
ـــ أيها الليل .. لماذا أنت رقيق فى هذا المساء ؟ لماذا لا تسمح للبشر بأن يلقوا بأنفسهم فى أحضانك ؟ ومن الذى أصابه الارهاق .. ومن يريد أن ينام ؟
وتعالت الهتافات :
ـــ عاش السلام !
ـــ ليسقط حلف الأطلنطى !

— ٩ —

تضايق الجنرال وهو يستمع الى الشعارات التى تنقلها مكبرات الصوت فى الخارج ، وأحس برغبة فى الصعود الى مكان الاجتماع ، وحصد كل من فيه بمدفع رشاش . الا أن هذه الشعارات كانت تجد لها صدى من ناحية أخرى لدى المواطنين المستكرين ، ولدى تلك الطبقة الفقيرة التى تجمعت فى الأحياء البائسة بأمر من ادارات الأمن فى مراكز البوليس المختلفة ، وترى فيها أفضل مبرر لها .

ولقد كان الجنرال يعلم الأمر الذى أصدرته هـذه الادارات ، اذ أن كافة الاجراءات التى أعدت لليسار ، كان يتعين أن تعرض عليه أولا للموافقة عليها ، خلال ذلك الصراع الأبدى بين المادة والروح .

كان ذلك هو الشىء الذى يعشقه ، أو هو نقطة الضعف فيه .

وهكذا فان مكبرات الصوت ، انما كانت تهيىء له ذريعة رائعة ، فان جميع هؤلاء المواطنين المسالمين ، الذين يتجولون على غير هدى فى قلب المدينة ، قد التقوا فجأة بهذه الشعارات الملتهبة التى يرفعها اليساريون ، فرأوا أن من واجبهـم الوطنى أن يرفعوا فى مقابلهـا شعاراتهم . وبهذه الطريقة البسيطة ، نشأت هـذه المظاهرات المضادة .

على أن مدير البوليس الذى وصل فى هذه اللحظات الى مكان الاحداث ، كان له رأى يخالف ذلك . فلقد كان يريد أن يصعد أحد الضباط الى الاجتماع مهما كان الثمن ، ويصدر للمجتمعين أمرا بانتزاع مكبرات الصوت . لكن الجنرال أجابه بحزم بأن من الحكمة أن ينتظر ، ومع أن مدير البوليس لم يبد عليه أنه سيأخذ بهذا الرأى على الفور ، الا أنه كان يعرف أن الجنرال هو رئيسه ، كما أنه تعلم الا يتدخل فى المسائل السياسية . ومن أجل ذلك فانه التزم الصمت الكامل ، ولم ينبث ببنت شفة .

وفضلا عن ذلك ، فان مدير البوليس كان قد تعلم خلال الاعوام الماضية أن يقف فى مثل هذا النوع من المسائل ، عند حدود واجبه فقط كرجل بوليس أمين ، تاركا جانبا ما يطرأ من تعقيدات فيها لخبرة ذلك الثعلب العجوز .

وقال له الجنرال وهو يمضى ناحية اليمين :

— احرص على الا تترك أحدا يلتقط أية صور .

واشعل مدير البوليس لفافة راح يدخنها .

* * *

— ١٠ —

كان فانجوس يقف خلف العربة البخارية وقد بدت عليه أسوأ صور انحطاطه ، وراح يدخن فى عصبية واضحة . لقد كان ينتظر ، والهراوة بين فخذيه، أن يدق فانجوس على الزجاج الذى يفصل بين الصندوق الخلفى ومقعد السائق ، لكى يسرع بالانقضاض والضرب .

لم يكن يسمع الشعارات التى تتردد ، ولم يكن يرى الوجوه ، فما كان يحدث حوله لم يكن يهمه فى شىء . كان يعرف أن هناك من يحميه ، وكان ذلك بالنسبة لرجل مثله خارج على القانون ، بمثابة شعور ثمين ، يضمن له أنهم لن يقبضوا عليه قط ، ولن يفضحوه قط . وكان البوليس فى تصوره يوافق على مايصنع .

ولقد فكر عند تحرير البلاد أن الفرصة قد تهيأت لليسار ، فبادر وان كان ذلك متأخرا الى تسجيل اسمه فى صفوف الشباب الشيوعى ، على أمل منه فى أن يقف الى جانب سادة الساعة . ولكن ما كادت الرياح تغير اتجاهها ، حتى سارع وانضم الى الجانب الآخر ، بعد أن ناشدهم بأن يقبلوه بوصفه ابنا بارا لهم . المهم بالنسبة له ، أن يكون ممثلو النظام والقانون معه .

ثم أصبح مع مرور الوقت رئيسا لقطاع الشباب الوطنى فى كاتو تومبا . الا أن البعض وشى به فما كان

منهم الا أن أبعدوه عن هذا القطاع . وعينوه بعد ذلك مشرفا على أحد المعسكرات الصيفية ، فوجد أعداءه فرصتهم مرة أخرى لاقتلاعه منه ، فلم يجد أمامه سوى البوليس ، وعند ذلك بذل كل جهده لكى يبقى من بين المسجلين فى أوراقه السرية .

وقد أثمرت جهوده هذه ، ثم توجت عندما عينوه من ضمن حراس الملكة فردريكا . انه لا يزال يحمل معه فى حرص شديد،تلك الصورة التى تمثله وهو واقف الى جانب الملكة ، كأجمل هدية بعثتها اليه السماء فى حياته كلها . ولقد سار فوق الآثار التى تركتها أقدامها الملكية على الأرض ، واستنشق ذات الهـواء المعطر بأنفاسها .. ولم يكن ذلك بالشىء القليل . حقا ان النساء لم يكن يثرن لديه أى اهتمام ، ولكن الملكة كانت شيئا آخر . انها أكثر من امرأة ، انها رمز الفضيلة . ولقد تمنى من كل قلبه أن تقع بعض الحوادث أثناء تلك الزيارة ، وصلى فى سره للسماء حتى تحقق له هذه الأمنية . ولكن شيئا من ذلك لم يقع ، اذ كان الفلاحون يحنون رءوسهم حتى تكاد تلمس الأرض ، بينما الملكة تسير فى شموخ واستعلاء وانطلاق .

كانت باقات الورود مكدسـة فى كل مكان ، وقـد ارتدت النساء الثياب التى يؤدين بها الصلاة ، وأخذت النواقيس تدق ، ويلقى عمد القرى خطابات الترحيب، والفتيات الصغيرات يلقين أبيات الشعر ، وهن يقدمن اليها زهور الريف اليونانى .

ان فانجوس لا يزال يحتفظ بذكرى ذلك اليـوم ، بوصفه أفضل مكافأة وجزاء تلقاه فى حياته ، وخطوة فى صعوده الصعب الى مناصب السلطة .

وهو اليوم قد اختير لمهمة جديدة ، ومعه رفيقه يانجوس ، وهو فتى لا بأس به ، بالرغم من أنه ليس هينا .

* * *

وفى اللحظة التالية شعر بالعربة تقف فى ليونه ، وقبل أن يقفز منها ، رأى المصباح الكشاف لاحدى سيارات الاسعاف يضىء بقوة وهى تقترب فى سرعة كبيرة . وتوقفت السيارة على بعد مترين من عربة النقل البخارية ذات العجلات الثلاث ، وخلال ذلك كان يانجوس قد هبط منها ، ولحق به وقال له :

ـ من الذى سنتولى ضربه ؟
ـ الجريح الذى فى سيارة الأسعاف .
ـ وهل نضربه حتى الموت ؟
ـ يجب أن يظل غائبا عن الوعى .

وتطلع فانجوس حوله ، وفطن الى أنه فى شارع دارجوميس ، بالقرب من طريق الاسكندر الاكبر ، فخيل اليه أولا أن من الخطر عليه أن يظهر فى هذا المكان المأهول بالمارة . وفى سرعة ، جاء عدد من المأجورين فأحاطوا بسيارة الاسعاف ، تعرف فانجوس على بعضهم ، فصنعوا بأجسادهم حاجزا ، حال دون السيارة من أنظار المتطفلين .

وقصد فانجوس مباشرة الى الباب الخلفى للسيارة ومعه يانجوس ، ففتحاه فى عنف ، ودلفا الى داخلها .

كان رجل ذو قامة متوسطة ممددا فوق حمالة ، وقد تلوثت رأسه بالدماء . وكان الضوء الخافت الذى يأتى من باب السيارة ، يضفى عليه لونا مائلا الى

الخضرة . وحاول الرجل فى حركات ضعيفة أن يقاوم ، كما تفعل النملة عندما تنقلب على ظهرها وتبحث عن أى عون .

وأمسك يانجوس بساقى الرجل ، بينما وجه اليه فانجوس ضربة هائلة من هرواته الى رأسه . ولابد أن الضربة قد أخطأت هدفها ، لأن الرجل كان لا يزال يجد قوة للتحرك . ورفع فانجوس هراوته لكى يهوى بها مرة ثانية ، فانبعث منها صوت تردد فى السيارة كلها . وعند ذلك أخذ الجريح يصيح :

ـــ النجدة .. النجدة !

سارع فانجوس بوضع يده على فم الجريح لاسكاته، ولكن الرجل عضها ، فصرخ فانجوس من فرط الألم وهو يقول :

ـــ الم تمت بعد أيها القذر ؟

ولاحت له فى هذه اللحظة سحنة السائق وهو يتطلع اليه فى ذهول ، وقد تسمر فى مقعده الأمامى ، ثم وجه المرض الذى راح يحاول فى استرخاء ابعاد يانجوس عن الضحية ، التى ترقد بغير دفاع .

وخيل ان الجريح قد التحم تماما بالحاملة التى يرقد فوقها ، وفى جهد كبير تمكنا أخـــيرا من اخراجه من الســـيارة .

وصاح صوت : ـــ اقض على هذا البلغارى !

وقال آخر : ـــ اسكت هذا الخائن !

ـــ اعطوه المزيد .. اعطوه المزيد !

لقد انجزا الآن مهمتهما ، وأصبح على اثنين آخرين من بين الذين يحيطون بسيارة الاسعاف ، أن يتكفلا بالباقى . وقد رآهما فانجوس وهما يقتربان وينفخان

فى راحتى أيديهما ، بينما كان الضحية يرقد على الأرض .. وعند ذلك أصـــدر فانجوس أمره الى الســـائق قائلا : ـــ انصرف .

واغلق السائق والممرض باب الســـيارة الخلفى ، وانطلقا بها . وعاد بانجوس الى عربته ذات العجلات الثلاث ، وتبعه فانجوس وتسلق من الخلف ، ومن ذلك المكان رأى المشهد برمته . لقد انتهيا الآن من عملهما ، الذى انجزاه على الأصوات المنغمـــة التى تقول : ـــ اقتلوه .. اقتلوه !

وعند ذلك ترك العمـــلاقان ضحيتهما ملقـــاة على الأرض ، ومضيا فى طريقهما . وقد تحرك بانجوس بعربته فى نفس هذه اللحظة ، وقبل أن يصل بها الى المنعطف ، استطاع أن يلمح اثنين من المارة وهما ينحنيان على الجسد الملقى بلا حراك ، ثم وهما يحاولان حمله ، بغير أن يعرف اذا كانا سيتمكنان من ذلك .

* * *

ذلك الرجل الذى كان يسنده اثنان من المارة ، وكان يتجه الى مقر خدمات الاسعاف وهو يترنح ، بعد أن أفلت بمعجزة من أن يمزقوه اربا ، فى قلب شارع دراجوميس ، هو النائب جورج بيروشاس ، الذى كان يمر فى ذلك اليوم بمدينة سالونيك .

ولم يكن لديه أى سبب يدعوه الى الوجود هناك ، كما لم يكن هناك ما يحمله على أن يقصد فى هذا المساء الى اجتماع انصار السلام . غير أنه كان فى الليلة السابقة فى أثينا ، وفى بيت (زد) يستمعان الى اسطوانة لبعض قصائد الشعر ، فقال له (زد) فجأة :

— سوف أراس غدا اجتماعا فى سالونيك .

وعند ذلك قطب الرجل جبينه ، وسأل زد :

— ولماذا هذا العناد ؟ اننى لا أريد أن اثنيك عن الذهاب ، ولكن عليك أن تكون على حذر . اننى من تلك المنطقة ، وأعرف أهلها جيدا .

وتوقف برهة ، ثم أردف قائلا :

عمدوا الى ضربك ، لا تشغل نفسك بالرد عليهم ،

— اصغ الى هذه النصيحة الأخيرة ... اذا هم

فأجاب زد : — لو اننى ضربت أحدهم ، لصرعته على الفور ، وليست لدى النية فى أن أصنع ذلك . ولكن لا تتركهم يفعلون بك ذلك .

ومع ذلك ، فان جورج بيروشاس استقل القطار فى نفس ذلك المساء ، بغير أن يبلغ زد ، وهبط منه فى الصباح فى سالونيك . ولقد أحاطوه على الفور علما بالصعاب التى لقوها للعثور على قاعة ، وبما يتردد من شائعات حول اغتيال زد ، وبالاحداث الأولى التى وقعت أمام نادى بيكاديللى . ولقد كان يتعين عليه أن يسافر فى نفس المساء الى (كافالا) ، ولكنه أجل سفره ليكون بالقرب من زد .

كان معجبا بزد ، معجبا بشهامته وكرمه ، وعندما سقط منذ ثلاثة أشهر مضت مريضا ، واضطر أن يدخل المستشفى فى أثينا ، كان زد الى جواره كما يفعل الشقيق بشقيقه . لقد كان يكفى أن يتصل اتصالا تليفونيا بسيطا ، حتى يجد الابواب كلها وقد فتحت على مصراعيها ، وكان الجميع ينظرون اليه فى منتهى الاكبار .

وقد جاوز اعجابه بهذا الرجل أى اعجاب يمكن أن يحظى به واحد من البشر ، كما أن ما لمسه فيه من عدم معرفة بشرور العالم كانت تبلغ فى بعض الأحوال مقدار ما يعرفه الأطفال ، كان يثير فيه شعورا أبويا نحوه ، يدفعه الى أن يضفى عليه حمايته .

وفكر جورج فى نفسه :

ــ طالما أنهم أصابوه بجراح قبل الاجتماع .. فلابد أنهم قد عقدوا العزم على ما هو أبشع من ذلك عند خروجه .

لقد كان يعلم أن زد مزهو بنفسه وشجاع ، فأراد أن يذهب اليه وينبئه بألا يخرج وحده ، وأن يأخذه معه، على أن تحيط بهما مجموعة من الشباب الأشداء للدفاع

عنه . ولو أنه رفض ذلك ، فان كان سيحمله عليه بالقـــوة .

وهكذا غادر مقر اليسار الديمقراطى الموحد حيث ظل طول الوقت الى جانب التليفـــون ، لكى يتـــابع الأحداث وفى صحبته توكاتليدس ، وهو الوحيد الذى كان موجودا فى تلك الساعة . وقد ذهب الاثنان معا الى الاجتماع ، ومع أنه كان يعانى من قلبه ، وانه كان فى دور النقاهة من مرض ألم به ، الا أن ذلك لم يكن يعنيه كثيرا . فلقد أحس بغريزته أن عليه أن يذهب ، وكان يأمل اعتمادا منه على شـــارة النائب التى علقها فى عروة سترته ، أن يتركوه يمر فى سهولة.

كان الاجتماع منعقدا غير بعيد عن ادارة اليسار الديمقراطى . وما أن وصل الى شارع (ايرمو) ، حتى فطن الى ما يمكن أن يحدث فى هـــذه الليلة ، فسرت فى بدنه رعشة هزته من أعماقه . لابد أنهم أطلقوا هذه المره السباع من عرينها . وكلما اقترب من المكان ، تناهت اليه الهتافات وقد أخذت تتضح . انه لم يكن يتوقع قط هذه الدرجة من الوحشية ، فقد كانت هناك مجموعات صغيرة متناثرة ، يتحرك حولها عدد من مثيرى الشغب ، راحوا يهيئون الجو ، انتظارا لمجىء الفريسة .

وبالرغم مما كان يحس به من ضعف ووهن ، فانه قرر أن يبذل كل جهده لكى يصل الى مدخل المبنى الذى يعقد فيه الاجتماع . ولم يفطن اليه فى البداية أحد ، فاجتاز ذلك الميدان الحافل بالألغام ، كما يفعل الرجل الذى يعرف عمله جيدا . راح يتفرس فى الوجوه من حوله ، لكى يحفر فى عقله هذه الملامح ، اذ أن الدناءة

التى حفلت بها هـذه الليله سوف تصبح بفضـله ، موضوع مناقشات كبرى فى البرلمان .

وطلب بوصفه نائبا أن يرى مدير البوليس ، فتوجه بالسؤال أولا الى شرطى ، فأجابه هذا بأنه لمح المدير يتجول فى مكان ما وهو يرتدى ثيابا مدنية ، ولكن الظلام لا يمكنه من معرفة مكانه على وجه الدقة . وأخذ يتنقل بين رجال البوليس الذين اختلطوا بالمتجمهرين ، حتى وصل الى قرب الباب،حيث وقف ضابط صف وجاويش وشرطى فى الحراسة . ولكن فى حراسة من ؟

وطمأنه الثلاثة على أنه يسـتطيع الدخول بدون مخاطر،وكانت مكبرات الصوت التى ركبت فى الشرفات قد صمتت فى هذه اللحظة ، ومن حوله كان فيضان من الاحجار وقطـع الأخشـاب والحـديد ، التى كان المتجمهرون يقذفون بها المبنى ، فتسقط أمام الباب .

وجاءته ضربة على رأسه ، فأحس أن العالم يميد من تحته . واستدار الى الخلف ، فشاهد رجلا فى مقتبل العمر ، قوى البنية ، يمسك بين يديه بقضيب من الحديد ، وهو يتأهب ليضربه مرة ثانية ، وأخذت الدماء تصعد الى وجنتيه الجافتين المجعدتين ، وقبل أن يغيب عن الوعى حانت منه نظرة الى ضابط الصف والجاويش والشرطى ، وهم يشهدون فى صمت وبدون حراك ما يحدث ، كما لو كانوا عددا من التماثيل فى احدى الحدائق العامة .

وصاح فيهم جورج : ماذا تنتظرون للقبض عليه ؟

وأجابه ضابط الصف قائلا : ـ عليك بالهدوء .

ـ وكيف أهـدأ ، وقـد ضربت ؟ اننى نائب فى البرلمـان !

ومع هذه الكلمات شعر أن قواه تتخلى عنه . ثم وصل توكاتيدس فى هذه اللحظة ، فأسنده وذهب به الى وراء الباب الحديدى ، فأخرج منديلا راح يجفف به الدم الذى ينبثق منه . ورأى سيارة أجرة تقف عند الباب ، فخيل اليه أنها الوسيلة التى سوف تنقله على عجل الى المستشفى . ولكنه قبل أن يهم بالخروج ، رأى اثنين من المحرضين يقتربان من السيارة،ويهددان السائق ، الذى اضطر للمضى بها ، بغير أن يقوم رجال البوليس بأدنى حركة .

ومن أعماق غيبوبته ، وبينما الدم لا يريد أن يتوقف عن الانبثاق ، وقلبه يخور تدريجيا ، سمع نفسه يهمس قائلا :

ـــ يجب تحذير زد بألا يخرج اطلاقا وحده .. انهم أكلة لحوم البشر .. وسوف يقتلونه قتلا .

وفى هذه اللحظة اجتازت سيارة اسعاف تقاطع الطرق أمام المبنى مصادفة ، فعمل توكاتليدس على ايقافها ، وأصر على أن تنقل المصاب . غير أن عشرات من الرجال أحاطوا بالسيارة ، وسدوا عليه طريق المرور اليها . وصاح رجل يرتدى معطفا واقيا من المطر :

ـــ ان هذه السيارة لبنى البشر .. وليست لهؤلاء !

وأشار بمظلة يمسك بها الى الباب الذى كان الجريح ينزف دمه وراءه . وبدا الرجل كأنه أحد اللوردات البريطانيين ، بسلوكه المترفع ، وشعره اللامع ، حتى ليخيل أنه « مايسترو » احدى الفرق العازفة .

وعاون اثنان من أنصار السلام كانا واقفين خلف الباب توكاتليدس ، على حمل جورج بيروشاس والسير

به حتى سيارة الاسعاف ، وعندما مر الجريح بالرجل ذى المظلة ، استدار هذا اليه مهددا . ونادى النائب ضابط شرطة يضـــع على عينيه نظارات وكان يمر بالقرب من المكان ، وقال له :

ـــ الا ترى أنهم سيبدأون من جديد ؟

ووافق ذو النظارات على أن يقول لصاحب المظلة :

ـــ هيا .. ابتعد .

غير أنه لم يقم بأقل حركة لابعاده .

وسار الرجل متبخترا ، تتدفق الشتائم من فمه ووضعوا بيروشاس فى الســـيارة ، ومددوه فوق النقالة ، بينما الدماء التى نزفت منه تلوث جسده ، وهو بين اليقظة والاغماء . وأصر توكاتليدس ورفيقاه على مرافقته ، ولكن دون جدوى . قالا للضابط :

ـــ الا ترى أنه لابد من وجودنا معه ؟ انهم سوف يمزقونه اربا !

فأجاب الضابط : ـــ هناك ممرض فى السيارة .

وتحركت السيارة ، وأطلقت جهاز التنبيه بها لكى تفرق جموع المشـــاغبين ، ولـــكن ذلك لم يزدهم الا تكدسا ، ثم فجأة انقضـــوا جميعا على الســـيارة ، وراحوا يمزقون ما فيها من ستائر ويحطمون ما بها من زجاج ، وقد بدأ أنهم متعطشون لمزيد من الدماء .

* * *

وفوق الرصيف المواجه ، أتى الجنرال بحركة تدل على الارتياح . لقد كان لديه حساب يجب تسويته مع بيروشاس هذا ، وهو حساب قديم يعود الى أيام الاحتلال ، عندما اشترك الاثنان فى المقاومة ، ولكن

فى وحدتين متنازعتين ، قررت كل منها أن تقضى على الأخرى وتمحوها محوا .
وهاهى عدالة الأرض تنتصر فى هذا المساء .

* * *

وعندما رأى توكاتليدس سيارة الاسعاف وقد انقض عليها الغوغاء ، أراد انقاذ بيروشباس وأن ينتزعه من مخالبهم ، غير أنهم واجهوه بسيل من الضربات ، ورجموه بالأحجار ، فاضطر الى التراجع والاحتماء خلف الباب الحديدى للمبنى ، وهو ملاذه الوحيد .
وأصبح النائب وحيدا داخل السيارة ، التى تحولت الى قفص تحطم زجاجه ، وراحت القبضات تنهال عليها من الخارج ، فيتردد صداها مروعا فى الداخل ، بينما سقطت كشافاتها على الكتل البشرية المحيطة بها ، وتوقفت أجهزة التنبيه فيها عن الصراخ ، واذ بدأ الهجوم الحقيقى على السيارة ، أحس أن نهايته قد دنت . لقد مر كل شىء على وجه السرعة ، حتى أنه لم يجد وقتا لادراك ماحدث .
لقد خرج لتوه من المستشفى ، وها هى سيارة الاسعاف تعيده اليها ، غير أنه فى هذه المرة كان واثقا من أنه سوف يلفظ أنفاسه فى منتصف الطريق . ان زد لا تزال أمامه فرصة للنجاة ، وهو اذ يجعل من نفسه فريسة لغضبهم ، فقد يجنب صديقه الخطر الذى يتربص به .
وتمنى بينه وبين نفسه أن يحدث ذلك ، فان زد قد يكون أكثر نفعا منه . لقد أعطى هو أفضل ما لديه ، فهو يناضل منذ عام ١٩٣٥ ، وزجوا به فى كافة سجون ميتاكساس ، وشارك فى كفاح المقاومة ، وخاض

الحرب الأهلية ، وكابد النفى من البلاد ، وظل حتى الآن على قيد الحياة .

وهو نائب فى البرلمان منذ خمسة أعوام ، عن اقليم تتدهور زراعة الطباق فيه عاما بعد عام ، وعن مدينة عمالية يهاجر أهلها جماعة بعد الأخرى ، لانعدام العمل فيها . لقد بذل كل جهده ، ولكنه يرى أن هناك من هو أفضل منه . ان رجلا آخر قد يستطيع أن يشغل مكانه الخالى ، ولكن زد لا يمكن الاستغناء عنه . انه بالكاد بدأ يدخل ميدان النضال ، وهو سليم مكتمل القوى ، ولديه بما يتمتع به من بسالة وعلم ، الكثير لكى يعطيه .

وفكر جورج : — فلأكن أنا فدية له .

وعند ذلك تبدت له من حيث لا يعرف ، جميع صور قتل الزنوج وتمزيقهم اربا ، وهى الصور التى كان يقرأ أنباءها فى الصحف .

ومرر يده على جبينه ، ففطن الى أن دمه قد جف . وتراءت صورة ابنته ، الطالبة فى كلية الزراعة ، بوجهها الجميل وعينيها اللامعتين . لو أنها تعلم أين يوجد والدها فى هذه اللحظة ! انها سوف تعلمه على كل حال فى الغد من الصحف ، ثم تبكيه فى مرارة . ولكن .. لكم يسعده هو أيضا ، لو أنه قرأ صحف الغد .

كان يعرف أنهم يكونون حاجزا حول السيارة ، بغير أن يراهم ، وأنه موضوع داخل شىء لا يحميه ، وأن هذا الشىء لا يستطيع مجرد التقدم ، بعد أن سمروه فى الأرض .

لم تعد فيه أية قوة للمقاومة ، فراح يردد فى نفسه:

— لقد دنت ساعتى .. لقد دنت ساعتى .

ثم رأى باب السيارة ، واثنين من العمالقة يتقدمان نحوه . وبعد ذلك لم يعد يذكر شيئا ، الى أن وجد نفسه فى مكان ما ، وحوله بعض الأطباء يضمدون له جراحه ، فأخذ يتساءل عن المعجزة التى جعلته لايزال على قيد الحياة .

* * *

— ١٢ —

أخذ الرجل الذى يطلقون عليه اسم (المروض) ، أو فاروناروس ، وفى بعض الأحيان فاروناس ، يوجه الضربات حتى أحس بالانتشاء ، رضاء عن نفسه . وجفف بعد ذلك يديه فى بنطلونه ، وتراجع على عقبيه ، لكى يذهب لتسوية الحساب مع أشخاص آخرين . وعندما رأى رجلين يحملان جورج بيروشاس ، راح يسألهما :

ـ لمـــاذا تهتمان بهذا البلغارى ؟

وقال رجل كان واقفا الى جانبه :

ـ لقد لقناه نحن المقدونيين درسا لا ينسى .

وصدق فاروناروس على ما قال ، وأضاف :

ـ هل هذا انسان ؟ انه خرقة ممزقة ، ولا يستحق أى اهتمام .

ـ سواء كان خرقة أو لم يكن .. فان ذلك لا يمنع انه أحد النواب .

لاذ فاروناروس بالصمت . لم يكن يعرف على وجه الدقة ماذا تعنيه كلمـــة نائب ، كما أنه لا يعبأ على الاطلاق بمعرفة ما الذى تعنيه . كل ما هناك انه يعلم أن اليوم هو الأربعاء ، وأن المحلات تغلق أبوابها بعد الظهر ، وأنه عاد الى بيته فى ساعة مبكرة .

لقد كان ينوى أن يعود الى الحانوت الذى يعمل فيه فى المساء ، لكى يتسلم التين الذى كان جـورج السمسار سيحمله من (ميشانيونا) . انه من بشائر التين فى هذا العام ، والذى كان يتعين عليه أن يضعه تحت قماش ندى حتى يحتفى به طازجا حتى اليـوم التالى :

وعاد قبل ذلك الى بيته ، فأخذ يعتنى بمجموعة العصافير التى كان يحب أن يقضى فى صحبتها بعض الوقت . ولكن حوالى الساعة السابعة ، وبينما كان ممددا على سريره ، اذ بليندورس يجىء للاقاته . لم يكن يطيق ليندروس هذا ، ومع ذلك فانه دعاه الى الدخول .

قال الرجل : — ان الماستورونت يريدك .

— وماذا يريد منى ؟ اننى مشغول .

— انه يريد أن يراك ، والا ما الذى يجعلنى أجىء اليك فى هذه الساعة ؟

— ان على أن أذهب الى الحانوت ، فان جـورج سيجىء معه ببعض التين .

— لا بأس ، سوف تقص ذلك لضابط البوليس .

— عد وأبلغه انك لم تجدنى .

— انك لست شرطيا من النوع الذى لا يلفت النظر.

— قل له اننى لست فى البيت .

— ولمـاذا ؟ ان علينا دائما أن نخرج الحية من وكرها .

— وماذا يريد اليوم ؟

— ان الأمر يبدو عاجلا

وتبعه فاروناروس الى مركز البوليس على الرغم منه . كانت هذه الاستدعاءات تثير فزعه ، فهى دائما تدور حول تكليفه بالضرب.وكان هو يشفق بالاشخاص الذين يضربهم ، وخاصة كبار السن . ولذلك فانه كان يضرب بغير رغبة ، وهو ما كان لا يدخل على قلبه السرور .

وقال له ضابط البوليس ، الذى ارتدى ثيابه المدنية، وجلس يدخن فى عصبية خلف مكتبه : ــ اجلس يا جوليات .

تناول فاروناروس مقعدا ، وكأنه يسحقه سحقا ، بينما كان الضابط يقول :

ــ سأصحبك هذا المساء الى اجتماع سنلتقى فيه مع الآخرين . وسوف أحملك فى سيارتى ، وسنذهب الآن .

فأجاب فاروناروس وكأنه يناشده :

ــ سيدى القومسيير .. ان على أن أتسلم اليوم شحنة من تين ميشاينونا ، ويجب أن أكون فى الحانوت.

ــ ان المكان الذى سأحملك اليه على بعد مائة متر من الحانوت .

ــ ولكنى لا يمكن أن أكون فى نفس الوقت فى العمل وفى الحانوت ، والتين كما تعلم فاكهة سهلة العطب ، ويجب أن أعتنى به ، والا فانه يفسد كما يحدث للسمك . لقد دفعت ثمنه مقدما ، والشخص الذى سيحمله ...

قال الضابط : ــ اصغ الى أيها المروض .. ان بيع التين ليس كل شىء ، فانه يتعين أيضا أن يكون لك حانوت .

ـــ ولكننى امتلك حانوتا !

ـــ أيها الشرير .. اننى أعرف أن لك حانوتا ، هو حانوت الأرملة . غير اننى عندما أقول حانوت ، فاننى أقصد الترخيص الذى يتيح فتحه .

ـــ الترخيص ؟ ان الأرملة لديها ترخيص .

ـــ بالتأكيد أيهــا الغبى . ولكن من الذى أعطاها هذا الترخيص ؟ ومن الذى وقع لها عليه ؟

ـــ انه أنت يا سيدى القومسيير .

ـــ لقد وصلنا اذن . فاذا كانت لديك ذرة واحدة من العقل ، لفهمت أننى أستطيع أيضا أن أسحبه ، ولا يمكن تجديده لأى سبب كان .

وراح فارونا روس يتأمل الأمر جيدا ، بينما قــال الضابط :

ـــ هل تجىء معى اذن ؟

ـــ بالتأكيــد .

ـــ اننى اريدك أن تضرب جيدا هذا المساء .

ـــ ولكنى أفضــل الا اتشاجر هذا المســاء أيها القومسيير .

فقال الضابط : ـــ اصغ الى يا فارونا روس .. ان المرء لكى تجىء رغبته للرقص ، يكفيه أن يدخل الى المرقص ، ان بانجوس وفانجوس قد سبقاك الى هناك، وهما فى انتظارك منذ وقت طويل .

وتوقف هنيهة ، راح خلالها يتفرسه ، ثم مضى يقول :

ـــ وهناك أمر آخر . لقد علمت أخيرا انك تمضى أوقاتا مع شيوعى يجىء للشراء من حانوتك . فهل تكون قد غيرت جلدك ؟ لربما تكون معهم ، ومن يدرى أيضا ...

ـــ كلا يا سيدى القومسيير .. والف مرة كلا . انه فى كل مرة يجيئنى اقول له أن يذهب الى حانوت آخر ، ولكنه هو الذى يصر على المجىء ، ولست أنا .. فهل يمكن لى أن أطرد عميلا بهذه الصورة ؟ ان الزبون على حق دائما ، ولكننى لا أتحدث معه قط ، واقول له فى كل مرة اننى على عجل .

ابتسم الضابط وقال : ـــ ليس لى الا ان أصغى اليك ، ويخيل الى انك تخفى شيئا ما . ومهما يكن الآن ، فان علينا الا نتأخر .

وخرجا من مركز البوليس ، واستقلا السيارة ، وقد جلس فاروناروس فى المقعد الأمامى ، وجلس ليندروس فى الخلف . وبعد أن خرجت السيارة الى الطريق العام ، تجاسر على أن يسأل :

ـــ ومن الذى سأضربه هذا المساء ؟

فقال الضابط : ـــ انه شخص قادم من أثينا ، يريد أن يتحدث عن السلام ، ويجب أن نلقنه درسا لا ينسى .. اذ أن هذا الشخص قد اكتسب أهمية فى هذه الأيام .

ـــ وكيف يكون الأمر يا سيدى القومسيير ؟

ـــ انه رجل قوى لا يخشى الضرب ، وهذا هو السبب فى أننا فى حاجة الى رجال أشداء من نوعك ، لتلقينه هذا الدرس .

وضحك فاروناروس وهو يرى الدب الكبير يتململ ويقول :

ـــ ان هذا الشخص قد تجاسر الى حد ارسال احدى المناضلات الى لندن ، لكى تمزق رداء ملكتنا .

حك فاروناروس ما بين فخذيه سأل :

ـ هل جرؤ على لمس الملكة ؟
ـ كلا أيها الغبى .. انه لم يفعل ذلك بنفسه ، انه فعله عن طريق امراة اخرى . وحتى فى البرلمان ، فانه قد فقأ عين أحد نوابنا .

وفى هذه اللحظة راح فاروناروس يفكر فى شحنة التين . ان سيارة النقل القادمة من ميشانيونا تصل عادة فى الثامنة وعشر دقائق ، ولابد أنها تستغرق ربع الساعة من محطة السيارات حتى الحانوت ، ومعها الأقفاص . وسيكون جورج هناك حوالى الثامنة والنصف . فلو أنه استطاع أن يتسلل فى سكون ، ويذهب لينشر التين على الأرض بعد أن يبلله بالماء !

سأل : ـ كم الساعة الآن ؟
ـ لا شىء .. لمجرد العلم .
ـ الثامنة الا ربعا .. لماذا ؟
ـ الا زلت تفكر فى التين ؟
ـ كلا .
ـ اذا اردت أن أجدد رخصة الحانوت ، فعليك أن تتماسك .

وأوقف الضابط السيارة ، وأنزلهما منها وقال :
ـ سوف أركن فى مكان قريب ، وسأعود من الطريق الآخر ، حيث أراقبكما .

واختلط فاروناروس بالزحام ، واندس بين جمهور المتظاهرين الذين يهتفون فى جنون . لقد كان وحده هو الذى لا يصرخ ، وظل هكذا لا يصنع شيئا ، الى أن جاء من يلفت نظره قائلا :
ـ ها هو بيروشاس ، حطم له فكه !

وتصور الغبى أن الأمر يتعلق بالشخص الذى حدثه عنه ضابط البوليس فى السيارة ، فأفاق من الأفكار التى كانت تدور فى رأســـه . أين هو هـــذا القوى المزعوم ؟ أيكون هذا الرجل المترنح ؟

وبعد أن أنهى مهمته ، علم من جيمى الحاســـم الضربات ، ان الرجل الذى ضربه لم يكن هـــو ذلك الشخص الذى تحدث عنه الضابط ، والذى لم يكن قد خرج بعد ، ولن يتأخر عن الخروج .

— بعد كم من الوقت ؟

— وكيف لى أن أعرف !

وقرر أن لديه متسعا من الوقت ليقفز الى الحانوت، فترك جيمى واقفا ، ثم سلك طريقا جانبيا صغيرا .

* * *

عاد جيمى الحاسم الضربات وحده ناحية المتظاهرين، بعد أن تركه فاروڤاروس . لم يكن بدوره يجد ما يسره فى هذا النوع من العمل . انه ملاكم ، وتوجيه اللكمات بالنسبة له مجرد رياضة . ولكن أن يرغمه أحد على ضرب أول قادم ، لا يعرف حتى كيف يتقى الضربات التى تكال له ، فذلك ما ليس فيه ما يبعث على السرور على الاطلاق .

ولكن ما الذى يمكنه أن يصنعه غير ذلك ؟

انه يعمل حمالا فى الميناء ، حيث يتناقص العمل يوما بعد يوم . كان يقصد فى كل صباح الى الأرصفة ، ويقف مع زملائه ، انتظارا لكى ينادوا عليه للعمل فى

تفريغ احدى السفن . وكان ميناء سالونيك يحتضر ، ونـدر ما تدخله باخرة . وعندما كانت هذه الباخرة تدخل الميناء تحتاج الى عدد من الرجال للعمل فيها .

وفى البداية لم يكن جيمى يفهم ما يحدث ، ولكن دوره فى العمل لم يأت قط . وثار على هذا الوضع ، وأخذ يسأل عن السبب ، الى أن اقترب منه أحد العمال ذات يوم ، وسأله :

ـــ ألست مولودا فى روسيا ؟

ـــ نعـــم .

ـــ فى مدينة باطوم ؟

ـــ نعـــم .

ـــ هذا هو السبب فى أنك لا تعمل ... انهم يرون فيك شيوعيا .

ـــ وهل ذنبى أننى ولدت فى باطوم ؟

ـــ لا أحد يقول ذلك ، ولكنهم يشكون فيك . اذا شئت ، قلت لهم انك متفق معهم ، وسترى أن الموقف سيتغير .

ـــ متفق معهم على ماذا ؟

ـــ لا تهتم بذلك . انه عمل لا أهمية له ، مرتان أو ثلاث فقط .

ـــ قل لهم اذن أننى متفق معهم . ان لى ساعدين قويين ، وأنا أحب العمل .

وبعد ذلك ببضعة أيام ، اقترب منه شخص مجهول فى الميناء البحر ، وتحدث معه عن الخطر الشيوعى الذى يهدد البلاد ، وعن نذالة اليســـاريين الذين يذبحون الناس بصفيح علب المحفوظات . وأضاف المجهول أن

الخطر الكبير على سالونيك ، لأنه عند أول اشارة سوف يتدفق البلغاريون على أهل المدينة ويفرقونهم ، لأنهم فى حاجة الى منفذ على البحر .

واختتم الرجل حديثه قائلا :

ـــ انك عامل ميناء ، وتعرف أهمية السفن . ونظرا الى أنك ملام ، واننا فى حاجة الى رجال أقويـــاء ، فلسوف ندعوك عند اللزوم .

وقبل جيمى على الفور . لم يكن قد فهم شيئا كثيرا من كل ذلك الحديث،ولكنه منذ اليوم التالى شعر بالفارق. فقد أصبح أول من يستدعونه للعمل خمسة أو ستة أيام كل أسبوع ، ثم أعطوه رقما يحمله هو الرقم ٧ ، واستدعوه بعد ذلك فى عدة مظاهرات ، كالمظاهرة التى نظمت هذا المساء .

لقد كان يحمل نفسه على توجيه بعض الضربات من قبضته ، بالرغم من أنه فى أعماقه لم يتوقف عن اعتبار الملاكمة نوعا من الرياضة فحسب .

وهكذا وجد نفسه فى هذا المكان الذى تجرى فيه المظاهرة ، والذى لم يغادره الا لكى يطارد ســـيارة الاسعاف . وحيا فى طريقه بعض عمال الميناء ، الذين كانوا يقذفون بعض الأحجار ، بينما يتســـلون بأكل حبات من الفول السودانى .

* * *

جاء البعض ليبلغ زد أنهم أصابوا جورج بيروشاس بجراح ، بينما كان قادما الى الاجتماع ، وأنهم اشبعوه ضربا ، وأنه نقل الى المستشفى على عجل .

كان يعلم أنه مصاب بمرض فى القلب ، وكان هو الذى عالجه فى أثينا،حيث أمضى شهرين فى المستشفى. ها قد اختفى سباتوبولوس ، وأخرج بيروشاس من الميدان ، وسوف يأتى دوره قريبا . غير أنه مع ذلك ، لم يكن لديه أى سبب يحمله على الخوف .

انه وقد أصبح وحيدا على هذا الطريق ، يتعين عليه اليوم أكثر من أى يوم آخر ، أن يتحدث تأييدا للسلام. ان كل ما سبق له أن أشار اليه ، من أرقام واحصائيات وبيانات لمشاهير الرجال والزعماء ، أمور لابأس بها ، ولكنها لا تعبر من شىء مما يحس به ويدور فى نفسه .

وهو لا يستطيع فى سهولة أن يعبر عما فى نفسه ، لأن هناك شيئا فى هذا المساء يخنقه ، ويحجب صوته، وهو صرخة احتجاج تريد أن تنطلق الى ما وراء هذه المدينة ، وهذه البلاد ، وهذه الأرض ، لكى تصل الى عوالم أخرى .

ذلك أن الحياة تستحق العيش ، وهو لا يستسلم أمام أى موت . حتى ذلك الموت الذى يوقف كل شىء

حى فيه ، والذى يواجهه فى مهنتـــه كل يوم ، فانه لا يتقبله . وسرت فى جســـده رعـــدة مؤلمـــة ، وهو يستعرض كل ما مر به فى الحيـــاة ، وما تعرض له خلالها من مخاوف .

ومنذ أن استيقظ فى هذا الصباح ، وهذه المخاوف تتنازعه . وعندما غادر بيته ، فانه قد عانق زوجته ، ثم عانق اطفاله ، وحمل معه صورهم لكى يعرضـــها على أصدقائه . غير أنه راح يدقق فيها النظر طوال رحلة الطائرة ، بدون أن يتوقف عن النظر فيها لحظة واحـــدة .

لقد كان عاطفيا بالنسبة لأمور ما كان يجب أن تجعله كذلك ، فهى جميعا تتعلق بالأسرة ، وهذه عبء لا مفر منه . ولكن الحياة فيما وراء ذلك ليست منغلقة على مثل هذه العلاقة الاجتماعية الجـــاهزة ، انما هناك عاطفة أكمل وأشمل من ذلك ...

أن الحركات التى يأتى بها لم تكن حركات أو أعمال اى سياسى ، فهو لا يمتلك ذلك المنطق الفاتر الذى لا يبالى ، الذى يحمل على قبول التسويات وأوساط الحلول ، والذى يتيح لكل انسان أن يظل على قيـــد الحياة ، ما لم يكن واحدا من الأبطال . ان عواطف جامحة تدفعه على أن يأتى بأعمال عنيفة ، وهى ليست بالاعمال السلبية كالضرب واهانة الآخرين ، ولـــكنها اعمال ايجابية ، كالاقناع والتأمل والتوجيه .

كلا .. انه لا يمـــكن أن يكون وحيدا . ان آلاف الرجال الذين ماتوا قبله ، لم يتوصلوا حتى الى ادراك ما يشغله فى الحاضر ، ولا إلى تكوين صور لنوع من الحياه ، سرعان ما تدخل فى سجلات الأبدية .

وعندما كان صبيا ، فانه كان يلعب بالصور الملونة ، التى كان يطبعها على الخشب أو على الورق ، ثم بعد ذلك أصبحت هذه الصور حقائق ثابتة . وهو أيضا رجل تراوده الأحلام ، وكان يريد أن يبحر على ظهر سفينة ، تظل تسير به حتى يعرف العالم كله . وقبل هذا الصباح بشهر واحد ، صعد وحده الى قمة الماراتون ، كما قطع بمفرده اثنين واربعين كيلو مترا سيرا على قدميه ، وقد تمنطق بالعلم اليونانى . لقد كانت هذه مسيرة السلام .

انه رجل محب للسلام ، وهو سلام يريد له أن يدوم فوق هذه الأرض ، حتى لا تقع حروب أخرى مثل حرب فيتنام ، ولا تحدث كارثة أخرى مثل كارثة هيروشيما . انه يريده سلاما مكتوبا بالخبز الأبيض ...

وذات يوم أحد كان فى جزيرة (هارا) ، وهى الجزيرة التى احتلتها القوات الالمانية مرتين ، مرة بالحرب والثانية فى صورة سياحة ، فراح ينعم النظر الى الأمهات اللاتى جئن لرؤية أبنائهن الذين أسروا ، بينما هن ينتظرن أمام الحواجز التى سيظهرون من ورائها .

لقد قضى هؤلاء الأبناء عشرين عاما فى هذا الأسر ، وأصبح الألمان يجيئون بالسراويل القصيرة ، وفى أيديهم أجهزة التصوير ، بعد أن كانوا قد أتوا قبل ذلك يرتدون الأحذية العسكرية الثقيلة . وقد ظل هائما فى هذه التأملات الى أن عرفته امرأة عجوز ترتدى الثياب السوداء ، وهزته حتى استيقظ ، ثم قالت له :

ـ أواه يا دكتور .. ان هناك أشياء كثيرة تعذبنى .. وهى جميعا تبعث فى نفسى أحزانا مروعة . اننى

جئت الى هنا لكي أرى ولدى .. فما هو الشر الذى تراه قد صنعه ؟ لقد كان فى السادسة عشرة من عمره فى ذلك الوقت ، فمـــاذا كان يعـــرف عن الحـــرب وأهوالهـــا ؟

لقد كانت زيارته لتلك الجزيره مبعث حزن لا ينضب .. فكيف أمكن للبشر تقبل كل ذلك ؟

* * *

وبينما هو غارق فى هذه الصور ، صعد اثنان من ضباط البوليس الى مكان الاجتماع ، لكى يوقفا مكبرات الصـــوت .

قال لهما زد وهو يريهما جرحه :

ـــ لقد أصابونى هنا .

فأجاب أحد الضابطين :

ـــ لسوف نبذل جهدنا حتى يمكن أن تنصرفوا بغير حوادث ، وسيكون هنـــاك نطاق من رجال البوليس مهمتهم حمايتكم ، فلا تقلق لشىء .

ـــ اننى لا أشعر بالقلق من أجل نفسى ، وانما من أجل كل هؤلاء الذين فى القاعة .

ـــ سوف نتخذ الاجراءات اللازمة ، ولكن عليك بايقاف هذه المكبرات .

ـــ ومن واجب البوليس أن يعمل على تفريقهم . اننا نحن الذين نظمنا الاجتماع وليسوا هم .. فما الذى يقوم به البوليس ؟ هل جاء لحمايتنا .. أم أنه جاء ليوقع بنا ؟

ـــ ولكن يا سيدى النائب ...

ـــ اننى سوف أطلب للمرة الأخيرة من النائب العام،

ومن مدير البوليس ، ومن حاكم المدينة ، أن يحافظوا على حياة زميلى سباتوبولوس ، قال زد : ان المكبرات لا يمكن وقفها ، فهناك عدد كبير جاءوا ولكنهم اضطروا للبقاء فى الخارج . ولو كنا قد أدخلناهم ، لتدفق معهم مثيرو الشغب ... ولذلك من حقهم الاستماع الى ما نقول :

— ان الغيظ قد استبد بمجموعات المظاهرة المضادة لكم .

* * *

— ١٤ —

دلف مدير البوليس الى الفندق مسرعا ، وقد وجده فى القاعة وقد استبد به الخوف ، فقال له :

— ان أصـــدقاءك يتصـــورون أن المتظاهرين قد اختطفوك ، وانك تتعرض الآن للتعذيب .. فأرجوك قبول حمايتى وتذهب معى الى الاجتماع .. كما أن زد لا يتوقف عن توجيه النداءات فى مكبرات الصوت .

فقال سباتوبولوس محتجا :

— ان ما يحدث الآن يبعث على الخجل ..

— ان مكبرات الصوت تثيرهم .

— فلتعملوا اذن على تفريقهم .. فلماذا لا تفعلون ذلك ؟

— ان عملية التفريق تجرى حاليا .

وبينما كان يتقدمان معا ، سمع الى ما يقوله بعض الضباط :

— هيا أيها الرجال .. لسوف تقتلونهم غدا .. تراجعوا الى الوراء قليلا !

وقبل أن يصلا الى مدخل المبنى ، سمع من يقول :

— هل للمبنى مدخل آخر .. يمكن أن يهربوا منه ؟

وتعالت الهتافات تقول :

— أيها البلغار الأقذار .. لسوف تموتون !

— احملوا زد الى المشنقة !

راح سباتوبولوس يكرر :

ـ ان ما يحدث يبعث على الخجل يا سيدى المدير .. الا تسمع ما يقولون ؟ فلماذا لا تعتقلونهم ؟ وهل تسمون هذه دولة ؟

ثم اجتاز الباب الحديدى ، وصعد الى الطابق الثالث ، حيث كان زد لا يزال مستمرا فى خطابه .

* * *

— ١٥ —

قال زد فى نفسه وهو يرى سباتوبولوس يدخل القاعة :

— ها هو أخيرا .. ها هو يعود من العالم الآخر .. وقد جال فى ذهنى أنه قد اختفى الى الأبد . لقد عاد .. ولكن ماذا عن أولئك الذين لم يعودوا قط ، وتركوا لنا رسالاتهم التى لم يستطيعوا توصيلها ؟ أين ذهب جميع أولئك الموتى الذين يتجولون فى دمائنا ، والذين لا يوجهون الينا مثل الاسئلة التى نوجهها نحن اليهم ؟ ها هو الليل لا غموض فيه .. انه مستطيل هائل أسود ، يشبه أحد الأبواب . واذا كان هذان الضابطان يطلبان ايقاف مكبرات الصوت ، فما ذلك الا لأن هذه المكبرات تفتح ثقوبا فى الليل ...

« ... اننى يجب أن اتحدث .. فهذه الوجوه تطلب ذلك . ولكن ماذا عسانى أقول ؟ لقد غاب العازرى ، وهو ذلك الكاهن الطيب الذى ينتمى الى جماعة القديس منصور بولس ، فترة طويلة عن اتباعه . فلما عاد اليهم بعد ذلك ، كان كل ما استطاع أن يقوله هو .. انى جائع .. انى جائع . وكان معنى ذلك أنه يبدأ الحياة من بدايتها ، وأنه يريد أن يأكل من جديد ، ويحصل على العدالة من جديد ، ويستعيد المساواة والسلام .

« ... ان هناك ينبوعا من الماء تقف أمامه بقرتان ، وتعبثان فيه بأرجلهما ... والشمس ساطعة وسط السماء ، تلسعنى بضوئها . فما الذى أقوله أكثر من ذلك ؟ اننى لست أدرى . وعندما يتوقف جرس التليفون عن الرنين ، سرعان ما يخال الانسان أنه ما من أحد يفكر فيه ، ومع ذلك فانه يمتلىء بأحلام الصبا .. وصور النساء . انهم لو أقدموا على قتلى ، فسوف أعود بدورى فى صورة خيال ، لكى أبحث عن الشىء الذى برر لهم ازهاق روحى .. عساه يكون مرسوما فى عيون الآخرين ...

« ... ان هذا اليوم يتسلل الى عقلى نقطة نقطة ، وقد أصبح هذا العقل عاجزا عن متابعة الاحداث التى تدور من حولى . ان هناك موقفا خطيرا يحيط بنا ، ولسوف يستولى علينا الرعب والذهول عندما يكتمل الاعداد له . لقد جاء الجنود الى هذه القاعة ، فما الذى يريدونه ؟ لقد فتشوا المكان ثم ذهبوا لحالهم .. غير أنهم قد تركوا فيه فجوة .. هى التى أخافها .

« يالحلاوة الحب ! ولكن ما هو أحلى من ذلك بالنسبة لى ، أن أذوب فيك ، فى تلك اللحظة التى تستسلمين فيها ، وترتعد عروق عنقك ، وفى اللحظة التى تضيعين فيها فى ، والتى أسيطر فيها على هذا الضياع . أنت .. يا من تشبهين البحر الذى امتلأ بالعاطفة .. أنت يا من تشبهين السلام !

« ها هم رجال البوليس قد جاءوا يفتشون قاعتنا ، فما الذى يريدون ؟ لقد انتهوا من عملية التفتيش ، ثم ذهبوا الى حالهم . غير أن الفجوة قد فغرت فاها ، وهذا هو الذى أخشاه .

الخـــوف !

اننى للمرة الأولى أخاف من أن أنقلب الى صورة من الصور ، فى حين أن كل شىء يدفعنى الى ذلك . فما هو السبب ؟

« ان الصورة تصطدم فى الصورة ، داخل اسوار الموتى . وهذه الصور تمزق الزمن ، كما تفعل السفن فى قلب المحيط . غير أن المحيط أبدى سرمدى ، فى حين أن السفن لا تفعل الا أن تعبره .

« ترى ما الذى كنت أقول لهم ؟ اننى لم أكن أقول لهم شيئا ، وانما كنت أتحدث الى نفسى . أجل .. ان الحياة جميلة ، عندما لا يكون هناك تليفون ، وعندما تكون يدك فى يدى ، وعروق عنقك تتجاوب مع شفتى ، وتكون الحياة جميلة ، اذا لم يكن هناك من يمـــوت بسرطان الدم .

« لكم يثقل على التحدث الى الجماهير ، وهذا هو الذى يجعلنى لا أستطيع أن أقول كل ما يدور فى قلبى ، وكل ما يمر فى رأسى . ان الكلمات ليست الا رموزا ، أما العواطف وحـــدها فهى الباقية . وقد ينقصـــنى الـــكلمات التى أعبر بهـــا عن مـــدى حبى ، ولكننى لا أستطيع أن أعيش بغيرك .. أيها السلام .

« ان هناك جوربين وسروالا قد وضعا فوق أحد الحبال ، وقد أمسكت بهما بعض المشابك ، لكى يجفا فى الشمس . فمن تكون أنت ؟

« اننى ذلك الرجل الذى أبعدوه الى هذه القاعة ، والذى لا يستطيع أن يتكلم . ولقد جاء هؤلاء الناس لكى يستمعوا الى ، ولكننى لا أكاد أقول لهم شيئا . ان الناس لا يؤمنون اليوم بقيمة الكلام ، انهم لايؤمنون

الا بالصور الملموسة . ولذلك فاننى سوف أصبح ، من أجل هؤلاء الناس ، صورة من هذا النوع . ولسوف أرفرف فى بيوتهم وأطل عليهم بهذه الوسيلة .

* * *

« ان كل ذلك لا يمكن أن ينفصل عن التقدم التكنولوجي .

« وأولئك الذين يتصورون أن الروح كائن خارج التقدم العلمى ، يرتكبون خطأ جسيما ، ان الدواء يعاودنى من جديد ، وها أنا أرى بيضة هائلة حمراء ، انها ضخمة فى حجم الميدان ، وهى حمراء كالميدان الأحمر فى موسكو .

« ان البعض يصدمونها ، والبيضة تتحطم ، ومنها ينفلت عصفور ، ثم يأخذ فى الطيران . انه يعبر الغلاف الجوى ، والغلاف الخارجى ، ثم يضرب فى الفضاء .

« فما الذى تحس به الآن ؟

« ان روحى تنكمش ، وقلبى يتقلص . ان كل شىء يتوقف على كلمة أقولها ، عندما ينتهى هذا الحديث . ان الطائرات عندئذ سوف تحلق فى الهواء ، وعند ذلك سوف نثأر لأنفسنا ما لم نكنه فى الحياة .

« تعال .. عد الى هنا .. فاننى أود أن أتحدث اليك . ولا تتردد فى المجىء ، فاننى لا أتردد فى الحديث اليك . ان الحياة جميلة عندما يكون لدى الجميع ما يأكلونه ، وما يشربونه ، وعندما يستطيع الجميع ان يكونوا سعداء » .

ضغط يانجرس على فرامل عربة النقل ، ثم وقف فى مقعـده ليتطلع الى الوقت المضبوط الذى تسجله الساعة ، عبر واجهـة محـل الساعات . غير أن الساعات الكثيرة المعلقـة بداخله ، كانت كل منهـا تشير الى وقت مختلف عن الأخرى ، الأمر الذى جعله يشعر بالحيرة ، فتابع سيره الى أن وجد محلا يعلق ساعة واحدة خارجة .

كانت الساعة التاسـعة وعشرين دقيقـة ، وهو الوقت المحدد لكى يكون موجودا فى المكان المتفق عليه، والذى يستغرق ثلاث دقائق للوصول اليه . لقد تأخر اذن هذه الدقائق الثلاث ، فدق بيده على الزجاج الذى يفصله عن صنـدوق العربة ، فظهـر من وراءه وجه فانجوس ، فصاح به قائلا :

— لقد حان الوقت !

وانطلق بالعربة بأقصى سرعة ناحية المظاهـرة ، وقرر أن يسلك طريقا آخر غير الذى جاء منه ، حتى لا يلفت اليه الأنظار ، فرأى أن من الأفضل أن يدور دورة كاملة حول شارع الاسكندر الأكبر ، ثم يخترق شارع اريسطوطوليس ، ويعود بعد ذلك الى شارع اجناتيا ، ومن هناك ينحرف الى أزقة السوق الضيقة ليتوارى فيها ، وهى أزقة يعرفها جيدا ، ثم يخرج

منها حتى آخر شارع سباندونيس ، الذى يصل به الى قلب جماعات المتظاهرين .

وبدت له المدينة خلال سيره هادئة بشكل نسبى ، وليس فيها الا قليل من المارة ، وعدد صغير من السيارات . وبالرغم من واجهات المحلات المضيئة ، فأن الشوارع ظلت مظلمة ولكن ليس الى الحد الذى يضطره لاضاءة مصابيح العربة .

انه هنا على بعد آلاف الفرسخ من ذلك العالم الآخر المتأجج ، ولو انه قريب منه الى أقصى الحدود . وبالرغم من أنه كان يسير بأقصى سرعة ، الا انه استطاع أن يلاحظ فتى وفتاة يسيران على الرصيف فى بطء ، ويرى مجموعة من الشباب تقف أمام محلات لامبروبولوس الكبرى ، واثنين من بحارة احدى سفن الأسطول الأمريكى التى تقف فى الميناء .

وتوقف عند اشارة حمراء ، ورأى بائع البسكويت حاملا سلته العريضة ، فاذا برغبة جامحة تستولى عليه لشراء شىء منه . غير أن الاشارة أصبحت خضراء ، فاضطر الى متابعة طريقه . كانت المدينة تتنفس كعادتها ، وقد رقدت هادئة ، مستقرة على حافة البحر ، الذى بدا ساكنا فى هذا المساء . واستدار شمالا ، ثم دلف الى شارع اريسطوطوليس .

وقذفت الدورة الحادة بفانجوس ، فاصطدم بالجانب الآخر من صندوق العربة ، وعند ذلك أطلق عبارة سباب ، وهو واثق من أن يانجوس الذى يقود العربة لا يسمعه . وتشبث بكلتا يديه بحافة الصندوق ، وراح يتسلى بالنظر الى الشريط الأصفر المرسوم على الأرض وهو يتراجع بعيدا وراء العربة ، ويخيل اليه أنه فى

احدى دور السينما يشاهد طوربيدا أطلقته غواصة ، والطوربيد يشق طريقه فى البحر مباشرة نحو سفينة قائد أسطول الأعداء .

ووصل يانجوس الى مقابل مقهى بتينوس ، حيث هاجم قبل ذلك ببضع ساعات تلك المرأة التى تعمل فى البلـــدية . ثم مر أمام نادى بيكاديللى ، حيث مزق الاعلان الكبير .

وادار رأسه فجأة كما لو كان يؤدى التحية لرؤساء جلسوا فى شرفة أحد الاستعراضات العسكرية ، فوقع نظره على مخزنه بشارع فاسيلوس هيراكليو ، وقد غـــرق فى الظلام . كان المبنى الضخم الذى يشغله مصنع الطباق يحصره ، ويغرقه فى بحر من الصمت . دار سينما اليكترا وحدها ، هى التى كان يصدر منها ضوء قليل ، بينما ظلت أبوابها مغلقة . أن من المؤكد انه ما من عربة واحدة موجودة فى المخزن ، الذى امتلأ الآن باكياس الأسمنت ، وهى الشحنات التى سيأتى زملاؤه غدا لنقلها .

وفى ومضة سريعة ، تبادر الى ذهنه فى نفس الوقت الذى رأى فيه مخزنه مظلما . مغزى المهمة التى يقدم بها هذا المساء ، وهى المهمة التى سوف تضمن له كل شىء فى المستقبل .

وأخذت براكى وقباب شارع اريسطوطوليس تمر أمامه مسرعة ، فلما وصل الى التقاطع مع شارع ارمو ، رأى الى يساره اشباح المتظاهرين . ووصل اليه صوت مكبر للصوت ، لا يتوقف قط . وكان فى امكانه أن يصل الى شارع سباندوينس مباشرة ، ولكنه خشى

ان يلحظه أحد ، فيصبح فيما بعد شاهدا غير مرغوب فيه ، فواصل سيره حتى شارع اجناتيا ...

ومد زراعه اليسرى عند تقاطع شارعى اريسطوطوليس واجناتيا ، فاعطاه الجندى الأمر بالمرور. وكان الى يمينه مركز البوليس الذى قصد اليه بعد حادث نادى بيكاديللى ، فترك الجندى ومضى فى الطريق الذى وان كان غير ممهد جيدا ، الا أنه يعرفه كما يعرف خطوط كفيه .

وفطن فانجوس فى الخلف الى انهما قد أوشكا على الوصول الى بغيتهما .

وتوقفت العربة أخيرا ، فاقترب منها ثلاثة أشخاص ، كان يبدو انهم أمضوا وقتا طويلا فى انتظارها . وقفز يانجوس الى الأرض ، وغطى لوحة العربة المعدنية بقطعه من القماش كان قد حرص على أن يجىء بها ، فأصبح رقم العربة مختفيا .

وقال له أحد الرجال الثلاثة :

— لقد تأخرت .

— لقد جئنا من طريق آخر .

— من حسن حظك أن الرئيس مشغول فى مكان آخر . والآن كن مستعدا ، فاجلس على مقعدك ولاتتحرك مقدار شعرة واحدة ، وضع قدمك على البدال . هل فهمت ؟

ولم يكن من يانجوس الذى لا يتحمل عادة تلقى الأوامر ، الا أن اطاع فى هذه المرة كما لو كان تلميذا صغيرا . فقد كان هناك حوالى اثنى عشر رجلا يعرفهم جيدا بالرغم من انهم ليسوا فى ثيابهم الرسمية ، يعطونه ظهورهم ، ويتكون منهم جدار يشبه الجدار الذى يصفه

المزبعون فى أحدى مباريات كرة القدم ، عندما يتهيئا الخصم لتوجيه ضربة حرة . وعلى الرغم من انه كان يراهم من مكانه المرتفع ، فقد شق عليه أن يرى ما يحدث أمامهم ، بينما كانت الأصوات العالية تتناهى اليه كما لو كانت قدرا هائل الحجم يغلى .

وفكر فى أنه ليس من قبيل المصادفات ان يقع كل شىء فى نفس الطريق الذى يقع فيه مركز البوليس ، ونادى بيكادللى ، ومخـــزن العربات ، والمظاهرة ، وفندق كوزموبوليت الذى ينزل فيه ذلك الرجل . ان كل جميع هذه الشوارع تتقاطع بزوايا قائمة ، فيما عدا شارعا واحدا ، هو هذا الشارع الضيق الذى يقف فيه .

وهو هذا يقف كالمجنون فى أحدى جولات الشطرنج ، لكى يندفع بعربته الجبارة خارجا من هذا الشارع ، وسط السائرين على الأقـــدام ، وبين أحجار هـــذا الشطرنج ، لكى يصيد الملك .

* * *

لم يكن جوزيف ممن يتدخلون فى السياسة أو يعرفون ما هى الأحزاب . وكانت ورشته تقع بالقرب من وزارة شمال اليونان ، حيث كان يعمل فى سلام بوصفه نجارا بغير أن يضايق أحدا .

وفى هذا المساء ظل وقتا أطول فى ورشته لكى ينتهى من صنع احدى الموائد ، التى صنعها على هيئة الهلال، ويتعين أن يسلمها الى بقالة الحى فى صباح اليوم التالى وهى امرأة بدأت تثرى نتيجة لكثرة المبانى التى نشأت حولهـــا . وكانت البقالة تريد استبدال جميـــع أثاثها القديم بآخر حديث ، وكلفت جوزيف بكل ما تطلبه .

وشعر جوزيف فى حوالى الساعة الثامنة أنه لايستطيع أن يعمل أكثر من ذلك ، فقد كانت رائحة الخشب تجعل الازمة الصدرية التى أصيب بها تتفـــاقم ، فقـــرر أن يتمشى حتى شاطىء البحر ، فيملأ رئتيه بالهواء النقى.

كان يمشى غير شاعر بما حوله ، وقد انثنى على نفسه . واجتاز على هذه الحال شارع فنزيلوس ، حيث لمح تجمعا كبيرا ، فتبادر الى ذهنه على الفور ، أن هناك حـــادث مرور قد وقع . وعندما وقف عنـــد التقاطع انتظارا للضوء الأخضر ، وجد نفسه بجانب عابر آخر ، فسأله :

ـــ ترى ماذا حدث ؟

ـــ لست أدرى .

ـــ هل هى مظاهرة ؟

ـــ لسوف نرى .

واضاءت الاشارة الخضراء ،فاجتاز الرجلان الطريق معا . فلما وصلا الى الرصيف المقابل ، سار جوزيف وحده ، حيث مال الى اليسار ، بينما انطلق الرجل الآخر ناحية اليمين .

وكلما اقترب جوزيف من الزحام ، ازداد معرفة بما يجرى . فقد كان هناك اناس يتشاجرون معا ، ويلقون الأحجار على أحد المبانى . فلماذا تراهم يفعلون ذلك ؟ وبدلا من أن يتوقف ، دفعه الفضول الى معرفة المزيد ، فتقدم الى الأمام . ولقد بلغ فى تقدمه الى مستوى محلات آدامز ، عندما لفت نظره الى أحد التماثيل العارية ، الذى كان يتناقض مع ثراء معروضات الواجهة . وعلى ضوء هذه الواجهة ، رأى شخصين يمسكان فيما بينهما بشخص ثالث ، يحاول التخلص منهما ، فاذا بهما يوسعانه ضربا وركلا . وفى غمرة شعور الرجل بالظلم الواقع عليه ، استطاع أن يمسك بساق أحد الرجلين ، ويسقطه على الأرض . غير أن الرجل الآخر تدخل فى الأمر ، فأخرج حزاما عريضا من تلك الأحزمة المليئة بقطع الحديد التى يستعملها البحارة ، وانهال به على الضحية .

وتطلع جوزيف حوله . كان نفس المشهد يتكرر فى كل مكان بأشخاص آخرين ، فخيل اليه أن تلك المشاهد هى انعكاس للاشتباك الأول ، كما يحدث فى لعبة المرايا المزدوجة . وفى هذه اللحظة أحس بمن يجذبه من الخلف من ثوبه ، فاستدار واذا به وجها لوجه مع رجل يبدو عليه ادمان المخدرات ، يقول له :

ـــ أين شارتك ؟

ـــ أى اشارة تعنى ؟
ـــ انك لست من أتباعنا اذن !
وترك الرجل ثوب جـــوزيف ، ثم وجه ضربة من قبضته الى بطنه ، جعلته ينثنى الى جزئين ، اذ كان يعانى من قرحة مزمنة .
قال : لماذا تضربنى ؟ .. ما الذى صنعته بك ؟
الا أن أشخاصا آخرين جاءوا وأحاطوا به ، وامسك به أحدهم وأداره ناحيته وانهال بقبضته على كليتيه، ثم تلقى صفعة مروعة على وجهه جعلته يترنح ... وهنا وجه اليه شخص آخر ضربة على صـــدغه ، أخذت الدماء بعدها تسيل منه بغزارة . ولم يدرك جوزيف شيئا مما يحدث ، فراح يصرخ بكل ما بقى فيه من قوة : بوليس .. بوليس .. !
وتصنع رجل البوليس الذى كان واقفا على بعد بضعة أمتار الصمم ، ثم جاءته آخر ضربة من قدم غليظة فى ظهره ، جعلت عظام سلسلته الفقرية تتفكك من بعضها ، فانهار بكل ثقله على الأرض . واستطاع من موقعه هذا أن يرى رجلا يحطم مقعدا ، ثم يوزع أجزاءه على مجموعة من الأيدى امتدت اليه ، مالبثت كل منها أن تسلحت بقطعة . وعند ذلك غاب جوزيف عن الوجود .

* * *

واستيقظ جوزيف فى المستشفى ، بينما كانوا يرتقون له جرحا فوق عينه .
كان يشعر بآلام مبرحة ، ولكن .. ترى من الذى جاء به الى هنا ؟ وكيف ولماذا ؟ وتواردت أسئلة كثيرة

عليه بغير أن يعرف كيف يجيب عليها . وكنت عظامه تكاد تحترق ، وتؤلمه حتى النخاع . وماكادوا ينتهون من تضميده ، حتى أسرع عائدا الى بيته .

ومضت ساعات كثيرة لم يذق فيها طعم النوم ، وأخذت تضايقه فكرة تأخره عن تسليم المائدة الى تاجر البقالة فى الموعد المتفق عليه . وتزاحمت عليه الأفكار السوداء ، لقد تناهى الى سمعه عندما كان فى المستشفى اسم شخص يدعى زد ، لا يعرف هو عنه شيئا ، وكذلك عن بعض من يدعونهم بأنصار السلام، ودارت فى رأسه الآن فكرة تقول .. ومن ذا الذى لا يحب السلام ؟ وحوالى منتصف الليل صاح أحد الديكة ، وفى هذه اللحظة دق أحدهم على بابه . وقبل أن يفتح الباب سأل :

ـ من هناك ؟

ـ بوليس .

عندئذ فتح الباب وهو يرتعد ، بينما سمع من يقول له :

ـ اتبعنا .

ـ الى أين ؟

ـ الى المركز الرئيسى .

ـ لحظة واحدة حتى ارتدى ثيابى .

ـ كلا .. تعال كما أنت بالبيجاما ، وضع فوقها معطفك ، فان السيارة تنتظر .

وصدع للأمر وهو يشعر بألم شديد . وقادوه فى المركز الرئيسى الى مكتب المدير على الفور ، وكان المدير بنفسه هو الذى طلب منه أن يجلس ، وكان يبدو بشوشا . قال :

— هل أنت جوزيف زاييميس بن نيون ؟
— نعـــم .
— ومهنتك صانع أثاث ؟
— نعـــم .
— ان أوراقك على ما يرام يازاييميس ، فلا فائدة من تلويثها . هل تفهم ما الذى أعنيه ؟
— ليس جيدا .
— سأوضح لك الأمر . ان الأجدى بك تجنب تقديم شكوى ضد مجهول . انك رجل طيب ، والبوليس يقدرك . ولابد أنك فهمت ان الأمر كان سوء فهم ، فقد ظنوك شخصا آخر . واذا أنت تناسيت هـــذا الحادث ، فانك ستزيل عنا عبئا لا داعى له .. ثم اذا أنت كنت فى حاجة الى شىء ، فاننى رهن تصرفك.

كانت هذه هى المرة الأولى التى يوجه فيها الحديث اليه مدير بوليس حقيقى ، وقد شعر من جراء ذلك بنوع من الزهو . وفضلا عن ذلك ، فان تصريح العمل الذى يحمله يتوقف عليهم .

قال المدير : انك مطلق السراح ، واعذرنا اذا كنا قد أتينا بك فى مثل هذه الساعة وأنت بهذه الحالة ، ولكن الانتظار الى الغد سيكون متأخرا ، فان آخرين ربما اتصلوا بك . وما عليك الا أن تقرأ الصحف فى الصباح ، وعندئذ ستفهم لماذا أحضرتك الى هنا ... فاذهب الآن ، وطاب مساؤك .

وعاد جوزيف الى بيته ، وقد تضاعفت حيرته . وفى هذا الوقت ، راحت الديكة جميعا تصيح . وانتظر حتى بزوغ الفجر ، ثم أسرع لكى يشترى أول طبعة من الصـــحف .

* * *

رأى عابر السبيل الذى ترك جوزيف زابيميس عند تقاطع الطريق ، ثم استمر فى طريقه ناحية شارع فنزيلوس ، رأى رجلا له حواجب كثيفة يسير فى الاتجاه العكسى ، ويتوقف أمام واجهة مخزن ماكينات الخياطة سنجر .

كان زاخارياس ، وهذا هو اسمه ، يجهل بدوره سبب هذا التجمهر ، وتلك المشاجرات ، وهذه الأحجار ، وذلك التوزيع لقطة المقاعد المحطمة . وقد ظل واقفا فى مكانه من قبيل الفضول ، الى أن شاهد حلقة تضرب حول الرجل ذى الحواجب الكثيفة ، الذى وصل الى بقعة أمامه . وهنا قال أحدهم :

ـ سيدى المدير ، سوف نقف هنا ، وسننتظر حتى الفجر ، ثم نقضى عليهم جميعا .

وربت المدير على كتفه وقال :

ـ اسكت أنت ، فان ماتقوله حماقة ، وانا أعرف اكثر منك .

وابتعد الرجل ذو الحواجب الكثة الذى يخاطبه أولئك بلقب المدير ، ومعه اثنان أو ثلاثة من المجموعة.

استولت الدهشة على زاخارياس . حقا أنه ليس له ما يصنعه فى هذا المكان ، كما أنه لا يعدو كونه عابر سبيل ، فى طريقه الى شراء بعض النحاس والحديد، كما يفعل كل يوم أربعاء . الا أن الفضول هو الذى استولى عليه ، والكلمات التى استمع اليها أخذت تسبب له حيرة كبيرة ، جعلته يسأل رجلا له شارب منمق كان واقفا هناك :

ـ من يكون هذا الرجل ذو الحواجب الكثة ؟

فتطلع اليه الرجل فاغرا فاه وقال :

ـ ألا تعرف مدير البوليس ؟

فندت عن زاخارياس آهة تعجب ، سأله الرجل بعدها :

ـــ وماذا تصنع هنا ؟

ـــ اننى كنت مارا فقط .

ـــ اصغ الى .. اذا كنت تريد نصيحتى ، فاياك أن تدس أنفك فيما لا يعنيك ، الا اذا كنت تريد لنفسك المتاعب .

ومضى الرجل ذو الشارب وهو يلوح بقبضته . وقطع زاخارياس بضع خطوات ثم رأى أمامه حوالى مائة رجل يضربون وليقون الأحجار ، وشاهد واحدا يقترب من آخر ويسر اليه بشيء فى أذنه ، فأشار هذا الى ثالث ، ثم انقض الثلاثة فى عنف على رجل رابع ، لمحه زاخارياس واقفا بغير حراك يتطلع الى مايحدث. ترى من يكون هؤلاء الناس ؟ وما معنى الاشارات التى يتبادلونها ؟ ومن هو الرجل الذى يضربونه ؟ ولماذا وما هو السبب ؟

وسمع زاخارياس من يقول له : أوراقك !

ســـارع فأخرج بطاقته الشـــخصية ، فقال الذى يستجوبه :

ـــ ليست هذه .. أريد الأخرى .

ـــ أى أخرى ؟

ـــ اذن أسرع من هنا ، اذ أردت الا تتورط فى أمور خطيرة .

ـــ ولكن ما الذى يحدث هنا ؟

ـــ انهم يصفون بعض الحسابات .

واستمر زاخارياس فى طريقه فى شارع فنزيلوس، الى أن التقى مع فانجيليس وهو شاب من بلدته ، لم يكن رآه منذ بضعة أعوام ، فهتف يسأله :

ـــ كيف حالك ؟ وما الذى يحدث هنا ؟
ـــ لقد هممت أن أوجه اليك نفس السؤال .
ـــ اذن هيا بنا ، اذا أردنا الا نزج بأنفسنا فى المتاعب .

ولكن عندما كان يعبران الطريق ، اعترضهما اثنان من المتجمهرين ، وأخذا فى ضرب صديق زاخارياس بقسوة بالغة . وعندما أراد أن يتدخل ، اذ بهما يوجهان اليه عددا من الضربات فى بطنه ، فأسرع بالفرار وهو ينوى الذهاب الى مركز البوليس .

غير أنه وجد المركز مغلقا ، فراح يعدو حتى مقر صحيفة (مقدونيا) ، ثم دلف الى الداخل وصعد سلما، حتى وجد نفسه فى قاعة التحرير ، فتوجه الى أكبر الموجودين سنا وقال له :

ـــ ان هناك مذبحة حقيقية تحدث عند تقاطع شارع فنزيلوس ، ورجال البوليس يضربون كل من يمر من هناك .

فقال المحرر : من سوء الحظ اننا نعرف ذلك ، ولكن لا نستطيع أن نفعل شيئا .

ـــ انى بوصفى مواطنا يونانيا أحتج !
ـــ وما الذى تريده منى ؟
ـــ لقد ضربونى بغير سبب .
ـــ اذن قدم شكوى الى البوليس .. اما هنا ، فليست سوى صحيفة .

وعاد الصحفى الى الكتابة ، ورجع زاخارياس الى بيته ، ولكن بعد أن سلك طريقا آخر ...

مضى زد فى حديثه يقول :

« ان قصة السلام فى اليونان منذ قام فى عام ١٩٥٥ قصة قاسية . ذلك أنه ابتداء من أول مظاهرة نظمها أنصار السلام الأوائل فى مدينة بيريه ، تصنع البوليس أنه يجهل مثيرى الشغب الذين اقتحموا قاعة المسرح التى كان يعقد الاجتماع فيها وعاثوا فيها تدميرا ، بغير أن يصنع مدير البوليس الذى كان جالسا فى الصفوف الأولى شيئا لمنعهم من ذلك .

ولقد قتلوا شخصا فى « ليبوس » وظلت أسباب ذلك مجهولة حتى اليوم ، بعد مظاهرة كانت تنادى بنزع السلاح . وفى أثينا ، بينما كان جندى يرتدى ثيابه العسكرية يشترك فى لقاء لأنصار السلام ، اذ بهم يلقون القبض عليه ، ويقدمونه للمحاكمة ، ثم ينفونه الى مكان معزول بالقرب من حدود البانيا ، حيث قضى نحبه بعد حادث مدبر ، زعموا انه وقع خلال تدريبات لاطلاق النار .

فما هو السبب الذى يجعل السلام كريها لديهم؟ ولماذا لا يعادون منظمات وحركات أخرى ، ويقصرون عداءهم على منظمتنا التى تهدف الى السلام والانفراج الدولى ؟

ان الثمانية عشر عاما التى انقضت منذ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، شهدت قيام ثمانية عشر حربا محلية ، وهم يريدون المزيد من الحروب.

وهنا تعالت الهتافات :

ـ فليسقط حلف الأطلنطى !

ـ لا نريد هيروشيما جديدة !

ـ نريد الخبز .. نريد الخبز !

تطلعوا حولكم .. ان الأوضاع فى هذه البلاد تتدهور يوما بعد يوم ، فليست هناك مستشفيات كافية ، ولا أدوية كافية . لقد أصبحت القرى الجبلية معزولة ، وهذه الأرض التى شهدت مولد أبقراط ، ليس فيها خدمة صحية تستحق أن تسمى بهذا الاسم ، بينما يزعمون أن اليونان تنتمى الى القرن العشرين ! فكيف يمكن للبشر أن يعيشوا فى ظل هذه الظروف ؟ لو أن الدولة وفرت نصف ما تنفقه على التسلح ، وأقامت به المدارس والملاعب والمستشفيات ، أو أنشأت به الصناعات ، أما كانت الحياة هنا تصبح جديرة بأن يعيشها الانسان ؟ أليس هذا هو السبيل لوقف الهجرة التى ستصيب مزارعنا بالخراب ؟

ان ذلك هو ما يصنعه السلام .. ولما كانوا لايريدون لنا هذه الحياة ، فانهم لا يسمحون باستمرار هذا الاجتماع ، ولا يريدون وجودى ، فاستأجروا الرجال الذين يتوعدوننا فى الخارج ، لكى لا نفتح عليهم الأبواب المغلقة ، فيظل كل شىء كما يحبون .

ولكن هذه الهتافات التى تتعالى ضدنا ، انما تبعث فى نفوسنا الأسى ، لأن أصحابها لا يعلمون أننا نناضل

من أجلهم . وهم فضلا من ذلك لا يسببون لى أى ضيق .. لقد تركتهم يضربوننى ، لأنهم لم يكونوا يقصدوننى ، ولكنهم كانوا يقصدون الشخص الذى أشـــاروا لهم عليـــه .

انهم لا يعرفون حتى من أكون ، ومن تكونون . انهم جميعا لهم أطفال لا يستطيعون ارسالهم الى المدارس ، أو لبعضهم زوجة مريضة لا يجد لها العلاج . ان هؤلاء يجب أن نشفق عليهم ، والا نصغى لهتافاتهم ، فالتاريخ يسير فى طريقه لا يلوى على شىء ، وسوف يلحقون به فى يوم من الأيام . وطوبى لأنصار السـلام ، لأنهم سيدعون يومئذ باسم أبناء الله .

* * *

— ١٩ —

كانت كل كلمة فى خطاب زد تلفح وجه الجنرال البارز العظام .

لقد ظل واقفا فى نفس الميدان ، مكتفيا بالتحرك خطوة واحدة ، تارة الى اليمين ، وتارة الى اليسار ، وقد ركز بصره على مكبر الصوت ، الذى كان يذكره بالأبواق التى كانت المقاومة تستخدمها خلال الحرب، لكى تثير الأحياء بشعارتها الملتهبة .

وانتظر فى مكانه هذا فى صبر حتى انتهاء الاجتماع. الى أن وصف « أبنـاء الله » سرى كرعدة فى عموده الفقرى ، واستهل أن يجىء على لسان هذا الرجل بالذات . وفكر فى نفسه :

— ان النتيجة التى تترتب على الاضطراب العام فى الكتلة الشمسية ، هى ذوبان جليد القطبين ، واحتمال حدوث انحراف فى محور الأرض ...

وحولت هذه الأفكار انتباهه عن مكبر الصوت .

* * *

أما مدير البوليس ، فقد أخذت مخاوفه تتزايد . ذلك انه هو المسئول عن كل هذه المظاهرة المضادة

المدبرة ، وأى شيء ينتج عنها سوف يلقى على كاهله؛ وخاصة بعد أن بدأت هذه الطغمة من الرعاع ، التى تجمعت لكى تقضى على زد ، توشك أن تتجاوز حدودها .

قال لنفسه : انك ان مددت لهم اصبعا .. التهموا الذراع كله .

والواقع أن النتيجة التى توقعها لم تلبث أن تحققت. فما كاد رجاله يجعلون هذه الجماهير تتراجع قليلا الى الوراء لكى يبعدوها عن مدخل المبنى الذى يعقد فيه الاجتماع ، حتى بلغ غضبهم أقصى درجاته . لقد أصبحوا كالكلاب المسعورة التى انطلقت ، ولم يعد فى الامكان وقفها .

ان الجنرال ليس مسئولا على الاطلاق عن كل ماقد يحدث لدى خروج الذين يحضرون الاجتماع ، اذ أن مهمة حفظ النظام لاتقع على كاهله . ان مدير البوليس هو الذى يتحتم أن يوجه اليه الاتهام ، فى حالة وقوع تلك « الحوادث المؤسفة » التى سوف تقع .

ولما كان رجلا يعود فى كل شيء الى أصوله الأولية، فانه راح ينبش فى تلافيف عقله لكى يعثر على بعض المواد المنسية فى لائحة البوليس ، التى يمكن أن يستعين بها للدفاع عن نفسه . وعند ذلك خطرت له فكرة سيارات الركاب ، فما عليه الا أن يبعث باثنين أو ثلاثة من ضباطه ، فيستولوا على بعض هذه السيارات من محطة « فانداريو » النائية ، فيستخدمها فى اخلاء أنصار السلام .

وانتابه بعض الخوف ، وهو يتذكـــر نوع الرجال الذين تجمعوا فى الميدان ، وكلهم من عمال تفـــريغ الأسمنت والحديد والبناء . فلو أنهم ركبوا رءوسهم، وقرروا أن يستخدمو أيديهم ، لكان فى الامكان حدوث مذبحة رهيبة .

وعند ذلك سمع هتافات هؤلاء العمال تقول :

ـــ زد .. أيها البلغارى القذر .. لسوف تموت !

أجل . ان هذا الرجل يجب أن يدفع ثمن مجابهته لبابادوبولو فى البرلمان .. فالموت له .

* * *

— ٢٠ —

انطلقت سيارة الجيب التابعة للبوليس يقودها أحد الضباط على الفور ، ولم تمض سوى ثلاث دقائق ، حتى وصل بها الى ميدان فارداريو ، وتوقفت أمـــام كشك رئيس المحطة ، فى مواجهـــة تمثـــال للملك قسطنطين .

قال له الضابط وهو يقفز من سيارته :

ـــ ان عليك أن تسلمنا على وجه السرعة كل مالديك من سيارات .

عند ذلك حدجه رئيس المحطة بنظرة فاحصة وقال:

ـــ ليس لدينا أى سيارة .

ـــ ولكننى أرى اثنتين واقفتين .

ـــ ان السيارة الأولى تقوم خلال بضع ثوان .

وضع صفارته فى فمه ، وأعطى اشارة القيام .

كان السائق جالسا على مقعد خشبى ومعه المحصل، فتطلع الى ساعته فى دهشة ، ثم صـــاح فى رئيس المحطـــة :

ـــ لابد أن ساعتك متقدمة يا ميتشوس !

فأشار له الرجل بيده وقال :

ـــ انطلق كما أقول لك .

وهنا قال له الضابط :

ـــ اعطنى أوراقك الشخصية .. انك ترفض اطاعة

أوامر ضابط بوليس أثناء الخدمة .. وذلك سوف له عواقب وخيمة .

فأجاب رئيس المحطة : اننى لا أملك أن أسلمك أى سيارة ، وما علينا الا أن نتصل تليفونيا الى المفتش العام ، الذى يستطيع وحـــده أن يأمر بما يجب أن أفعله .

ـــ انه أمر استيلاء .. هل تفهم ماذا يعنى ذلك ؟ لقد أعلنت الحرب !

أصلح الرجل نظارته على عينيه ، وراح يتفحص الضابط فى استغراب ، وتبادر الى ذهنه أنه قد أصيب بالجنون .

وخلال طوح السائق بعقب لفافته على الأرض ، وجلس مكانه أمام عجلة القيادة ، بعد أن صعد من الباب الجانبى .وضغط على زر اغلاق أبواب السيارة، ثم أدار المحرك .

وجن جنون الضابط ، وأشار له بالوقوف ، وأمر سائق سيارته بالوقوف بها أمام سيارة الركاب ، ليسد عليها الطريق . وهنا بدأ الركاب يحتجـــون ، فقال بعضهم :

ـــ اننا نريد العودة الى بيوتنا !

ـــ لقد تجاوزت الساعة التاسعة !

واتصل رئيس المحطة بالمفتش العام ، وبدأ يتحدث معه :

ـــ سيدى المفتش العام .. هنا رجل من البوليس يريد الاستيلاء على جميع السيارات التى لدينا .. وليس عندك سوى اثنتين ، احداهما على وشـــك التحرك .

ـــ اعطها له يا ميتشوس ! لقد جاءنى أحد الضباط

الكبار ، واخذ أربع سيارات ، ويبدو أنهم فى حاجة اليها لحالة اضطرارية .

ـــ حسنا .. سوف أعطيه واحدة .. ولكن يستحيل اعطاءه الأخرى .

فأمره المفتش العام قائلا :

ـــ انزال الركاب منهـــا .. ووزع موعـــدها على السيارات القادمة .

وضع رئيس المحطة السماعة مكانها ، وخرج من الكشك الزجاجى ، وطلب من السائق فتح أبـــواب السيارة ، ثم صـــعد اليهـــا وراح يرجو الركاب أن يتفضلوا بالنزول لأسباب قاهرة لم تكن متوقعة ،وطلب منهم الاحتفاظ بتذاكرهم للسيارة التالية .

وراح اثنان أو ثلاثة من الركاب يرغون ويزيدون ، وقال أحدهم : رحم الله الترام !

وعندما خلت السيارة ، قال الضابط لرئيس المحطة: اعطنى أوراقك .

ـــ انها ليست معى الآن .. فتفضل بالمجىء غدا لاستلامها .

وصعد السائقون كل الى سيارته ، وانطلقت سيارة الجيب فى المقدمة تتبعها سيارات الركاب ، فى اتجاهها الى مكان المظاهرة .

وتطلع الركاب الى الســـيارتين الفـــارغتين وهما تنطلقان ، وفى قلوبهم غصة وخيبة أمل .

ووصلت السيارات الى المكان ، فشـــقت سيارة الضابط طريقا لها وسط الجموع الحاشدة ، ثم توقفت وراء أربع سيارات أخرى . وهبط الضابط متجها الى حيث مدير البوليس ، وأبلغه أنه قد نفذ التعليمات حرفيـــا .

كان موعد انتهاء الاجتماع يقترب .

فقد بلغت الساعة التاسعة والنصف ، والحاضرون قد تجمعوا فى القـــاعة التى امضـــوا فيها اكثر من ساعتين . ان لدى كل منهم اسرته ، وعليه أن يذهب فى الغد الى عمله ؛ ويتعين على العمـــال منهم أن ينهضوا مع الفجر .

ان وجوههم مرهقة ، فيها وسامة ، ملامحها غائرة اذ تركت عليها الحياة اثرها . انهم جماعة من الفقراء، ولكن من الذى يعرف ذلك ؟ انهم يعرفونه ، غير أن الفقراء الآخرين الذين يقفون فى الميدان ، يجهلون أنهم كذلك .

وكان زد يفكر فى أن الموت يتربص بالانسان فى كل مكان ، ولكنه يرى أنه لا يجب على الانسان أن يتوقعه فى كل مكان ، والا فانه لايعدو كونه عبدا للخوف . حقا ان الموت ينقض عليه فجأة ، كما تنقض عليه سيارة تبرز على حين بغتة من منحنى الطريق . ولكن المهم الا نفكر فى هذه السيارة ، ولا فى ذلك المنحنى ، والا فاننا نتوقف عن السير ، ولا نستطيع أن نقطع خطوة واحـــدة .

ان الشمس تشرق على الدنيا كل صباح ، ثم تغيب عنها مع الغروب ، وهذا هو ثمن هذه الحياة .

وفكر فى أن الوقت قد أصبح مناسبا ليختتم كلمته، حتى يعود هؤلاء الناس الى بيوتهم ...

يالجمال الحياة ، عندما تلمسها يد عذراء ، قبل أن تلوثها الأدخنة التى تتصاعد من فضلات احتراق البترول . وما أجمل الحياة ، عندما تتعاون مئات السواعد ، وتتكاتف الأجساد .

لكم تصبح الحياة خالدة عند ذلك !

والويل لأولئك الذين يودعون الحياة ، بغير أن يفطنوا الى أنهم خلايا حية فى كيان فكرة من الأفكار ، تترك عندما تختفى من هذا الوجود ، مجموعات أخرى من الخلايا لتحل محلها . والويل لأولئك الذين سوف يموتون كالسائمة ، داخل حظائرهم ، والذين ليسوا على استعداد لاعطاء كل ما لديهم ، وبذل كل طاقة لهم فى أى مكان يطلب فيه ذلك .

ولقد يكون الموت متربصا بنا ، ولكن الأهم من ذلك هو ألا ننتظر الموت فى كل مكان ، والا كنا عاملا لنشر الخوف .

ان الشمس تشرق فى كل صباح ، حاملة البهجة والحياة الى هذا العالم المتفتح بالسعادة والحياة . وهذه الشمس التى نرقبها كل فجر ، ثم نفتقدها بعد كل غروب ، هى ثمن هذه الحياة .

ولو أننا أحصينا كل ذرات الزمن ، وعددناها ، لما عثرنا على شىء يبعث فينا النفور . ولابد للعاملين من مساكن أكثر ضوءا ، والا يكونوا عرضة للاستغلال، وراح زد يفكر ...

اننى منذ نعومة أظفارى ، كنت أود أن أصبح طيارا، لكى أحلق عاليا ، واخترق السحب ، وأعيش بالقرب من الشمس . وبعد ذلك أصبحت طبيبا ، لأن أسرتى

رغبت ذلك . وقد ظل شقيق لي فى القرية ، وهاجر شقيق آخر . كان لابد أن يخرج أحد العلماء من أعضاء هـذه الأسرة ، فوقع الاختيـار على ، وكان قدرى ومصيرى .

غير أن شعورا ظل يلازمنى ، جعلنى أعشق القمم العالية ، وأهيم بالأساطير . وعندما تزوجت ،اكتشفت أن عروق عنق امرأتى تنتفخ عندما تبكى وهى بين ذراعى ، لأنها تخشى أن أخونها ، أو أكذب عليها .

ولقد تحلو الحياة عندما يكون المرء متأهبا دائمـا للقاء الموت ، وعنـدما تهبط جـذور الليل الى أعمق أعماقنا ، وتضرب فى عنف دماءنا .

والحياة بعد ذلك جميلة .. عندما نعيش فى كنف السـلام .

* * *

كان قد جاء الى اجتماع مبكرا ، وقرر الآن بينما زد يتهيأ لاختتام خطابه ، ألا يتركه يغيب عنه لحظة واحدة.

وعندما رآه يدخل القاعة محطما ، ويعلن على الحاضرين أن ما أصابه هو الثمن الذى جعلوه يدفعه لأنه جاء اليهم ، طفرت الدموع فى عينيه .

ولم يكن هاتزيس ، ويلقبه أصدقاؤه بالنمر ، له مهنة معينة ، كما لم يكن يمتلك شروى نقير . لقد عمل بناءا ، وحمالا ، وسقاءا ، وماسح أحذية ، وكان يعيش وفقا لما يتراءى له ، ثم يجىء دائما لحضور هذه الاجتماعات .

ورغم أن مظهره يدل على الهدوء ، وقصر قامته ، فقد كان له ذراعان كأنهما صنعا من الفولاذ . وعندما كان يرى شجارا ، فانه يلقى بنفسه فيه بدافع من غريزته ، ويخوضه لا لأن أحدا قد طلب منه ذلك ، وانما لانه يشعر بأنه مضطر للاشتراك فيه .

ولكن من الذى يضطره الى هذا الاشتراك ؟ ولماذا؟

انه لا يدرى عن ذلك شيئا ، فهو غير مطالب بأن يقدم حسابا عن تصرفاته لأى انسان ، وله أن يسلك فى حياته السبيل الذى يختاره ، بغير أى وصاية لأحد عليه . ولقد جاء اليوم ، على سبيل المثال ، سائرا على قدميه من بعيد ، من كاتو تومبا ، اذ لم يكن فى

جيبه ثمن تذكرة فى الاتوبيس . وراح طوال الطريق يتطلع الى السيارات وواجهات المحال المختلفة ، والى جميع نعم الحضارة التى لا يستطيع مجرد الاقتراب منها . ومع ذلك ، فلم يكن يحسد أحدا ، ولا يحقد على أحد . كان يمارس نوعا من الزهد والتقشف ، خاصا به وحده .

وفى ذلك المساء كان عليه أن يذهب لمقابلة أحد المقاولين كانوا قد أوصوه عليه ، لكى يحصل منه على عمل يستمر أسبوعا كاملا . الا أن غريزته دفعته أخيرا لتفضيل حضور اجتماع انصار السلام .

ولم يكن يعرف زد ، ولكنه كان يشعر نحوه باعجاب كبير بعد تلك المسيرة التى قام بها بمفرده فى الشهر السابق فى ماراتون ، ومن أجل تلك اللكمة التى وجهها الى أحد النواب فى البرلمان . غير أنه كان يشعر أيضا أنه معرض للخطر ...

وبينما كان زد يختتم خطابه ويتهيأ للخروج الى الجحيم الذى ينتظره فى الخارج ، كان هاتزيس قد قرر بينه وبين نفسه أن يقوم بدور حارسه المجهول ، اذ أحس بالزهو لمجرد وجوده الى جانب هذا الرجل الباسل . ومن أجل ذلك غادر مقعده ، ثم ذهب فوقف الى جوار الباب الذى سيخرج منه زد ، قبل أن يهبط الدرج .

وما كاد يصل الى هذا المكان ، حتى شاهد زد وهو يتقدم وسط الأيدى التى امتدت نحوه تصافحه ، والتى كان أصحابها يريدون أن يتحسسوه أو ينتزعوا من ثيابه زرا للذكرى .

وكان هاتزيس فى انتظاره عند الباب . كانت الوجوه من حوله ملتصقة ببعضها البعض ، كما لو كانت بحرا

زاخرا ، فخيل الى هاتزيس أن زد سفينة مدرعة ، تتخذ طريقها الى عرض البحر ، بينما هو يمثل ذلك القارب الصغير المجهول ، الذى يتولى قيادتها عبر الطريق العسير .

ومن خلف زد جاء أعضاء لجنة الانفراج الدولى ونزع السلاح ، بينما بدأ بعض العمال فى نزع الشعارات من القاعة ، لكى تعاد الى أصحابها كما كانت قبل الاجتماع .

واقتربت امرأة عجوز من زد وصاحت قائلة :

ـ ان ولدى مريض يادكتور .. وليس معى أجر الطبيب .

توقف زد وتطلع اليها ، ثم قال :

ـ احضريه الى غدا فى الفندق ، وسوف أفحصه. اننى لن أغادره قبل الظهر .

وهتف رجل فى القاعة :

ـ الا تخجلين أيتها المرأة ؟ هل جئنا الى هنا لهذا الغرض ؟

لكن المرأة لم تكن تحس بأى خجل ، ولقد كان لديها المزيد لتحكيه عن الآلام التى تطلب لها شفاء .

وأصبح هاتزيس يراه الآن عن قرب شديد . ان الجرح الذى أصابه ، وتلك الكدمات الزرقاء فى وجهه، كانت بمثابة البصمات الأولى التى يتركها الموت ...

وقال بعض المحيطين بزد :

ـ ان من الأفضل أن يسبقك بعض منا ، لكى لايتكرر ما حدث .

فأجاب زد غاضبا : فليأتوا اذا كانت لديهم الجرأة!

وبدأ فى هبوط الدرج ، وانزلق هاتزيس وراءه . وأراد البعض ابعاده ، غير أنه استطاع بمرونة جسده

وقامته القصيرة أن يضع نفسه أمام الرجل الذى أخذ على عاتقه حمايته . وتطلع اليه زد ، واحس النمر بعينيه الزرقاوين ترسلان بريقا حادا ، فزال من لديه كل شك . ان هذا الرجل قد ولد ليكون زعيما ، وهو الزعيم الذى ود أن يلتقى به منذ سنوات طويلة ، منذ أن اغتالوا جميع أبطال المقاومة ، فلم يتركوا من يحل محلهم سوى رجال من الساسة والمنظرين ، الذين لم ير فى أحدهم ما ينم عن كونه زعيما حقيقيا .

كان زد يهبط الدرج فيتلقفه أولئك الذين لم يتمكنوا من الدخول الى القاعة ، اذ جلس بعضهم على درجات السلم وقد استولى عليهم نوع من الخوف ، نظرا لأن الباب الحديدى كان يبدو أنه على وشك السقوط تحت ضغط الخضم الزاخر من المتظاهرين فى الخارج، والذى كان يفتح بين الحين والآخر ليدخل منه أحد ضباط البوليس ، وعيناه تشبهان عدسات آلات التصوير ، وفى رأسه شريط للتسجيل ، ويحاول أن يلتقط عليه صورا لهم ، حتى يجرى التحقيق معهم فيما بعد ، أو يعرضهم لأنواع التعذيب ...

ولقد جلسوا فى أماكنهم هذه ، لا ترهبهم سوى فكرة أن جميع قوات سالويتك لا تستطيع أن تطرد من هذا المكان مالا يزيد على مائتين من المتظاهرين . غير أن زد ما كاد يمر بينهم ، فيتراجعون الى الوراء قليلا ليتركوا له مكانا يمضى منه ، حتى عاودهم الشعور بالثقة ، وتنفسوا الصعداء ، كما يحدث للمرء بعد أن يرتاح من عناء شديد .

وراح هاتزيس يفكر .. يا له من رجل رائع ، وهو يحاول فى نفس الوقت الا يبتعد عنه . لابد أن هذا

الجسد يفتن النساء ، كما أن روحه تلهب القلوب والنفوس ، ويديه البارعتين تخففان عن المرضى الآلام.

واصبح هاتزيس خلف الباب الحديدى ، ومن فوق اول درجة من درج السلم استطاع أن يرى ما يحدث فى الخارج . كان المتظاهرون قد ابتعدوا قليلا ، وكانت قبعتان أو ثلاث مما يرتديه رجال البوليس تتجول خارج السور الحديدى . وبيد كلها ثقة ، جذب زد المزلاج فانفتح الباب مرسلا صريرا عاليا .

وهكذا انفتحت ثغرة لتكون معبرا بين عالمين متناقضين ، ومن هذه الثغرة خرج ، وحيدا مهيبا .ولم يرتفع أى هتاف لدى ظهوره ، لأن الذين كانوا فى الخارج لا يعرفونه ، فلم يكن هناك أحد بين أولئك المأجورين يعرف ، بينما هو يصرخ طالبا الموت لزد ، الى من يوجه هذا التهديد . لقد أسروا اليهم بهذه الكلمة ، فراحوا يرددونها ، وهذا هو كل شىء . لقد كانوا سيفعلون نفس الشىء لو اعطوهم أى اسم كان، اذ كانوا كمن يدق على باب المجهول .

ووضع هاتزيس نفسه الى يساره ، ولمح على الرصيف المواجه كلا من الجنرال ، ومدير البوليس. ولابد أن زد رآهما بدوره ،لأنه لم يلبث أن اتجه نحوهما ، بقامته التى تشبه قامة أبطال الرياضة . ولاحظ هاتزيس أنه اضطر الى قطع عشر خطوات لعبور الطريق ، فى حين أن زد لم يقطع سوى ست خطوات فقط . أن هذه الخطى هى التى تليق بالرجل الذى يقبل أن يكون مرءوسا له . ولحق به هاتزيس، وجاء فى اعقابه أربعة من المحامين أعضاء اللجنة .

يا لها من متعة أن يشعر بضآلة الشأن أمامه ، وأن يتوارى فى ظله ، ذلك الظل الذى راح يتغير شكله

فوق أسفلت الشارع والرصيف . لقد كان يراه من جانبه ، فبدا له ملتهبا نتيجة لذلك الضوء الأحمر ، الذى ينبعث من واجهة أحد المحلات .

وارتفع صوت زد الحاسم يقول : سيدى مفتش البوليس !

واستدار الجنرال على الفور لدى سماع هذا النداء، كما تستدير عرائس المسرح متجاهلا صاحبه تماما. وخيل الى هاتزيس أن هذا الابتعاد الغريب المفاجىء، شيئا يلفت النظر ، كما لو أن زد كان يحمل مرضا معديا ، وأن مجرد أنفاسه سوف تنقل الى الجنرال هذا المرض .

وراح زد يكرر نداءه : سيدى مفتش البوليس !

كان الجنرال قد بلغ ناحية شارعى ايرمو وفنزيلوس ، وبعين كعين الصقر ، راح يرقب البحر الزاخر بالمتظاهرين .

وعند ذلك تلفت زد نحو مدير البوليس وقال يخاطبه :

— سيدى مدير البوليس .. انى احتج بكل قوة على هذه الفضيحة .. ان ذلك غير مسموح به .. فهو انتهاك للقانون !

فأجاب المدير : لو لم تضعوا مكبرات الصوت يا سيدى النائب .. لما تجمع كل هؤلاء .. ولكان اجتماعكم قد تم فى هدوء .. وما كنا لنجىء بكل هذه القوات .

— ان رجالك يقدمون العون لهؤلاء المتظاهرين .. بدلا من أن يعملوا على تفريقهم . واننى أخشى أن يحدث مالا تحمد عقباه لدى خروج أنصار السلام .

ـ ولهذا السبب بالذات أمرت باحضار هذه السيارات ...

وأشار الى سيارات الركاب الست التى وقفت مطفأة الأنوار ، ثم استطرد قائلا :

ـ لسوف يستقل أصدقاؤك هذه العربات ، وبذلك يستطيعون مغادرة المكان ، بدون أية أحداث .

وشاهد هاتزيس زد وهو يعتدل ، ثم يستدير الى الوراء ، ويسر ببضع كلمات لأعضاء اللجنة ، فيوافقون جميعا بهز رءوسهم على ما قاله لهم ، ثم يتوجه بالحديث الى مدير البوليس فيقول :

ـ ان أنصار السلام قد جاءوا الى هنا بوصفهم مواطنين أحرارا ، وسوف ينصرفون من هنا مواطنين أحرارا . انهم يرفضون أن يوضعوا فى هذه السيارات.

وفطن هاتزيس فى لمح البصر الخدعة التى يلجأ اليها مدير البوليس . ان أنصار السلام ما أن يتكدسوا فى السيارات ، حتى يصبحوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم ، وبالتالى يكونون تحت رحمة المتظاهرين . ان ذلك قد حدث من قبل ، وهو يذكره جيدا . وحتى مع افتراض حسن نية مدير البوليس ، وانه لا ينصب لهم كمينا ، فان النتيجة ستكون واحدة . وقد شعر هاتزيس بالارتياح لهذا الرد من جانب الرئيس .

ولم يكن باب المبنى يسمح لأنصار السلام بالخروج، الا فى بطء وفى مجموعات صغيرة ، فما تكاد مجموعة تخرج حتى تتخذ طريقها كل الى بيته . غير أن النطاق الذى ضربه رجال البوليس من حولهم ، كان يزيد من عرقلة انصرافهم ، ويعطل خروجهم ، وذلك من أجل هدف واضح للعيان .

وراح زد ورفاقه يتجهون ناحية فندق كوزموبوليت، الواقع فى الناحية المواجهة،على الرصيف المقابل للمكان الذى هم فيه . وفى آخر الشارع ، بدت كنيسة أياصوفيا وقد انبعث منها أضواء شديدة ، تشبه الأضواء التى تعد لزواج أحد الأمراء .

وأمسك أحد المحامين بذراع زد ، وسار هاتزيس وراءه ناحية اليسار ، عندما رأى ثلاثة رجال يرتدون سترات سوداء يتجهون نحوهم مهددين متوعدين . وقد لمحهم زد بدوره ، فخلص ذراعه من ذراع المحامى ، وصاح وظهره الى الفندق ، متحدثا الى شخص لا يراه :

ــ ها هم قد عادوا مرة أخرى ! لماذا لا تلقون القبض عليهم ؟ وما الذى يفعله رجال البوليس ؟

وفى هذه اللحظة بالذات ، انطلقت من الناحية المواجهة للتقاطع سيارة نقل ذات ثلاث عجلات ، كما ينطلق الطوربيد ، وعلى السيارة من الخلف رجل متربص ، يهوى بقضيب من الحديد على رأس زد ، الذى ترنح فى مكانه ثم هوى على الأرض ، فمرت عليه العجلات ، وجرته حوالى نصف متر . وانبثقت الدماء منه ، لكى تملأ الشارع .

وتعالى الصياح :

ــ ان هذا عار عليكم !

ــ اقبضوا عليهم !

ــ لقد قتلوا زد !

ــ الموت للقتلة !

* * *

كان قادما من المصـــنع الذى يعمل فيه لتفصـــيل الثياب ، ولا تزال بعض الخيوط عالقة بأرجل بنطلونه، وفى طريقه لكى يستقل سيارة الركاب من محطة شارع الاسكندر الأكبر ، ليعود به الى بيته فى الضـــاحية القريبة .

كانت قد مضت ثمانية أشهر فقط ، منذ عثر على هذا البيت ، بفضل التوصيات السياسية . وبغير أن يكون منتميا الى اليمين ، فانه عمد الى التظاهر بأنه ينتمى اليه ، اذ كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تجعله يقفز من آخر القائمة الى قمتها ، للحصول على مسكن فى الضاحية العمالية الجديدة ، التى كان يجرى بناؤها الى جوار سالونيك ، على الطريق المؤدى الى المطار ، الذى كان يعتبر مذبحا للأطفال ، لكثرة الحوادث التى تقع لهم .

وكانت هذه المبانى الشعبية نظيفة ، وعلى شاكلة واحدة ، وتحيط بها مجموعة من الأشجار . ولم يكن أحد من الذين يسكنونها يحسد جاره على شىء . وكان هو عائـــدا الى بيته فى هذه المبـــانى ، بعد أن انتهى من صنع بنطلون ينبغى تسليمه غدا ، عندما اقترب منه أحد رجال البوليس ، وطلب منه أن يتخذ طريقا آخـــر .

قال : ولكننى سأستقل سيارة الركاب من هنا !

ـــ ان هناك مظاهرة ، ولدى أوامر مشددة بعدم مرور أحد .

وأطاع الرجل هذا الأمر ، فقد كان رجلا وطنيا . وفضلا عن ذلك فانه كان يعرف هذا الحى جيدا ، ويستطيع أن يتخذ مسلكا آخر ، يوصله الى محطة السيارات .

ولذلك اتخذ شارع سولومو ، ودلف منه الى شارع سباندوينس . وعندما وصل الى آخره ، رأى سيارة نقل ذات ثلاث عجلات واقفة ، وعلى ظهرها رجل يجلس القرفصاء ، وامام السيارة خمسة أو ستة رجال ، يصنعون ما يشبه الجدار .

وعلى بعد قليل منها ، وقف ضابط بوليس برتبة الملازم، ومعه اثنان من الجنود . وظل الرجل سائرا فى طريقه بغير أن يبدى اهتماما ، ولكنه سمع العبارة التالية صادرة منهم :

ـــ هيا .. هل جننت ؟ انهم قادمون !

واستدار الرجل . لابد أن يكون ذلك هو صـــوت الضابط ، لأنه هو الذى كان أقرب المجموعـــة اليه . وعند ذلك رأى رجلا داخل السيارة ذات العجلات الثلاث يدير محركها ، ثم رأى مجموعة الرجال الواقفين أمامها يتحركون ذات اليمين وذات اليسار ، كما يحدث فى عروض الباليه ، وبعد ذلك رأى السيارة تندفع منطلقة الى التقاطع القريب بسرعة رهيبة .

وسمع بعد ذلك ضجيجا ، وصوتا مكتوما ، ثم رجلا يصيح قائلا :

ـــ هذا عار .. اقبضوا عليهم !

ورأى بعد ذلك ضابط البوليس بادى الهلع ، وقد أمسك رأسه بين يديه ، وسمعه يقول لمن بجواره :

ـــ ما هذا الذى حدث ؟ ليتنى اعرف ذلك !

فأجابه الآخر ساخرا : الا تخجل من نفسك ؟

ولم يفهم الرجل الذى يعمل فى مصنع الثياب شيئا. لقد كان لديه عدد من الضـــباط من عملائه ، الذين يقصدونه لضبط أثوابهم الرســـمية ، وكان شـــديد التعلق بهم .

لقد فهم فقط أن سيارة النقل ذات العجلات الثلاث لابد أن تكون قد صدمت شخصا ما ، ولكن من يكون هذا الشخص ؟ انه لا يعرفه .

ولما كان يعرف تلك الحكمة التى تقول ان الفأر لا يمكن أن يثبت أنه ليس فيلا اذا قبض عليه ، فانه راح يغز السير مبتعدا عن المكان . وفى اليوم التالى فقط عرف من الصحف من هو الرجل الذى قتل ، فأراد أن يذهب لكى يدلى بشهادته عما رأى ، ولكنهم قالوا له :

ـــ انصرف .. انك لرجل مجنون !

* * *

لم يفهم كيف أن ذلك قد حدث ، كما أنه كان يعلم انه لن يفهمه بكل تأكيد على اطلاق . ان مثل هـذه اللحظات تشبه النجوم التى تومض وهى تختفى فى السماء ، فهى تمر أمامنا ، ولا تترك الا شريطا مضيئا لا يمكن تبينه الا لحظة واحدة ، فلا نعرف من أين جاء، والى أين مضى .

فيا أيها الليل المظلم ، ياليل الويلات والشياطين !

لقد كان يمسـك زد من ذراعه بقوة كان يعرف ما الذى هو قادر على صنعه ، وراح يسير به نحو الفندق الذى ينزل به . ولقد أحس بعضلاته تحت أصابعه ترتعد نتيجة غضب مكبوت ، فزاد من قوة قبضته على ذراعه ، حتى لا يفلت منه .

والواقع أن زد بدا غاضبا منذ جرى ذلك الحديث بينه وبين مدير البوليس . ان تلك اللامبالاة ، وذلك الحقد الذى قرأه على وجه المدير ، بينما المظالم تقع من حوله ، جعلته يخرج عن وعيه . وحتى لا يدع زد يقدم على شىء يندم عليه فيما بعد ، فان المحامى كان ممسكا به بقوة ، لكى يصحبه حتى الفندق .

وأخذ الاثنان يتقدمان وسـط الميدان الذى امتلأ بالأحجار ، هى نفسها الأحجار التى كانوا يقذفون بها نوافذ المبنى . كانا يتقدمان ، وبينما راح المحامى يقدر الخطوات التى لايزال يتعين عليهما قطعها للوصـول

الى الرصيف الذى يقع عليه الفندق ، اذا به يراهم يعودون ، انهم المبعوثون الثلاثة الذين جاءوا من الجحيم مرتدين ثيابا سوداء ، والذين كانوا قد أصابوا زد قبل ذلك بالجرح فى وجهه ، وهم أكثر تهديدا ووعيدا .

وقد رآهم زد بدوره ، وأحس بالاشمزاز . كلا .. انه لا يمكن أن يتركهم يعيدون الكرة معه ، فخلص ذراعه بالرغم من جهود المحامى للامساك به ، واستدار نحوهم وصاح :

ـ ماذا يفعل البوليس ! انهم هم أنفسهم .. هاهم !

وماذا بعد ذلك ؟

بعد ذلك صوت صدام مروع ، كذلك الصوت الذى يحدث نتيجة انفجار لغم متفجر على غير انتظار . ولقد رأى أربعة رجال يفسحون الطريق فجأة ، لمظهر بينهم شبح سيارات النقل ذات العجلات الثلاث ، التى انقضت عليهما فى جنون . ولقد تمكن هو بالكاد أن ينحرف من طريقها ، ولو انه ظل ممسكا بذراع زد ، لكان قد استطاع انقاذه . ولكن زد كان لا يزال متجها بأنظاره ناحية الرصيف المواجه ، حيث ترك مدير البوليس منذ لحظات .

وبرز رجل مسلح بقضيب من الحديد فى مؤخرة السيارة ، هوى به على رأس زد ... كلا .. انه ليس واثقا ، فان عينيه قد اتسعتا من فرط الهلع ، ثم اختلط كل شىء أمامه ، اذ رأى نفسه فى مكان زد الذى ارتمى على الأرض ، وسط بركة من الدماء .

وكمثل الرجل الذى يصاب برصاصة ، فلا يشعر فى البداية الا بشىء ساخن هين يخترقه ، فانه خال

ان ذلك هو الذى يحدث له عندما يسقط . ثم راى نفسه لبضع ثوان لا يزال واقفا ، بينما رجل آخر قد سقط بدلا منه .

غير انه استعاد وعيه سريعا ، وانحنى لكى يلتقط رقم السيارة ذات العجلات الثلاث ، ولكن الرقم كان محجوبا .

وسمع عدة اصوات تصيح من حوله ، فتغطى للحظة على صوت المحرك ، بينما أخذت السيارة تضيع فى الأفق كما يفعل النجم اذا هوى ، متجهة فى شارع فينزيلوس ، فى الاتجاه الممنوع .

ـــ يا للقتلة !

ـــ ان هذا عار !

ـــ لقد قتلتم زد !

وشاهد رجلين أو ثلاثة يركضون خلف السيارة فى محاولة يائسة لايقافها ، ولكنها ظلت فى ركضها المجنون ، فاضطروا للعدول عن المحاولة .

ولقد تم كل ذلك خلال بضع ثوان ، كما فطن الى هذا فيما بعد ، ثم نقل بصره من زد الملقى على الأرض، ليرى الرجال الثلاثةوهم يهمون بمهاجمة سباتوبولوس.

ودار بذهنه انه يتعين الآن انقاذ من لا يزال على قيد الحياة ، وربما دفعه الى ذلك حب البقاء ، فأمسك بذراع سباتوبولوس ، ودفعه بكل قوته الى داخل الفندق .

وبعد ذلك بدقيقتين ، دخل المحامون الآخرون بدورهم وقد ازداد شحوبهم ، وهم يشكرون السماء على أنهم قد افلتوا من المذبحة ، فى هذه الليلة على الأقل .

* * *

لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للرجل الذى جعل من نفسه حارسا مجهولا له ، أى بالنسبة لهاتزيس الذى لم تتخل عنه شجاعته لحظة واحدة .

فقبل أن يسمع صوت المحرك ، شاهد يدا تشير الى زد . ولقد كان من شأن قصر قامته أن حال دونه وأن يرى سيارة النقل وهى تنقض عليهم ، فلم يستطع جذب زد فى الوقت المناسب لانقاذه .

وقد رأى الرجل ينهار الى جانبه ذلك الذى كان قبل ذلك بلحظات ، تومض عيناه الزرقاوان بقوة ، وسمع الصوت المكتوم للعجلات وهى تمر من فوق جسده،ثم لم يجد فى نفسه سوى شعور يتفجر بالغضب، ورغبة جامحة فى القبض على القتلة .

كان هناك رجلان قد تمكنا من التعلق بسيارة النقل، وهما يصرخان بأعلى صوتهما ويأتيان بأشارات للجمهور الا أن سرعة السيارة الفائقة قد أجبرتهما على تركها.

وقد فطن النمر الى أنه لو تعلق بدوره بحافة السيارة من الخلف ، فان ذلك الشبح القابع فوقها حرى بأن يحطم رأسه ، ولذلك قرر أن يقفز عليه ، وهو اما أن يسقط على الأرض فيصاب بجراح خطيرة، واما أن يسقط فوقها ... ومن حسن حظه انه وقع على ظهرها . ان هذه القفزة جاءت منه بدون وعى،

ولكنها مع ذلك نجحت ، وأصبحت سيارة النقل تحمل ثلاثة رجال .

انقض عليه فانجوس بدون انتظار . ولم يكن هاتزيس قد ثبت أقدامه بعد داخل السيارة ، فلم يتمكن من حفظ توازنه ، وتلقى مجموعة من الضربات التى كالها له فانجوس فى وجهه ، غير أن مشهد زعيمه القتيل ضاعف من غضبه .

وكان الرجل الآخر يعرف جيدا المكان الذى يقف فيه على ظهر السيارة ، فلم يصطدم بأى جزء فيها وهى سائرة بكل سرعتها . ومع أن هاتزيس لم تكن له هذه الميزة ، فانه سرعان ما اعتاد على المكان .

وحاصره فانجوس فى أحد أركان السيارة ، لكنه لم يستطع أن يمنعه من أن يوجه اليه ضربات من ركبته . وفى كل مرة كان ينحنى ليضربه ، تلقى ضربة منه فى وجهه ، فأخرج مسدسه وهو يمسك بخصمه بقوة ، ولكن هاتزيس راح يحاول تخليص نفسه . وكانت السيارة طوال هذا الوقت تسير بنفس سرعتها الرهيبة ثم انحرفت على حين بغتة ، مما جعل فانجوس يفقد توازنه ، ويرتمى على الحاجز المقابل . وانتهز هاتزيس الفرصة ، وانقض عليه وجرده من سلاحه، ثم لوى ذراعه حتى كاد يحطمه ، فصرخ فانجوس من فرط الألم ، وسقط على أرض السيارة .

وعند ذلك حمله هاتزيس، والقى به خارج السيارة، ورآه يتدحرج مرتين أو ثلاث ، ثم يصطدم بالرصيف، وبعد ذلك ابتعدت السيارة ، فغاب عن ناظريه .

واستدار بعد ذلك الى الرجل الجالس الى عجلة القيادة ، وهو يانجوس . ومع أن النمر لم يكن يذهب كثيرا الى السينما ، فانه حطم بقبضته الزجاج خلف

القائد ، وانتزع قطعـــة من الزجاج المحطم بيده التى ابيثقت منها الـــدماء ، وتهيأ لكى يغرســـها فى عنق يانجوس ، بعد أن أمسكه باليد الأخرى .

وضغط يانجوس ضغطة قوية على الفرامل ، مما خلصه من قبضته الآخر لثانية واحدة ، بينما اتخذت ســـيارة النقل ذات العجلات طريقها الى الرصـــيف الأيمن .

قفـــز يانجوس الى الأرض ، وظل هاتزيس وقد احتجزت يده بين الزجاج الذى كان يحيط بساعده ، الذى تعرى لما أصاب القميص من تمزق . وفى صعوبة تمكن من اخراج ذراعه ، ولكن ذلك جاء متأخرا ، اذ أن الرجل الآخر جاء وهو مسلح بهراوة تبرق فى أضواء النيون المنبعثة من دار للسينما على الرصيف المقابل، حيث جنحت السيارة ، ووجه اليه ضربة عنيفة على رأســـه .

وقبل أن يغيب هاتزيس تماما عن الوعى ، استطاع أن يسمع صوتا يقول :

ـــ انه قاتل .. لقد ذبح عددا كبيرا من الأشخاص!

* * *

ظهر الضوء الأحمر ، فجعله يقف عند أقصى الخطوط المسموح بها . ذلك أنه كان بحكم مهنته كرجل بوليس، ويتولى قيادة سيارة مدير مكتب وزير شمال اليونان ، قد تعلم كيف يرقب بعناية تعاليم القانون .

لقد كان أى سائق آخر حريا بأن يمر من الاشارة، بينما الضوء البرتقالى ظاهرا ، لكنه لا يمكن أن يفعل ذلك . ومن هنا فانه ضغط على الفرامل عند بداية ظهور الضوء الأحمر تماما ، ثم راح يتطلع فيما حوله.

كان هناك عدد قليل من المارة ، وتلك السيارة الجيب التى يعرفها جيدا ، لكثرة ما رآها داخل فناء الوزارة . وفطن اليه سائقها الذى يرتدى الثياب المدنية وأشار اليه بأنه يريد أن يقول له شيئا ،فخفض رجل البوليس الزجاج بجواره ، وحيا زميله ، وفى هذه اللحظة نفسها سمع صوتا حادا لامرأة تصيح : ان هذا عار !

ثم شاهد أمامه سيارة نقل ذات ثلاث عجلات تعبر الطريق أمامه ، وعلى ظهرها شبحان يتصارعان . وأطلق جندى المرور صفارته ، ولكن سيارة النقل ضاعفت من سرعتها ، واقتحمت شارع فينزيلوس فى الاتجاه الممنوع . وامتلأ تقاطع الطرق الذى لاح له منذ لحظة واحدة خاليا بالناس ، وارتفع الصراخ من

حوله ، واخذ البعض يضرب من الخارج على ظهر سيارته . وعند ذلك خفض الزجاج مرة أخرى ، فاذا برجل يقول له وهو يلهث :

ارجوك يا سيدى .. خذ زد معك .. لقد اصيب اصابة بالغة ... انها مسألة حياة او موت .

هبط رجل البوليس ، وفتح باب سيارته فى هدوء، وازاح المقعد الأمامى لكى يفسح مكانا اكبر للمصاب، وجلس رجلان آخران على الأريكة الخلفية . وأراد رجل ثالث أن يصعد أيضا ، ولكن لم يكن له مكان ، وتلوث المقعد الامامى بالدماء .

كان مرآى هذا العملاق ممددا ، ويخرج من فمه الزبد مختلطا بالدم ، يؤثر فيه الى أقصى حد ، فلم يعرف كيف يدير المحرك ، وغاصت الدنيا امام عينيه.

استدار نحو الرجلين اللذين يرافقان الجريح وسألهما : ماذا حدث ؟

— انه زد .. فأسرع الى المستشفى باقصى ما تستطيع .. فان حياته معرضة للخطر .

— ولكن ماذا جرى ؟

— لقد قتله أولئك الكلاب .

— أى كلاب ؟

— رجال البوليس .

فقال وهو يستدير :

— ولكننى أيضا من رجال البوليس .. وكما ترون فاننى أفعل كل ما أستطيع .

لم ينطق الرجلان بحرف ، وسمعت فقط زفرات الجريح ، وصوت الدماء وهى تقطر على المقعد

ثم قال أحدهما والسيارة منطلقة :

ـــ اضغط على آلة التنبيه .. واسرع اكثر من ذلك .

ـــ انها لا تعمل .

ـــ اللعنة !

ـــ انها ليست سيارتى .. لقد استأجرتها .

كان ذلك صحيحا ، فقد استأجرها لمدة ساعتين من احدى الوكالات ، ليذهب بها الى موعد مع فتاة تدعى كيتسا ، هى صـــديقة لأحدى معارفه ، وقد استأجر هذه الفولكس فاجن ساعتين ، لكى يستطيع أن ينفرد بها .

ولقد أوشك هذا الموعد أن يضيع منه ، فان المؤتمر الذى عقـــده وزير الدولة ليتحـــدث فيه عن الآفات الزراعية استغرق وقتا أطول مما كان متوقعا ، كما أن الجنرال وقف بعده ليتحدث عن خطر الشيوعية. الا أنه من حسن حظه أنه بدلا من أن يقود ســـيارة الوزير حتى المطار ، اقترح أحدهم أن يصحب الوزير فى سيارته الخاصة ،فأتاح له ذلك أن يلتقى مع كيتسا.

قال أحد الرجلين : ولكن هذا ليس الطـــريق الى المستشفى !

ـــ اننى مضطر للقيام بهذه الدورة ، لكى أتجنب اختناق الطرق .

ـــ اذن أسرع !

وعند ذلك اصطدمت سيارتهم بسيارة أخرى ،فتوقف الجندى ، اذ كان هو المخطىء .

فصاح أحد الرجلين : لا تتوقف ، انه يستطيع أن يأخذ رقم سيارتك ، فان هذا الرجل يوشك أن يموت!

ـــ أرأيت عواقب السرعة ؟ اننى مضـــطر لدفع غرامة .

وفحص السائق الآخر العطب فى سيارته ، وجاء الى الجندى لكى يحصل على البيانات التى يريدها ، فقال له هـــذا :

ـــ ان معى جريحا معرضا للموت .

فألقى الآخر نظرة على داخل السيارة ، ثم تراجع الى الوراء ، وهو يســـجل رقم الســـيارة على علبة سجائره .

ان هذا المساء فيه أشياء كثيرة لم تكن متوقعة . قد بدأ وهو مع كيتسا ، اذ أوقف السيارة وهما فيها فى بقعة مقفرة ، وبدأ الاثنان يداعبان بعضهما ، فلم تلبث كيتسا أن قالت :

ـــ يكفى هذا .. اذ لا يليق أن أفعل ذلك .. طالما أننا لن نتزوج .

فقال جندى البوليس : ولماذا لا نتزوج ؟

ولم يقل لها انه جندى فى البوليس ، اذ كان يعلم ان هذه المهنة ترهب عددا كبيرا من الفتيات . ثم انه لا يعرف هذه الفتاة الا اليوم ...

وانصرف بها ، وذهب الى أحد المطاعم القريبة ، وتناولا بعض أقداح من البيرة ، ثم بدأ يشعر بشىء من التوتر . أحس أنه يريد أن ينصرف ، فتذرع بحجة اعادة السيارة الى صاحبها فى الموعد المتفق عليه ، وقال لها أنه سوف يتصل بها بالتليفون غدا .

قالت : وانت .. أليس لديك تليفون ؟

ـــ كلا .

وعند ذلك أخرجت قلم الأحمر من حقيبتها ، وخططت به رقم تليفون المكتب الذى تعمل فيه على قطعة من

الورق . وتركته بعد ذلك وهى تركض ، فلاحظ للمرة الاولى أن ساقيها مقوستان . وابتعدت الفتاة ، بينما اخذت تطوح فى الهواء بحقيبة يدها .

* * *

واخذت انفاس الجريح تزداد صعوبة ، وراح زميلاه يصغيان الى تنفسه فى حزن والم ، وهما يحرصان على عدم جعل رأسه تهتز .

وجاء اثنان يحملان نقالة فور وقوف السيارة بالمستشفى ، واخذا زد فوقها . كان النبأ قد سبق الى هناك ، فكن كل شىء معدا . وسمع جندى البوليس أحد الأطباء وهو يعطى أوامره بتسجيل رقم السيارة التى حملت المصاب ، فاستولى عليه الرعب، فعاد الى مقعد القيادة ، وانطلق بأسرع ما يستطيع وقد ظل منطلقا بها فترة ، وهو يحاول العثور على نافورة لكى ينظف بمائها بقع الدماء التى لوثت المقعد، حتى يعيد السيارة الى الوكالة فى الحالة التى كانت عليها .

* * *

ماكادت السيارة الفولكس فاجن التى حملت الجريح — أو القتيل — تتحرك ، حتى تلفت يانى الى رجل الأمن الذى كان واقفا الى جانبه ، وانغليون فى فمه ، وسأله :

— ماذا حدث ؟ ومن هو المصاب ؟

— انه فتى فى السابعة عشرة .

— ولكنها كانت نفس سيارة النقل التى كانت واقفة منذ قليل .. ألم تلاحظ ذلك ؟

تجنب رجل الأمن الرد على السؤال ، وراح يانى يقول فى الخارج :

— انها هى نفسها .. وقد انطلقت كالطوربيد ثم لاذت بالفرار . انها هى نفسها .

وابتعد الرجل ذو الغليون بضع خطوات . لقد كانا يتحدثان معا حديثا وديا خاصا بصديق لهما ، هو ضابط فى البوليس ، نقل الى منطقة بريفيزا منذ شهر مضى. فما السبب الذى يجعل الآخر ، يتظاهر بعد وقوع الحادث مباشرة بتجاهله ؟

ان يانى يعرفه منذ سنوات الدراسة ، وهذه المدينة صغيرة بحيث يعرف كل من فيها الآخرين . وهو فى هذا المساء قد عرف مفتش بوليس الحى الذى يسكنه، رغم أنه كان يرتدى ثيابا مدنية ، بينما كان يسير جيئة وذهابا بادى القلق ، وهو يرقب التحركات الغريبة التى

كانت تقوم بها سيارة نقل ذات ثلاث عجلات ، لكثرة ذهابها وعودتها ، وتعطيلها لأى سيارة أخرى ومنعها من الوقوف فى التقاطع .

ولقد تدخل مفتش البوليس مرة واحدة فقط ، وذلك عندما طلب السماح بمرور سيارتى ركاب وصلتا الى المكان وانوارهما مطفأة ، ثم راح يتحدث بعض الوقت مع سائق سيارة النقل ، التى توقفت امام فندق كوزموبوليت .

ولم يتمكن يانى من سماع شىء مما كانا يقولان ، فان الأمر لم يكن يعنيه فى شىء . غير انه لاحظ بعد ذلك بقليل ، ان السيارة قد تحركت ، وذهبت لكى تتوارى فى زقاق جانبى يقع خلف الفندق .

وفجأة رأى تلك السيارة تنطلق بعد دقيقتين كالصاروخ ، فتسحق شخصا ما وسط تقاطع الطرق ، وتختفى بعدها فى شارع فنزيلوس ، بغير أن يبدى أى رجل بوليس من الواقفين فى المنطقة حركة لمطاردتها .

على أن مالفت نظره اكثر من أى شىء آخر ، هو تلك اللامبالاة التى يبديها صديقه رجل الأمن .. فلماذا يفعل ذلك ؟ ولماذا رد عليه بدون أى تأثر ، عندما سأله عن الشخص الذي أصيب قائلا :

ـ انه فتى فى السابعة عشرة ؟

لقد كان يانى يمر من هذا المكان للذهاب الى موعد مع صديق له ، دعاه لسماع بعض الاسطوانات الموسيقية الحديثة ، عندما سمع مكبر الصوت يعلق قائلا :

ـ .. لحظة واحدة .. وتستمعون الى خطاب زد .

وقد توقف من قبيل الفضول ، ليسمع بعض عبارات من هذا الخطاب . وجاءت وقفته أمام فندق كوزموبوليت ،

الى جوار صاحبه وهو رجل أعمال له به معرفة ، ورجل ثالث هو صاحب محل الحلوى الذى ترك عمله ليرى ما هناك .

وكانت هناك قوة كبيرة من رجال البوليس ، على أهبة الاستعداد للتدخل ، وذلك ما أدخل الطمأنينة عليه . ومع ذلك ، فانه لاحظ مع مرور الوقت ، أن هذه القوة لا تفعل شيئا على الاطلاق . فهى لا تضايق أى انسان من الذين يشتركون فى المظاهرة ، ولا تعتقل أحدا من الذين يقومون بأعمال الشغب ، وهى تكتفى بين الوقت والآخر ، بأن تطلب من أشد المتظاهرين صخبا ، التراجع بضع خطوات الى الوراء .

ولم يستمع يانى الى شىء من خطاب زد ، كل ما تناهى اليه هو التصفيق الحاد ، الذى كانوا يقاطعونه به ، مختلطا مع الشعارات التى كان يطلقها أنصار السلام . ثم قرر أن يظل فى مكانه ، ولتذهب الاسطوانات الى الجحيم ، فان أمورا كثيرة تحدث فى هذا المساء ، لم يسبق له أن رآها طوال سنى دراسته .

وعندما رأى سيارة النقل تنطلق ، ورأى رجلا يتلوى على الأرض ، ورجالا يتعلقون بالسيارة بغير أن يتمكنوا من ايقافها ، ثم المحامين الثلاثة وقد استولى عليهم الذعر فيركضون للاحتماء بالفندق ، لم يستطع أن يحول دون تقطيبة كبيرة ظهرت على وجهه . وهنا كان ذلك السلوك العجيب من جانب رجل الأمن ، الذى يضع غليونا فى فمه . وقد عاد يانى الى بيته ، اذ كان يعرف أن الأفضل للمرء فى مثل هذه الظروف الا يكون موجودا .

غير انه كان يود أن يعرف الشخص الذى دهسته سيارة النقل ، ورأى مجموعة من الأشخاص ، واقترب منهم وسألهم :

ـــ من يعرف حقيقة ما يجرى هنا ؟

فتصدى له أحدهم قائلا :

ـــ وهل لديك رغبة خاصة فى معرفة ما حدث ؟

وقال آخر : اذهب أيها المغفل !

وانفجر الجميع ضاحكين ، ثم مضى الرجل الأول يقـــول :

ان ما حدث ليس شيئا هاما .. لقد قتلنا رجلا شيوعيا .

ـــ لقد قتلناه قتلة جميلة !

ـــ ولقناه درسا بليغا !

وانطلق يانى فى طريقه ، وهو يفكر فى ذلك الشاب الصغير الذى مات ، وهو لا يزال كما يعتقد فى السابعة عشرة من عمره .

* * *

لم تكن باقية له سوى عشرين دقيقة ، قبل أن يترك دركه لرجل آخر ، على حين أنه لم يسجل سوى خمس مخالفات ، وذلك ما يعتبر حصيلة سيئة ، فى مثل هذا المساء الحافل ، فى قلب مدينة سالونيك .

دار ذلك فى ذهن رجل المرور ، وهو يعطى الاشارة لاحدى السيارات من طراز فيات لكى تعبر الطريق ، بعد أن رآها واقفة فى مكان ممنوع ، أمام محل الحلوانى أجابيتوس .

لقد كان تنظيم المرور فى قلب المدينـــة أمرا بالغ الصعوبة ، ثم ان مدير ادارة المرور الجديد كان رجلا صارما ، ويرى أن عدم تسجيل أكبر عدد من المخالفات، دليل على ضعف رجل المرور .

ولقد كان من سوء حظه أنه لم يعثر على مخالفات كثيرة فى هذا المساء ، ولو ان هذه السيارة من طراز فيات ظلت فى موقعها هذا خمس ثوان أخرى ، فانه ما كان ليتركها بغير مخالفة . لكنها تحركت قبل مضى هذا الوقت ، بينما كان يهم باخراج دفتر المخالفات .

ان له حظا كبيرا ، بثوبه الرسمى ، مع النســـاء اللاتى يقدن السيارات . ولقد راح يتابع بنظراته احدى الشـــقراوات ، التى ابتســـمت له من وراء زجاج سيارتها ، عندما لمح على بعد قايل من ذلك ، وأمام سينما تيتانيا ، جمعا من الناس يركضون من كل اتجاه.

ودار فى ذهنه أن حادثا قد وقع ، فأسرع بدوره الى المكان وهو يطلق صفارته .

وعندما اقترب من الجدار الذى تكون من الفضوليين، رأى رجلا أصلعا يخرج من بين سيقانهم كما يفعل الفأر ، وهو ممسك بين يديه برأسه ، ولا يتوقف عن البكاء كالأطفال قائلا :

ـ لقد ضربونى .. لقد ضربونى !

واعتقادا منه بأن صداما قد وقع ، وان هذا الرجل الأصلع هو واحد من الذين نجوا ، فانه تركه لمصيره، وبدأ يقوم بواجبه لتسجيل ما حدث . وأبعد الجمع بكل نشاط ، ثم وجد أمامه سيارة نقل ذات ثلاث عجلات واقفة على حافة الطريق ، ورجلا مشتبكا فى مشادة كلامية مع الحاضرين ، فقال :

ـ ما الذى يحدث ؟

فأجاب الرجل : لا شىء على الاطلاق .. لقد تشاجرت مع ابن عمى .. فضربته ضربة .. وضربنى مثلها .

وحاول الرجل المضى فى سبيله ، ولكن الشرطى قال له وهو يتقدم نحوه :

ـ ابق مكانك .. وارنى رخصة قيادتك .. وبطاقتك الشخصية .

فقال يانجوس : بكل سرور ..

وفحص الشرطى البطاقتين ، وهم باعادتهما لصاحبهما ، عندما تقدم أحد جنود المطافىء بخوذته اللامعة ومعه زوجته قائلا :

ـ اسمح لى يا سيدى .. لقد كنت شاهدا على كل ما وقع . ان هذا الشخص عمد بغير ما سبب فى رأيى ، الى اخراج هراوة من بين طيات ملابسه ،

وأخذ يضرب بها على رأس الرجل الواقع على الأرض غائبا عن وعيه .

وأراد الشرطى تفتيش يانجوس ، ولكن هذا اخرج الهراوة ، فاذا بها جديدة لامعة ، ومن النوع الذى يوزع على رجال البوليس .

وأدرك يانجوس أن الموقف بدأ يتخذ طريقا محفوفا بالخطر . لقد كانت رؤية خوذة الجندى قد طمأنته فى البداية ، الا أن هذا الأحمق يبدو أنه لا يعرف أى شىء من مجريات الأمور ، وفكر فى انه لا يدرى انه فعل ما فعل من أجل الوطن . وخيل له أيضا أن شرطى المرور بدوره أحمق لا يفهم شيئا ، ودار فى ذهنه أن المخرج الوحيد من هذا الموقف هو الذهاب الى المركز الرئيسى للبوليس . ابتعد عن السيارة متصنعا الشعور بألم فى كليتيه ، عامدا الى الانصراف . غير أن الشرطى فطن الى حيلته ، وأمسكه من ذراعه وهو يقول :

ـــ فلنذهب الى الرصيف المقابل .

ـــ والســـيارة ؟

ـــ ستظل هنا .. ولن يقترب منها أحد .

وعلى الرصيف المقابل كان يقع أحد مخازن البوليس، ففكر يانجوس فى انه لا يزال محظوظا . فلو أن أحد زملائه رآه ، لانتهت هذه المهزلة . الا أن المخزن كان مغلقا ، فوقفا فى الفناء .

وطلب الشرطى من جندى المطافىء أن يتفضل بالاتصال تليفونيا من أقرب كشك بمركز البوليس ، حتى يجيئوا لاعتقال شخص متهم بحادث ضرب متعمد ، ومخالفة لوائح المرور .

* * *

لم يكن فانجوس سعيدا ، وهو يرى مرة اخرى فى المستشفى ، هذا الوجه الذى سبق أن رآه أمام فندق كوزموبوليت منذ قليل . لقد ظل أكثر من نصف الساعة يرقب تصرفات هذا الرجل ، عندما كان يركز بصره على مكبر الصوت ، فى محاولة منه لالتقاط كلمات زد . فما الذى جاء به الآن الى مركز الاسعاف ؟ ومن الذى يبحث عنه ؟

لقد جاء فانجوس الى المستشفى بناء على نصيحة من صديقه الصحفى . ان الجراح التى أصيب بها لم تكن فى حاجة الى عناية خاصة ، ولكن هذا الصديق قال له :

— اذهب وسجل اسمك بين المصابين .. وبذلك فان اليساريين لن يكونوا وحدهم الذين يشكون مما حـــدث .

كان صديقه هذا صـــحفيا فى جريدة « الينيكوس فوراس » ويتولى قسم المسائل القضائية . ولما كان فانجوس ممن تثيرهم القضايا ، فانه كان يحضر دائما اهم ما يطرح فى المحاكم ، وكان يفضل جلسة تجرى فيها مناقشات صاخبة ، على الذهاب الى السينما.

وهكذا تعرف الى هذا الصحفى ، وكان يعتمد عليه فى عدم ذكر اسمه فى الصحيفة ، اذ هو تورط فى أى عمل قذر .

وقد تذكر فانجوس صديقه هذا فجأة ، عندما وجد نفسه ممددا بطوله على الأرض ، وعلى وجه التحديد امام مقر الصحيفة ، بعد أن القى به من سيارة النقل التى توقفت بعد ذلك بقليل ، وجمع من الناس يحيطون به .

كان يخشى أن يفطن اليه احد من انصار السلام فيطارده ، كما كان يخاف أن تزداد هذه المسألة تعقيدا ، قبل أن يتلقى تعليمات محدودة من مفتش البوليس.. لقد توقعوا فى حساباتهم كل شىء ، فيما عدا أن يقفز احد الى ظهر سيارة النقل ، فراح يكرر فى نفسه بغير أن يكون مقتنعا :

ـــ أرجو أن يتمكن يانجوس من القضاء عليه .

ولما لم يكن أمامه ، انتظارا لانفضاض هذا الجمع من الناس ، من شىء يمكنه من النجاة ، فانه قرر أن يلجأ الى الجريدة . ودخل الى مكتب صديقه ، فوجده غارقا فى العمل ، فقال له هذا وهو لا يكاد يتعـــرف عليـــه :

ـــ ما الذى جعلك تبدو هكذا .. وما الذى حدث؟

أجاب فانجوس : انهم الشيوعيون .. لقد عقدوا اجتماعا للسلام ، وجاء زد خصيصا من أثينا ليخطب فيه . فهل كان ينبغى أن نقف مكتوفى الأيدى ؟ لقد اعطيناهم درسا لن ينسوه ، وعندما حاولوا الرد ، جاءت سيارة فدهست زد عن طريق الخطأ .

ـــ عن طريق الخطأ ؟

ـــ هل تعتقد أن ذلك كان مقصودا ؟ اننى لا أعرف حتى من أين جاءت هذه السيارة ، وقد وقع الحادث عند تقاطع شارعى ارمو وفينزيلوس . لقد أصيب زد

بجراح ، والمســـألة ليست خطيرة ، وقد نقلوه الى المستشفى ، فعسى ان يجدوا فى ذلك موعظة لهم .
ـــ وما الذى استطيع ان اصنعه لك ؟
ـــ احب ان تكتب فى الجريدة اننى من الذين ضربوا زد عندما كان ذاهبا لحضور الاجتماع ، وبذلك لايتصور الزملاء اننى جبان .
ـــ أى زملاء ؟
ـــ انك تعرفهم جيدا .. انهم فرقة التحطيم .
تطلع اليه الصحفى فى ذهول ، ثم قال لكى يتخلص منـــه :
ـــ ان افضل ما انصحك به ، هو أن تذهب الى المستشفى لكى تقيد نفســـك بين المصابين ، وبذلك لا يكون اليساريون وحدهم الذين يقدمون شكوى . وعليك بشراء الصحيفة صباح الغد ، وســـوف ترى اسمك فى أول القائمة .
كانت قد انقضت حوالى اثنتى عشرة دقيقة منذ دخل الى مقر الجريدة ، واصبح يأمل ان يكون الجمهور قد تفرق فى الخارج . وقد استقل احدى سيارات الاجرة ، واتجه بها الى المستشفى . غير انه لاحظ يانى عند المدخل ، وهو ما بدا له أمرا غريبا ، وكان أكثر غرابة من ذلك انه وجد احدى سيارات البوليس فى انتظاره لدى خروجه .
وقبل أن يجد الوقت لتوجيه سؤال واحد ، اذ بهم يدخلونه فيها ، وينطلقون بها مسرعين . وقال له أحد الضباط :
ـــ انهم فى حاجة اليك على وجه السرعة ، فأين كنت أيها الخنزير ؟ ان المرء ليقوم بالعمل الذى يكلف به ، ثم يتبدد من الوجود . لقد بدأت الأمور تسير سيرا

سيئا ، وذلك نتيجة لخطئك ، اذ لم يكن عليك الا ان تردى ذلك الشخص الذى قفز الى سيارة النقل . انك لا تصلح لشىء ، والأدهى من ذلك انك ذهبت لكى تقول للصحف انك بطل .. انك أبله .. نعم .. فهل تريد أن نضيع جميعا ؟

ولم يعلق بذهن مانجوس من كل ذلك ، سوى شىء واحد ، هو كيف أمكنهم معرفة انه ذهب الى الصحيفة؟

* * *

ما أن سلم شرطى المرور يانجوس الى الدورية ، حتى شعر بالارتياح ، ثم خرج من مخزن البوليس ، وهو يعمل على ابعاد آخر من تبقى من الفضوليين .

وقد قام باخطار ادارة بوليس المرور بأن فى شارع كارولو ديل سيارة نقل ذات ثلاث عجلات يتعين نقلها الى جاراجات البوليس ، ثم عاد الى مكان عمله عند تقاطع شارع اياصوفيا والاسكندر الأكبر .

وانتهى العرض قبل الأخير لدار السينما ، وخرج المشاهدون فأحدثوا شيئا من الحركة فى المكان . ولم يكد يرفع ذراعه لكى ينظم المرور ، حتى شاهد الشرطى الذى جاء ليحل محله ، وكانت الساعة العاشرة والنصف تماما .

ولقد عاد الى بيته مرتاح الضمير ، فخلع ثوبه الرسمى ، وجلس ليتناول شيئا من الطعام ، وفى حوالى الساعة الحاديةعشرة والربع دلف الى الفراش

وما كاد ينقضى ربع ساعة على ذلك ، حتى جاء من يبلغه أن مدير البوليس يطلبه على وجه السرعة . فعاد وارتدى ثيابه على عجل ، وراح يصب اللعنات على كل شىء ، ثم خرج من البيت .

* * *

عندما كان بانجوس داخل سيارة بوليس النجدة فى طريقه الى مركز البوليس ، أحس بارتياح لا حد له، ذلك أنه كان فى طريقه الى العودة الى الاتصال بزملائه الآخرين .

فلقد تعرض للكثير مع أولئك الأغنياء ، الذين لا يعرفون شيئا من حقائق الأمور ، فما كان منهم الا ضياع الكثير من الوقت . كان كل ما يشغل باله انه ترك وراءه سيارة النقل فى شارع كارولو ديل ، على حين أن هذه السيارة هى التى من أجلها قام بكل ما قام به ؟

انه لا يستطيع أن يتركها هكذا وسط الطريق وحدها ، بغير من يدافع عنها . ورغم أن شرطى المرور قد وعده بأن يذهب الى أخذها من جراجات البوليس فى اليوم التالى ، فانه راح يلعن نفسه لأنه تخلى عنها، كما يتخلى الفارس الجبان عن جواده .

وقبل أن تدخل سيارة البوليس شارع ارمو ، قال للضابط :

— سيدى الضابط .. هل يمكن أن نعود الى الوراء ، وأن يتولى أحد رجالك العناية بسيارة النقل الخاصة بى ؟ اننى سوف أقوم بتنظيفها بمجرد خروجى من المركز .

وأجابه الضابط بأن ذلك ليس من اختصاصه ، ثم أجرى اتصالا لاسلكيا بالادارة التى يتبعها ، وأبلغها أن المشاغب قد تم اعتقاله ، وانه يسوقه الآن الى مركز البوليس .

وحزت كلمة « المشاغب » فى نفس يانجوس . انه ليس من النوع الذى يتحمل مثل هذا المزاح ، وأهاجه انه أصبح العوبة فى هذه المسألة . فكيف لم تخطر جميع قوات النظام هذا المساء ، بأن يانجوس سوف يقوم بخدمة ممتازة للأمة ؟ وكيف يعاملونه بهذه الطريقة ، كما لو كان مجرما عاديا ؟

غير أن ما أثار ضيقه أكثر من أى شىء آخر ، هى فكرة أن سيارته العزيزة سوف تقضى الليل بين أيد أجنبية غريبة . حقا انه لا يشعر بأى ود نحو الجنس البشرى ، ولكنه يحب هذه السيارة ، التى كان يزينها بالأعلام الصغيرة ، ويعمل على جعلها تبرق ، ويعتنى بها كما لو كانت فتاة مدللة .

وفى هذا المساء ، هاهم يسوقونه كالمجرم ، هو الذى كثيرا ما ارتكب المخالفات بدون أن يتعرض له أحد .. ثم يزعمون ان هذه دولة منظمة !

ولقد تنفس الصعداء عندما وجد نفسه عند مدخل مركز البوليس ، ثم ساقه رئيس الدورية الى أعلى، وسلمه الى الضابط المناوب ، ومعه تصريح القيادة الخاص به والهراوة ، وأدى التحية العسكرية وانصرف .

* * *

رأى يانجوس فى مركز البوليس جميع زملائه . كانوا جميعا هناك ، كوتسوس ومينذا وبايراكتاريس ، وبل وكذلك زيزيس الذى لم يره منذ عدة شهور .

وكان هناك ثلاثة أشخاص لا يعرفهم جالسين فوق مقعد خشبى طويل ، قال فى نفسه انهم لابد أن يكونوا من اللصوص ، بالرغم من أن منظرهم لا ينم على ذلك. ولقد فضل ، بما جلب عليه من خبث ، أن يكون معتدلا فى اظهار كل أبعاد عرى الصداقة التى تربطه برجال البوليس ، على الأقل فى حضور هؤلاء الأشـــخاص الثلاثة .

وقصد الى مكتب الجاويش ، وسلمه جميع أوراقه الشخصية ، تمهيدا لتحرير محضر بالحادث . ومن هناك ساقوه الى مكتب آخر ، كتب على بابه : نائب مدير المركز .

وما كاد يفتح هذا الباب ، حتى رآى الماستودونت بنفسه جالسا مقطب الجبين فى انتظاره ، فبدأ يقول: سيدى المدير ...

الا أن هذا أوقفه بحركة من يده ، وأشار له أن يغلق البـــاب . وأحس يانجوس لمـــرآه بشىء من الاضطراب ، وتساءل قائلا :

ـــ ما الذى حدث ؟

قال مدير البوليس : عليك بالجلوس أولا .

نفذ يانجوس الأمـــر ، وتناول اللفافة التى قدمها اليه ، بينما مضى مدير البوليس يقـــول وهو ينهض واقفـــا :

ـــ ان المسألة بدأت تفوح رائحتها ، ويبدو أنها لن تنتهى نهاية طيبة .

قال يانجوس فى قلق : هل أسأت القيام بالمهمة ؟
ـــ بل انك قمت بها على ما يرام ، ولو لم يعمد ذلك الشيطان الى القفز داخل سيارة النقل ، لكانت الأمور قد مضت على أحسن وجه ، وكنتما أنت وفانجوس قد تمكنتما من الذوبان بين الزحام ، وكنا فى هـذه الحالة قد استطعنا أن نقيد الواقعة بمثابة حادث مرور عام ، ورحنا نتظاهر بالبحث عنكما . أما الآن ، فقد فسد كل شىء ، وذلك نتيجة لأن أحد رجال البوليس لم يكن على علم بما تم تدبيره .
وتوقف مدير البوليس هنيهة ، ثم مضى يقول :
ـــ ان كلا منـا له أسرة وأطفـالا ، يتعين عليه اطعامهم . ولابد أن يخرج من هـذا المأزق ، بأقل أضرار ممـكنة .
قال يانجوس وقد اضطرب ظهرا لبطن من الجـد البادى على رئيسه :
ـــ اننى مدرك لذلك .
ـــ ان الأمر ليس قاصرا على ، فهناك آخرون تحت رئاستى ، كما أن هناك من هم فوقى .
ـــ اننى لا أعرف رئيسا الا أنت .
ـــ ليس الأمر بهذه الصورة ، ولكننى أحاول فى بساطة أن أحيطك علما بمجريات الأمور ، ولابد أن يتم ذلك على وجه السرعة . ان النيابة لن تلبث أن تطالب بأقوالك ، وسوف تدلى اليهم بالتالى . تناول قلما وورقا ، واكتب ما سوف أقول .
ـــ لا أعرف الكتابة .
ـــ اللعنة .. لقد نسيت .
وتوقف لحظة عن السير ، وتطلع الى المصـباح المعلق فى سقف الغرفة ، ثم قال :

ـــ لو أن فانجوس كان من حضور البديهة بحيث قضى على ذلك الرجل الذى قفز فوق سيارة النقل ، لما وقعنا فى هذا المأزق . فياله من أبله ، وياله من نذل جبان !

واستبد به الغضب ، فضرب بقبضة يده على المكتب بقوة ، واستطرد قائلا : انه جبان رعديد !

أجاب يانجوس : لو كنت مكانه ، لصرعته بضربة واحدة . لقد وجهت اليه ضربة واحدة بالهراوة ، فلم يتمكن ذلك القذر من النهوض . ولو لم نكن فى وسط المدينة ، لتركته يموت على أرض الشارع ، ولكن جمهورا كبيرا كان يحيط بنا ، ومن بينهم أحد جنـــود المطافىء بزيه الرســـمى ، هو الذى حال بينى وبين اتمام مهمتى .

ـــ وأين ذهب ذلك اللعين ؟ أين اختفى ؟ ان أقوالك اذا تضاربت مع أقواله ، سوف يصعب علينا الخروج من المأزق . فأين توارى ذلك اللعين ؟ لقـــد أرسلت احدى ســـيارات البوليس لاحضـــاره ، اذا كان فى المستشفى . ولو أن رجال النيابة جاءوا قبل ذلك ، لانكشفت اللعبة التى نقوم بها .

ـــ ربما كان فى الحانة .

ـــ الله وحده يعلم أين هو الآن . وعلى أى حال ، فقد يأتى فى أى وقت .

* * *

كانت هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها يانجوس رئيسه فى مثل هذه الحال . كان يشعل اللفافة من

الأخرى ، ولا يتوقف عن السير فى أنحاء الغرفة ، بينما زاغت عيناه ولا تستقران على شىء .

وظل يانجوس هادئا . انه مخلوق لا يستطيع أن يرى ما هو أبعد من أنفه ، ولو أنه أدرك أن رئيسه فى خطر ، لاستولى عليه الخوف . الا أنه كان يعتقد اعتقادا جازما بأن البوليس كيان لا قبل لأى شىء بالمساس به أو النيل منه ، بل ولا يمكن أن يقع تحت طائلة القانون ، طالما أنه هو الذى يفرض القانون .

كان يجهل أن هناك من يضعون القانون ، وأن آخرين يسهرون على تطبيقه . وكان يرى كذلك أن مقر البوليس مكان لا يمكن اقتحامه أو انتهاك شىء فيه ، على عكس الحانة مثلا .

سأل بعد برهة : ومن أولئك الأشخاص الثلاثة الجالسون فوق المقعد ؟

أفاق مدير البوليس من تأملاته ، وقال مستوضحا: اى ثلاثة ؟

وقصد الى الباب وفتحه ، فرأى المحامين الثلاثة جالسين فوق المقعد ، بحيث يستطيعون رؤية كل ما يدور داخل مركز البوليس . وعلى الفور تبادر الى ذهنه أن ذلك أمر لا يمكن السماح به ، وان من الخطأ أن يترك فى المركز من يتجسسون عليه . وذهب ناحيتهم وقال لهم :

ـ لقد انفضت الاشتباكات ، ويمكنكم الانصراف الآن .

فقال المحامى الذى يجلس فى الوسط ، والذى عرف فيه مدير البوليس أحد الذين ينتمون الى اليسار :

ـ اننا فى انتظار المفتش العام .

قال فى نفسه : ان ذلك أسوأ مما كنت أعتقد .

وعاد الى مكتبه ، وسأل يانجوس : هل رأوك وأنت تدخل هنا ؟

ـــ لست أدرى .. لا شك أنهم رأونى .

ـــ ولكنهم لا يعرفونك .

ـــ كلا .

تنهد المدير وقال : لا بأس .. ولكن لو أن صورتك نشرت غدا فى الصحف .. فانهم سوف يتعرفون عليك .

قال يانجوس : لقد كنت على حق حينما أخذت حذرى منهم ، ولكن من يكونون ؟

ـــ انهم ثلاثة من المحامين اشتركوا فى المظاهرة ، ويعرفون كل شىء .. لقد ضعنا الآن ياعزيزى .. ولست أجد أى مخرج . ان الشىء الوحيد الذى بقى لنا ، هو أن نهرب الى ألمانيا .

أجاب يانجوس : لو كان معى جواز سفر ، لنجوت بنفسى منذ زمن طويل .

* * *

كانوا اشـــبه بثلاث حمائم ، وســـط عصابة من الصـــقور . ولقد فتحوا عيونهم وراحوا يرقبون كل شيء .

لقد كان هؤلاء المحامون الثلاثة يجهلون أن هناك سيارة نقل قد صدمت زد ، وأحدثت به اصابة قاتلة ، فانهم كانوا من بين أول من غادروا الاجتماع ، لكى يعودوا الى بيوتهم . فلما وصلوا الى شارع اجناتيا، اذا ببقايا المتظاهرين يستوقفونهم مهددين :

ـــ الموت للبلغارى ! .. أيها الكلاب .. عودوا الى بلغاريا ! .. وأنت ياهاتسيفاس .. لسوف تموت !

وبادر هذا الاحتماء بأول فندق يصادفه ، انتظارا لمرور العاصفة . أما زميلاه فقد أسرعا الخطى ، وفى أثرهما مجموعة المتظاهرين . فلمـــا كانا فى شـــارع اجناتيا لحق بهما زميل ثالث ، حل محـــل الذى لاذ بالفندق .

وظلت جماعة المتظاهرون تتابعهم ، بينما ساروا هم على رصيف الشارع فى هدوء مصطنع . وبين الحين والآخرين يتقدمهم أحد المتظاهرين ، فيلوح فى وجوههم بقبضته ، على حين يصيح آخر وراءهم قائلا :

ـــ سوف نقضى عليكم أيها الأقذار ! وسنتابعكم حتى أبواب بيوتكم !

لم يكن فى مقدور المحامين الثلاثة الدخول فى معركة بالأيدى مع هذه الزمرة ، وقد أسعدهم الحظ بمرور دورية للبوليس كانت عائدة الى المركز ، فتوجهوا اليهم بالحديث قائلين :

ـــ اننا نطلب حمايتكم من هؤلاء !

وسرعان ما غيرت الزمرة سلوكها ، وتظاهرت بالبراءة ، فقال رئيس دورية البوليس :

ـــ عليكم اذن بمرافقتنا .

وأحس الثلاثة بالأمن عندما أصبحوا داخل مركز البوليس ، على حين لم يولهم أحد أى انتباه . وقد ظلوا جالسين على المقعد الخشبى ، وراحوا ينظرون. فلما انقضى ربع ساعة ، رأوا نفس الضابط يهبط الدرج ، ويصدر أمره لعدد من رجاله قائلا :

ـــ الى مقر اليسار الديمقراطى الموحد !

وسارع الرجال باطفاء سجائرهم ، وشدوا أحزمتهم جيدا ، وأخذوا يقفزون الدرج الى الخارج .

وقال أحد المحامين الثلاثة فى غير اكتراث :

ـــ لابد أن هناك مشاجرة .

فقال الثانى : لو أن زد ثارت أعصابه ، لكان حريا بتحطيم كل شىء .

وأضاف الثالث : من حسن الحظ أننا هنا ، فخير طريقة للنجاة من أسنان الذئب ، أن يختبئى المرء فى جحره .

ـــ لسوف أقدم شكوى غدا !

ولاحظ المحامى الأول وصول مفتش البوليس مرتديا ثيابا مدنية ، وكان زميلاه لا يعرفانه ، فلفت نظرهما اليه فى صوت منخفض .

ودخل المفتش كالريح الى مكتبه ، بغير أن ينتبه اليهم ، واغلق الباب فى عنف ، ولم يظهر بعد ذلك . وبعد بضع لحظات ، راوا شخصا غريبا يدخل نفس المكتب ، يرافقه ضابط الدورية . وكان يبدو على هذا الغريب أنه معتاد على هذا المكان ، اذ راح يحيى كل من يراه .

كان يبدو أنه واحد من المشـــاغبين ، وعندما راوا صورته فى صباح اليوم التالى تملأ الصحف ، وعرفوا أنه يانجوس ، شـــعروا بالندم على أنهم لم يعيروه اهتماما أكبر ويصـــغوا اكثر الى كلماته فى مركـــز البوليس .

وجاء بعده رجل آخر ، دخل بدوره مكتب المفتش، فما الذى يصنعانه فى الداخل ؟

كان هذا المبنى رهيبا ، فخيل الى المحامين الثلاثة أن شبحا بوليسيا هائلا يقرض بأسنانه فى الجدران .

* * *

هتف مفتش البوليس أخيرا لدى دخول فانجوس:
ـــ ها أنت أخيرا ! فأين كنت ؟
ـــ كنت فى المستشفى .
ـــ اننى أكرر لك ما قلته ليانجوس ، وهو أن الأمور أخذت تسوء ، ولابد لنا من العثور على وسـيلة أو أخرى ، نغطى بها هذه المسألة .
امتقع وجه فانجوس ، بينما مضى المفتش قائلا :
ـــ عليكما أن تتفقا معا على ما تدليان به أمـام المحققين .
فسأل فانجوس : وماذا عن زد ؟
ـــ لن يمر وقت طويل حتى يقضى نحبه .
دعك فانجوس يـديه فى بعضـهما ارتياحا وقال المفتش :
ـــ هذا شىء طيب .. فعليكما أذن أن تقولا ما يأتى: لقد كنتما أنت ومعـك يانجوس فى احـدى الحانات تشربان ، فاختارا معا حانة معينة ، لكى يحـدث تناقض فى أقوالكما .
وتساءل يانجوس : هل يسحبون الترخيص الخاص بى ؟
ـــ لا تخشى شيئا .. وسوف تسـتعيد سيارتك غدا ، ومعها جميع أوراقك . ولكنك ستظل هنا هذا المساء ، ونطلق سراحك غدا .

ثم توجه بالحديث الى فانجوس قائلا :
ـــ اما انت فانطلق من هنا فورا ، وسوف نتظاهر بالبحث عنك ، فعليك أن تختفى عن الأنظار أطول مدة ممـــكنة .
قال فانجوس : سؤال واحد يا سيدى الرئيس . ان ذلك الشخص الذى قفز على السيارة سوف يتكلم .. الا يجب أن نقضى عليه أولا ؟
فأجاب المفتش : ان اشخاصا آخرين سيتولون هذه المهمة ، فعليك بالانصراف ، واياك أن يراك أحد ، أو يعرف انك وضعت قدمك هنا .
ـــ وماذا عن الأشـــخاص الثلاثة الجالســـين فى الخارج ؟
ـــ انهم لا يدرون بشىء .
فقال فانجوس : لازالت لدى فكرة .
واخرج من جيبه نظارة مهشمة ، ثم وضعها على عينيه ، وانكمش على نفسه ، وخرج من المكتب فى شكل مختلف ، بعد أن ربت فى ود على كتف زميله يانجوس ، الذى بدت عليه الدهشة وهو يتطلع اليه.

* * *

— ٣٤ —

رأى المحامون الثلاثة بعد ذلك يانجوس خارجا بادى السرور من مكتب مفتش البوليس . لقد دخله قبل ذلك مكتئبا ، وهاهو الآن يخرج مبتسما ظاهر المرح، بل انه راح يمزح مع أحد الجنود ، ثم ربت على وجهه.

وغاب يانجوس بعد ذلك عن العيان ، ولم يعودوا يرونه طوال مدة وجودهم داخل مركز البوليس .

وأخيرا جاء ضابط البوليس الذى كان قد أحضرهم الى المركز ، بعد أن عاد من مقر اليسار الديمقراطى الموحد ، حيث لم يقع أى حادث ، فعرض عليهم أن يرافقهم مرة أخرى حتى منازلهم .

وعندما خرجوا الى الشارع ولفحهم الهواء الرطب، شعروا بالكثير من الارتياح. وكان الليل معبقا بالنسيم، وفى السماء بعض السحب ...

وعاد كل من الثلاثة الى بيته .

* * *

كان هاتزيس يحاول أن يعثر على مجأ يلوذ به ، فى هذا الليل الذى بدت فيه السحب كأنها أستار له.
فما كاد يخرج من المستشفى ، حتى أحس أنه يوشك أن يسقط أعياء . أنه قد يكون الشاهد الوحيد على هذه الجريمة البشعة ، ولذلك فانهم سوف يبحثون عنه ، لكى يتخلصوا منه .

وحتى يفلت من طريقهم ، فانه عمد الى تسلق أحد الأسوار ، وراح يتسلل من الأزقة الضيقة التى كانت مقفرة ، وسرعان وجد نفسه فى حى المحطة القديمة. وفوق أحد القضبان رأى عربة بضائع خالية ، فدخلها ونام فيها ، بالرغم من الآلام المبرحة التى كانت تسببها له آثار ضربة الهراوة على رأسه .

لقد كان فى حاجة الى طن كامل من الاسبرين ، ولكن اين عســـاه يعثر على شىء من ذلك ؟ ان الصـــيدلة الساهرة هذا المساء يجب أن تكون على بعد مئات من الفراسخ من هذا المكان ، ثم انه لابد له أن يبحث عنها الى أن يعثر عليها .

ونام نوما عميقا ، فلم يشعر بالعربة وهى تتحرك. وقد خيل اليه فى البداية أنه يحلم ، ثم لم يلبث أن هب واقفا . كان لا يزال يتألم ، كما لو كان يستيقظ من كابوس ثقيل ، وعندما تنبه وجد أنه فى بلاتى ، وعلى بعد نصـــف ساعة من مدينة ســـالونيك . فهبط من العربة ، وقصد للقاء ناظر المحطة .
ولم تكن فى جيبه دراخمة واحدة .

لم يسلك فانجوس طريق بيته ، ولكنه عاد مباشرة الى الجريدة . فلما رآه صديقه الصحفى وهو يتخفى على هذه الصورة ، بدت دهشته وهو يسأله :

— ماذا حدث ؟

— ان زد يوشك أن يلفظ روحه .

— ولماذا وضعت هذه النظارة ؟

— حتى لا يعرفنى أحد . وقد جئت أطلب منك عدم ادراج اسمى فى الجريدة ، اذ لا أريد التورط فى هذه المسألة . ان زد سيموت .

— وما دخلك فى الأمر ؟

— لا شىء . ولكن اذا ظهر اسمى فى الجريدة ، أو اذا قلت اننى كنت من بين الذين ضربوه عندما كان ذاهبا الى الاجتماع ، فان المحققين سوف يبحثون عنى ، بما فى ذلك من متاعب لا أبحث عنها .

— لا بأس .. سوف أرفع اسمك . ولكن لا جدوى من العودة للقائى هنا هذا المساء ، فلن أكون موجودا .

حياه فانجوس وانصرف ، وعاد الى بيته ، بعد أن مر على بيت يانجوس ، لكى يقول لزوجته ان ابن عمه لديه عمل هذه الليلة ، ولن يستطيع العودة الى البيت .

وما أن دخل الى غرفة نومه ، حتى بادر الى اظهار فراشه كأنه قضى الليل فيه ، وخرج ثانيا للبحث عن شىء معين .

* * *

كانت هناك حركة كبيرة فى ادارة المرور ، عندما جاء الشرطى لتقديم نفسه ، وكان المدير فى حالة غضب شديد ، فيروح يتحدث تارة فى التليفون ، ويتحدث بعبارات غامضة مع محدثه ، وتارة أخرى يقاطعه نداء خارجى من وزير الداخلية ، ويتحدث فى أثينا ، يريد أن يعرف تطورات الموقف ، وتارة ثالثة يجىء ضابط يخطره بمقدم شخص جديد .

وقال المدير للشرطى وهو يحيطه علما بالموقف :

— لقد استدعيتك لتعرف ما هناك .. ان الشخص الذى سملته الى بوليس النجدة ليس شخصا عاديا تشاجر مع آخر فى الطريق العام ، انما هو واحد منا، فى حين أن الآخر شيوعى معروف .

— ولكن ...

— لا جدوى من التبرير .. لقد قمت بواجبك ، واهنئك على ذلك . غير أن المشكلة ليست فى ذلك ، انما المشكلة انهم سوف يستجوبونك غدا بلا شك ، لكى يستوضحون الظروف التى اعتقلته فيها . ومفهوم طبعا أن كل ما ستقوله سيكون فى صالح الجهة التى تخدمها . انصرف .

وكان الجنرال الذى تهالك فى مقعد وثير مستمعا الى هذا الحديث ، لا يعقب عليه بشىء ، مكتفيا بهز

رأسه وهو بادى القلق . فلما انتهى مدير المرور من عبارته قال للشرطى :

ـــ اصغ الى يا بنى .. من أين أنت ؟

ـــ من آرنا .

ـــ هل والدك على قيد الحياة ؟

ـــ أجل .

ـــ وهل لك أشقاء وشقيقات ؟

ـــ لى شقيقة لم تتزوج بعد .

ـــ اذن .. فيما يتعلق بالهراوة .. من الأفضل ألا تشير اليها فى أقوالك .

ـــ ولكنى ذكرتها فى تقريرى .

ـــ استمع .. اننى الجنرال .

فاعتدل الشرطى فى وقفته ، ومضى الجنرال يقول:

ـــ استرح .. وفكر جيدا فيما قاله المدير . اننا جميعا واقعون تحت التهديد الشيوعى ، الذى يسبب الاضطراب فى المجموعة الشمسية بأسرها ...

وقطع رنين التليفون عليه الحديث ، وكانت أثينا هذه المرة أيضا ، وسمع الشرطى المدير وهو يقول :

ـــ ان الأفق يصفو بعض الشىء .. سوف نصحح ذلك . كلا .. انهـــم لم يحضروا بعد .. لابد انهـــم يحضرون باليه بولشوى .. نعم .. على الفور .. مع احترامى يا سيدى الوزير .

أدى الشرطى التحيـــة العســـكرية وخرج . وفى الدهليز كان رجل يرتدى بيجاما ينتظر ، وعلى كتفيه وضع معطفا .

* * *

انتهى يانجوس من تناول ضلع من لحم الضأن فى مطعم مركز البوليس ، الذى يقع فى نهـــاية الممشى الطويل . لقد كان جائعا كالذئب ، فراح يلتهم الطعام التهاما ...

وخرج بعد ذلك من المطعم ، فرأى أن المجهولين الثلاثة قد غادروا المقعد الخشبى الذى كانوا جالسين عليه ، وجلس مكانهم بائع كعك متجول ، وهو غلام يبكى فى حرقة ، لأن البعض قد صـــادر السلة التى يحمل فيها بضاعته .

كان جندى قد طرده من المكان الذى كان واقفا فيه، ثم بعثر الكعك الذى يحمله على الأرض ، وبعد ذلك جذبه من رقبته ، فمزق قميصه وساقه بسلته الفارغة الى مركز البوليس .

وفى المركز أخذوا منه السلة ورموا بها فى مخزن قريب ، وزجوا به فى غرفة امتلأت بعدد من البائعين المتجولين ، الذين لا يحملون تصاريح .

وكان الغلام جالسا الآن فوق المقعد الخشبى يجفف أنفه ، بعد أن بكى طويلا . وقد أقر أنه كان يتفرج على المظاهرة ، ولكنه لم يبع هناك شيئا من بضاعته، فاتجه بعد ذلك الى أبواب خروج المسرح القومى ،

على أمل منه فى أن يكون حظه أوفر ، فماذا بذلك الجندى يعتقله .

فلماذا أعتقله ؟

انه كان لا يعرف سببا لذلك ، وهذا هو سبب بكائه .

وضع يانجوس أصابعه فى رفق فى شعر الفلاح الأشقر ، وظل هكذا طويلا يتحسس رأسه .

* * *

كان العرض المسرحى يوشك على نهايته .

وفى هذه اللحظة يرى روميو جولييت ، وقد تمددت على الأرض ، فيخال له أنها قد ماتت . وعند ذلك يتناول السم بدوره ، فيسقط على المسرح ، بعد أن يترنح وهو يرقص رقصات وديعة رائعة ، مصورا تلك الرعدة الرهيبة التى تجتاح الحبيب الذى يقتل نفســـه من أجل الحب .

وبينما هو ممدد على الأرض ، ظل ذراعه بضع لحظات معلقا فى الهواء ، وقد راح يهتز كعنق البجعة.

ويجىء دور جولييت ، بكل جمالها وهى مرتدية ثوبها الضيق الذى التصق بجسدها ، فتنهض من رقدتها تنبض بالحياة ، وتروح تتطلع من جديد الى عالم كانت تعتقد انه ضاع منها الى الأبد .

وتستقيم على أطراف قدميها ، وتأخذ فى الدوران حول نفسها ، تعلق فرحتها ، وهى فرحة لا تدوم طويلا، لأنها تكتشف روميو . وفى لحظات متوترة تقترب منه، وتنحنى كما ينحنى غصن الشجرة اذا انثنى ، ثم تعتدل كما يعتدل ليعود الى وضعه . وبكلتا يديها تغطى وجه حبيبها ، بينما الموسيقى العميقة الحزينة الصاخبة تصاحب تمزقها وتفتت قلبها .

ومن المكان الذى تعمل فيه الفرقة الموسيقية ، لا تظهر سوى عصا المايسترو مهتزة فى الهواء ، كما يبدو هوائى الغواصة وهى فى أعماق البحر .

يا لله ! لماذا قدر لها أن تصحو من غفوتها ؟ ولماذا كان قيامها ؟ لماذا لم تظل الى الأبد ، أسيرة ذلك النوم الذى لا تتخلله الأحلام ؟

ان الراقصة الروسية ، بالرغم من التزامها المطلق بأصول الفن ، تبعث فى المشاهدين انفعالا عميقا يهزهم ويسيطر عليهم .

وهاهى تتأهب لتضع نهاية لأيام حياتها ، فهى لاتبصر أى ضوء ، والشمس قد غربت أمامها وأظلمت ، ولم تعد تنتظرها أى سعادة أو هناء ، هى التى كانت قبل ذلك بدقائق تفيض بالمرح والحياة .

ترى منذ الذى كان يتنبأ لهذا الحب أن ينتهى هذه النهاية ؟

انها ترقص آخر لحظاتها حول جثة حبيبها ، وهى تحيطه بدوائر من حنان غير مرئى ، على حين راحت الفوانيس السحرية تبذل كل جهد لمتابعة حركاتها ، تاركة روميو فى الظلام .

وتقفز جولييت عدة قفزات لكى تختتم رقصتها ، رقصة الموت . وتزداد الموسيقى صخبا على صخبها ، بينما هى تمسك بقنينة السم ، وتتجرعها .

وتبدأ بدورها تترنح فى مثل رقة النسيم ، ملتزمة فى ذلك بقانون التوازن الذى أمضت كل حياتها كراقصة تتعلم كيف تقاومه ، غير أنها فى هذه اللحظات هى الراقصة التى تنحنى وتسقط ، وانما هى جولييت

نفسها التى تجثو ، والتى تلمس بيدها جبين حبيبها فى مثل لمس الزهر ، ثم تدفن وجهها فى صدره .

وتكاد أنفاس جمهور المشاهدين أن تتوقف .

وتظل جولييت ترقص وهى راقدة مكانها ، الى أن ينقطع حبل حياتها ، فتتهالك وهى تموت فوق جثته.

وتختلط آخر نغمات الموسيقى بالتصفيق الذى يسرى فى القاعة كلها .

* * *

وتأخذ الأضواء فى الظهور تدريجيا ، منبعثة من الثريات الضخمة ، وينسدل الستار المخملى الأحمر ليغلق المسرح .

وتبدو الأضواء على أشد ما تكون ، ويخال أن الحياة قد انبعثت فيها ، منتقلة اليها من تصفيق الجمهور الذى استمر طويلا .

ويعود الستار فينفتح فى تثاقل ، كما لو كان شفتين ممتلئتين التصقتا فوق بعضهما من كثرة الخضاب ، ويظهر أعضاء الفرقة الراقصة جميعهم فى مقدمة المسرح يصفقون بدورهم ، وفقا للتقليد الروسى ، تحية للجمهور الذى استقبلهم هذا الاستقبال العظيم .

ويتقدم الراقصون والراقصات فى ثيابهم المسرحية الملونة الى المقدمة ، وينحنون للجمهور ، كل زميلين، فلما كان دور روميو وجليبت ، وقف المشاهدون وأخذوا يهتفون لهما ، يلقين اليهما بالزهور ، التى راح روميو يجمعها .

وقد انفتح الستار وأغلق سبع مرات ، ثم انسدل للمرة الأخيرة ، وعند ذلك بدأ النظارة ينصرفون .

كانت السيدات فى أكمل زينتهن ، وفوق صدورهن تبرق اللالىء الثمينة ، وقد ارتدين أغلى الثياب ، التى حاكها أشهر مصممى الأزياء فى أثينا .

وراحت بعض السيدات يتحدثن معا :

ـ ياللروعة !

ـ لقد كان روميو هو الذى نال اعجابى !

وأخذ الرجال الذين ارتدوا ثياب السهرة يتدافعون للخروج ، فقد كان كل مجتمع المدينة الراقى يشهد العرض الأول .

وسأل أحدهم :

ـ أين بوبى ؟

ـ لقد انصرفت خلال الاستراحة ، فهى منذ حملت تتعرض كثيرا للغثيان .

وأخذ الرجال يتبادلون التحية ، ويشعلون لفائفهم بعد طول حرمان . كان حاكم المدينة وعمدتها ووزير شمال اليونان وقائد الجيش الثالث حاضرين ، ولم يتغيب عن الحضور سوى الأسقف والجنرال مفتش البوليس .

وراح البعض يساعد السيدات على ارتداء معاطفهن ، ومعاونتهن فى الهبوط على الدرج الرخامى .

وقال بعضهم : لقد أحسنت الحكومة باستدعاء الباليه الروسى .

ـ قل انها أحسنت اذ تحولت الى الاشتراكية .. التى تجرى فى دماء أعضائها .

ـــ ان الحكومة لا دخل لها فى ذلك .

وبدأت المجموعات تتبادل التحية وتتفرق ، وهم يتبادلون آخر العبارات :

ـــ انها سهرة لا تنسى .

ـــ لقد حصلت على مقعدى فى آخر لحظة ، فقد نفدت التذاكر منذ خمسة عشر يوما مضت .

ـــ أما أنا فقد اشتريتها من السوق السوداء .

ـــ من يتصور أن هذه الفرقة هى الفرقة الثانية ، فما بال الفرقة الأولى اذن ؟

* * *

وأخذ البعض يعود الى بيته بسيارته الخاصة ، والبعض الآخر يستقل سيارات الأجرة ، على حين عمد آخرون الى شراء الكعك الساخن ، تمهيدا للذهاب الى سطح مقهى دورية .

وبدأت أضواء المسرح تنطفىء ، وكان آخر المشاهدين على الدرجات الرخامية الخارجية ، يتحدثون فيما بينهم :

ـــ اننا نقيم حفلا صغيرا غدا .. هل تأتى ؟

ـــ بكل سرور .. فاننى فى شوق شديد الى اللعب .

واستقلت جماعة من الشباب سيارة ضخمة ، وذهبوا للرقص فى أحد النوادى الليلية . وأخذ اثنان من رجال المال يتناقشان فى شئون البورصة ، وصعد

الوزير الى سيارته الرسمية ، وهو يحيى أصدقاءه. وانصرف وكيلا النيابة ، وفى ذراع كل منهما تعلقت زوجته ، فى طريقهما الى المدينة القديمة .

وفجـــأة تتوقف أمامهما احدى ســـيارات الجيب ، ويتبادل ســـائقها معهما بضـــع كلمات ، فلا يلبثا أن يستقلاها مسرعين ، تاركين زوجتيهما فوق الرصيف، ثم تنطلق السيارة بهما الى مركز البوليس .

* * *

— ٤٠ —

وجد وكيلا النائب العام كلا من الجنرال والمدير فى مركز البوليس ، فقال الجنرال يسألهما :

ـــ انه الباليه اذن ؟

فأجاب أحد الرجلين :

ـــ لماذا لم يخطر أحد قبل ذلك ؟

ـــ لاننا لم نكن نعلم أين نجدكما على وجه الدقة .

ـــ وما الذى حدث ؟

أجاب مدير البوليس : حادث مرور ، أصيب فيه نائب اليسار الموحد .

ـــ وهل تم اعتقال الجانى ؟

وهم المدير بأن يجيب ، الا أن الجنرال سبقه فى الرد قائـــلا :

ـــ لم يتم اعتقاله بعد ، ولكننا سوف نفعل بأسرع ما يمكن ، كائنة ما كانت الجهة التى سيذهب اليها.

شحب وجه مدير البوليس . كيف يمكن للجنرال أن يبتدع مثل هذه الاكذوبة الضخمة ؟ وما الذى يحمله على ذلك ؟ ان لهذا الضابط المعظم دائما أسلوبا خاصا فى الحديث ، لا يستطيع هو أن يتابعه .

قال رجل القانون : وهل المجنى عليه فى حـــالة خطرة ؟

فأجاب الجنرال : لست أدرى .

ونهض المدعيان، وتوجها على الفور الى المستشفى، حيث نقل المصاب . لم يكونا على علم بمدى خطورة الحادث ، وجال فى بالهما ان فى الامكان جمع معلومات أو الحصول على أقوال زد . فلما وصلا الى هناك ، لم يجدا سوى وجها مشوها تماما ، اذ كان زد قد مات اكلينيكيا .

وعندما عاد الرجلان الى مركز البوليس ، قدموا اليهما يانجوس ، الذى كرر أمامهما ما لقنوه له ، فقال أحدهما وقد ثارت أعصـــابه ، موجهـــا الحديث الى الجنـــرال :

ـــ معنى ذلك أننا عندما وصلنا الى هنا ، كنت على علم تام بأن الجانى قد تم اعتقاله ، وأنكم قد اخفيتموه.

ـــ كلا .. لم يحدث ذلك على الاطلاق ، وقد كنت أجهل نبأ اعتقاله تماما .

ـــ وهل من المعقول أن رجالك لم يبلغوك بالأمر ؟

ثم وجه أحد المدعيين حديثه الى يانجوس قائلا :

ـــ أين كنت بعد الساعة العاشرة والنصف ؟

ـــ فى مركز البوليس .

ـــ هل تقصد سجن المركز ؟

ـــ أى سجن ! لقد كنت أتناول لحم فى المطعم !

قال رجل القانون للجنرال :

ـــ اننى فى منتهى الأسف أن أقول لك انك ســـوف

تتهم باخفاء الجـانى ، وبأنك حاولت عرقلة مجـرى العدالة . ان زد فى دور الاحتضار ، وانت لم تعمل حتى على وضع الرجل الذى تسبب فى قتله فى الحجز ، بل ولم تضع القيود فى يديه .

وهنا تدخل ضابط البوليس فى الحديث قائلا :

ـ سيدى المدعى العـام .. ان غرفة الحجز فى المركز لا يمكن استخدامها .. فقد امتلأت عن آخرها ببضائع الباعة المتجولين الذين ليس لهم تراخيص عمل، كما أن الاضاءة فيها معطلة . فهل هناك ما هو أفضل من مبنى المركز نفسه ؟

ـ وأنت يا سيدى المدير .. هل كنت تجهل أنت أيضا أن الجانى قد اعتقله رجال البوليس ؟

فأجاب المدير : نظرا الى أن الجنرال قد أجاب نيابة عنى ، فقد رأيت أن من الأفضل أن ألوذ بالصمت . الا اننى أضيف أن الوقت لم يسعفنى لابلاغ الجنرال بالظروف التى صاحبت اعتقال الجانى ، لانى لم أكن واثقا من انه هو الجانى الحقيقى .

* * *

وكانت السـاعة قد بلغت الثالثة وعشرين دقيقة صباحا ، عندما حصل الرجلان على أقوال يانجوس كتابة . وسأله أحدهما بعد ذلك أن يفتح فمه ويقول آه ، ثم سجل فى محضره ما يلى :

« لم يتبين لنا عندما شممنا رائحة فمه ، انه فى حالة سكر واضح » ، مما يعنى انه لا يمكن الدفع بأنه لم يكن فى وعيه ، وقت وقوع الحادث .

ووقع الرجلان أمرا باعتقال الرجل الذى كان يرافق يانجوس على ظهر عربة النقل ذات العجلات الثلاث، ثم أبلغ هذا الأمـــر الى نقطـــة البوليس التابع لها فانجوس . وهذك ايقظوا مفتش البوليس ، لكى يذهب لاعتقاله فى بيته ، ولكنه لم يجده فيه .

وبعد ذلك ببضع ساعات ، مر فانجوس على مركز البوليس ، وقالت الصحف التى صدرت فى الصباح انه ذهب اليه تلقائيا ، لكى يســـلم نفسه .

* * *

كان هاتزيس على علم بأنه مضطر الى العودة . فقد كان هو شاهد العيان الوحيد ، والوحيد الذى فى استطاعته أن يعاون رجال الصحافة والقضاء ، فى البحث عن الجانى الحقيقى .

غير أنه لم يكن يحمل أية نقود .

ولقد توقف قطار البضاعة الذى يعمل على خط أثينا سالونيك فى محطة (بلاتى) ، وكانت الساعة الخامسة والنصف صباحا . وظل هاتزيس مختفيا وراء أحد الحواجز ينتظر تحركه ، فما كاد يهتز حتى تعلق بالعربة الأخيرة منه ، وظل معلقا فى الهواء طوال الرحلة .

وقد راح يتطلع الى السهل وهو يتراجع فى خفة ، الى طلائع الماشية وهى ماضية مبكرا الى الحقول ، والى الفلاحات اللاتى ارتدين ثيابهن السوداء .

كانت غلالة من الضباب تغطى السهل ، وتتبلور فى الحقول المترامية التى زرعت بالخضرة . ثم سرعان ما تبدل المنظر ، وأحس بأن القطار يقترب من المنطقة الصناعية ، وشاهد العمال قاصدين مصانعهم ، والأرض التى يضرب لونها الى الصفرة ، ثم المحطة الرئيسية .

وامتلأ حلقه بالتراب ، وأخذت يداه ترتجفان ، وهم بأن يترك حافة العربة التى تسلقها . أجل .. يجب أن يهبط هنا ،فان هذه المدينة هى المكان الذى يحتاجون فيه اليـــه .

وفى فناء المحطة تطلع من فوق كتف مســـافر يقرأ جريدته ، واذا بالنبأ الذى يبحث عنه يحتل عنـــوان الصفحة بأكملها .

ومع ذلك ، فانه لم يستطع أن يقنع نفسه ، بأن زد يمكن أن يطويه الموت .

* * *

القســـم الثانى

قطار يطلق صفيره فى الليل

قطار ، ذلك القطار ، لا مواقف له فى أى مكان ، وقاطرة فى قمة الريح ، وعربة مطفأة الأنوار ، تليها العربة التى تحمل الرقم ٤٣٨٣ ز حيث يقطع ، بغير حراك ، ذات الطريق الذى جاء منه بالطائرة قبل ذلك بأيام ثلاثة .

كان ذلك قبل مائة ساعة ، فى شهر مايو هذا ،هى ساعات احتضاره ، والساعات التى أعقبت سقوطه قتيلا ، والتى كانت فيها روحه تحتاج اليها ، لكى تهيىء نفسها للرحيل عنه . ذلك أن خروجها منه كان قد بلغها فجأة ، الى حد أنها وجدت فى البداية عسرا فى تصديقه .

وفى عربة أخرى من القطار ، كان والداه ، وامراته، وقد برزت عروق عنقها الزرقاء ، وشقيق له هو ذلك الشقيق الذى لم يذهب الى المدرسة قط .

وراحت الأم ، التى اكتسى وجهها بمثل لون الأرض، تفكر فى هذه الأرض التى لن تلبث أن تتلقى ولدها الحبيب .

ثم تجىء عربة أخيرة ، امتلأت بجنود فصيلة من رجال البوليس ، وقد وضع كل منهم بندقيته بين ساقيه ، وسيطرت عليهم رهبة الموت التى يحملها هذا

القطار ، وهم على أهبة الاستعداد للتدخل عند أقل حادث ، وقد راحوا يتطلعون الى المناظر البعيدة التى تكر الى الوراء مسرعة ، ولا تستطيع الدخول من باب العربة المصنوعة من صفائح الرصاص .

أما هو ، فقد رقد فى نعشه ، هابطا من الشمال نحو الجنوب ، وقد توقفت حركته الى الأبد ، ومعه روحه التى راحت تتابعه من فوق القطار ، كما تفعل طائرة الهليوكوبتر التى تبطىء من سرعتها ، لكى تجعلها فى سرعة هذه القاطرة ، التى أخذت تنثر رمادها فوق الحقول ، وترتعد الخضروات لدى مرور ظلها ، وهو ظل يرطب للخطة خاطفة تلك التربة الجافة . أما الأرض المتعطشة الى الأمطار منذ أجيال طويلة ،فانها تتكهرب لمجرد لمسة من هذا الظل ، كما لو كان يدا تنزلق على يد أخرى ، بغير أن يتشابكا معا أو يندمجا معا ، والا لكان ذلك علامة الدم والثورة .

كلا .. انه مجرد حفيف أجنحة ، وتلامس لا يكاد يرى ، ينشط بصورة غير محسوسة الدماء التى نامت فى الشرايين . وأما الأرض ، وهى حقول تيساليا وسهول مقدونيا ، فانها تعرف أنها ستتلقى قريبا جسده ، جسد ذلك الرجل الشجاع الواحد والأربعين الذى ورد ذكره فى الأغنية .

ومع ذلك ، فان الروح تفكر فى أن الدماء ، دماء الأرض ومياهها ، تسير فى منحدراتها الطبيعية ، وأنها متى تجمعت أخذت فى تقويض الأسس ، فتهىء بذلك للثورة الكبرى .

من أجل ذلك كان الأمر الذى تلقاه سائق القطار حاسما قاطعا :

ـــ لا توقف على الاطلاق فى أى مكان .

وفى مقر رئاسة الوزراء فى أثينا ، كانت هيئة قيادة عامة كاملة قد استعدت للحرب ، وراحت تتابع القطار عن طريق الراديو، وتتلقى الرسائل من قوات البوليس المختلفة ، وتنظم تبعا لذلك سير القطار ، وتدخل فى اتصال مستمر مع سائقه .

ولقد ألغيت جميع مواعيد قيام القطارات الأخرى، فما من قطار يجىء من الناحية المضادة ، وما من قطار يأتى وراءه . أنها ألغيت جميعا ، لكى تترك الطريق مفتوحا لهذا القطار ، وحتى لا يلمس أى ميناء ، حتى لا يهب البحارة فيه ثائرون .

ولم يكن أصحاب السلطان ، الذين شحبت وجوههم خوفا ، يعرفون كيف يدارون عارهم ، فلقد هتف طفل كما يحدث فى القصص قائلا :

ـــ لقد أصبح الملك عاريا !

أما هم ، فقد ظلوا فاغرة أفواههم ، وهم الذين أقنعوه بفرط ريائهم ، بأنه أكثر الرجال جمالا ، وأن ثيابه أرقى الثياب ، وأن قوته كامنة فى حب شعبه .

ولكن ما أن ارتفع ذلك الهتاف ، اذا بهم لا يجدون مخرجا أفضل من نقله الى مكان آخر ، لكى يسـود الهدوء النهائى ، ويقضوا على الشاهد على أكاذيبهم، الذى لم يكتف بأن هتف :

ـ لقد أصبح الملك عاريا !

ولكنه تجاسر على تجريد الملكة من ثيابها فى لندن، اذ كلف بعضهم بأن يجذب ثوبها من فوق كتفها .

وهكذا راح القطار ينطلق فى عالم توقف فجأة للصاعقة التى أصابتها ، وفى عالم لم يكن ينتظر سوى اشارة واحدة لكى يثور . غير أن كل شىء قد انتهى بالعودة الى النظام ، فلم تكن هناك حوادث حتى خلال الجنازة ، اذ أن شعارات قد انطلقت تحض على الهدوء ، حتى يمكن أول كل شىء تجنب المزيد من سفك الدماء .

ذلك أن الوقت لم يكن قد تهيأ بعد ، والسياسة ماضية فى الاعيبها الحذرة ، لكى تنتصر هى فى نهاية الأمر ، حتى اذا هى تركت تلك الفرصة الكبرى التى خلقتها هذه الجريمة تمر ، على حين راح الأعداء يحاولون فى الساعة التى كان لا يزال يحتضر فيها ، اخفاء عارهم .

وكانوا فى هذه المحاولة يكتبون قائلين :

الحقائق حول الحوادث الدامية التى أثارها الشيوعيون فى سالونيك .. النائب زد يتعرض قضاء وقدرا لحادث سيارة .. بينما كان على رأس مظاهرة شيوعية غير مشروعة .. اقترح البوليس اجلاء المتظاهرين فى سيارات للركاب .. ولكنهم رفضوا هذا العرض .. رغبة منهم فى تنظيم مسيرة الى مقر اليسار الديمقراطى الموحد .. ضابط بوليس يصاب اصابة خطيرة .. بينما كان يحاول حماية النائب من غضبة

الجماهير .. التسهيلات التى قدمتها الحكومة تصل الى حد أنها وضعت طائرة خاصة تحت تصرف أكبر جراح .. لكى يجىء لعلاج زد الذى أصيب فى الحادث » .

* * *

وأطلق القطار صفيره قبل أن يندفع الى النفق ،الذى عاد وخرج منه متدثرا بفلالة من الظلمة ، على حين أخذت الروح المحلقة كالطائرة ترتعد خلال الثوانى التى غاب فيها الجسد عنها . واهتز أحد جناحيها الكبيرين الملونين كما يهتز الصمام اللذى يطلق له العنان ، أو كالفراشة التى خرجت من شرنقتها ، لتعرض على البشر خيوطها الحريرية القوية التى قدر لها أن تشد أحلامهم ، ولكى تلقى المراسى التى ربطت فى هذه الخيوط الحريرية بأحلامهم الضاربة فى أعماقهم .

غير أنها عادت وهدأت لدى ظهور أنف القاطرة خارجة من النفق ، ومن خلفها العربة المطفأة الأنوار، وفى أثرها عربته المصفحة بالرصاص ، ووراءهما الزجاج المرتعش لعربة الجنود ، وهم على أهبة الاستعداد لتفجير كل شىء لدى أول بادرة . ثم هو الذى لا يرى شيئا ، ولكنه يستشعر مع ذلك بكل ما يجرى وهو داخل نعشه ، يستشعر هذه الأرض أرضه وأرض وطنه ، الأرض الأم ، وقد ارتسم وجهها بحكمة القرون ، ويستشعر مشهدا أبديا ، هو مشهد بلغ من الجمال ما يجعل البشر يتعذبون دائما بسبب هذا الجمال ، أو يسفكون الدم لحمايته من هجمات

المتوحشين ، ومن عصابات الفاشية الجديدة ، بغير ما هدف الا سلامة هذه الأرض .

كان يرى الجبال والأشجار ، وهى صلوات صغيرة، تستند الى حافة البحر ، كما كانت تقف النســـاء فى الماضى يغزلن أمام بيوتهن . وكان يرى طائرا بحريا وقد استولى عليه الذعر ، من جراء احتكاك القطار بالبحر ، لدى خروجه من النفق .

كان يرى القرى الواقعة فى الأسر الدائم فى موقعها بين البحر والجبال ، وقد نسيها الجميع ، وأصبحت خاوية بعد أن هجرها أهلوها . ثم رأى جبل الأوليمب وقد عممته الثلوج فى المجد الذى حققه فى مايو ، وفى مواجهته جبل كيسافوس ، وكلا الجبلين خصم للآخر تماما مثل حركتى المقاومة ، اللتين قامتا فى البلاد أيام الاحتلال .

وعندما اقتربت قلعة فينتيا التى أصـــبحت مهجورة منذ قرون ، وباتت ملجأ للطيور الكاسرة ، وتشرف من عليائها على البحر ، حيث القراصنة اليوم هى كاسحات الألغام التابعة للاسطول الأمريكى السادس . وأحست الروح فى هذا المكان برغبة فى أن تستريح قليلا ، فلجأت الى فتحة فى السور ، وأبعدت غطاية خضراء .

ورأت الروح صفحة الماء وقد أخذت الريح تضربها، على أمل منها فى أن تعثر على شراع ، معبد بحـــرى عائم أمام جبل الأوليمب . وتركت نفسها تتوارى خلف صف الأشجار التى تصد الرياح ، اذ قيل أن الروح تتيه فى الفضاء طالما لم يصل الجســـد بعد الى مقر

الظلمات ، خلية البال . ولكن عندما يعود الجسد الى مثواه الأخير ، فانها تعود بدورها الى الهواء ، وتنقسم الى ذرات ، تتحول بعد ذلك الى الاوكسيجين الذى يتنسمه الأحياء .

وكانت الروح تعرف أنها خلال هذه الرحلة الأخيرة، ترى لآخر مرة هذه القلعة ، التى طالما أحبتها ، وهى تتوج قمة الجبل ، وتدور من خلف زجاج السيارة كما لو كانت مقامة فوق مسرح دوار ، فى حين أن الطريق هو الذى ينحنى ويدور بغير توقف من حولها .

ولهذا السبب ظلت لحظة تستعيد هذه الذكريات، ولكن صفير القطار أعادها الى الواقع ، وأخذت عجلاته تدور ، فأقلعت الروح بدورها محلقة فى الفضاء ، بغير أن تترك وراءها أدنى أثر يدل على مرورها بالقلعة ، ودون أن تحفر اسمها فوق الصخر . لقد تركت مكانها الذى لم يشعر من كل ذلك ، وقد شبع موتا ، وقد تشوه أيما تشويه .

فترى من ذا الذى يستطيع القول ، بأن قطران الأرض سوف يصبح التاج الذى يضعه على رأسه؟

ولكن ذلك لا يكون ، طالما أنهم كتبوا فى تقاريرهم عن موته يقولون :

« ان الكسور التى أصيبت بها جمجمة المدعو زد ، لا يمكن أن يكون السبب فى حدوثها سقوطه على بلاط الشارع ، والصدمة التى تكون قد أعقبت ذلك . ان هذه الكسور لا يمكن أن تكون قد حدثت الا نتيجة ضربة تلقاها القتيل ، بينما كان واقفا ورأسه عارية ، لأنه

فى هذه الحالة فقط يمكن العثور على شجحات متماثلة فى المخ ، وفى المنطقة المحيطة به . والواقع ان مثل هذه الشجحات قد عثر عليها خلال التشريح ، مع نزيف فى العمود الفقرى فى النصف الأيسر ، فى حين ان الكسور التى نتجت عن الصدمة التى تلقاها كانت فى العظام المحيطة بالفك الأيمن ، وما كان ذلك ليحدث لو كان قد سقط على أرض صلبة مثل بلاط الشارع ».

* * *

وراح القطار يركض ويطلق صفيره فى عالم متعفن، وكان نظار المحطات التى يمر عليها وحدهم ، هم الذين وقعوا فى ذلك اليوم فريسة للرعب .

وفكر ناظر محطة بابابولى الصغيرة :

ــ ان هذه هى المرة الأولى فى حياتى الطويلة التى قضيتها فى السكك الحديدية .. التى أرى فيها ذلك.

كانت تتوالى عليهم النـــداءات التليفونية ، فيردون عليها بتقارير متتالية يقولون فيها ان قطار الموت قد مر فى سلام . لكن ناظر محطة بابابولى وحده من دونهم جميعا ، هو الذى تناول بالأمس دجاجة قتلها قطار الاكسبريس ، ولم يستطع أن يحرك ذراع التحويلة فى الوقت المناسب ، مما جعل القطار يسلك طريقا آخر، وكاد يصطدم بصف من عربات البضائع .

ومن حسن الحظ ان سائق قطار الموت شاهد هذه العربات ، فضـــغط على الفرامل وأوقفه . وانزلق القطار مع ذلك حوالى مائتى متر قبل أن يتوقف تماما،

فتراقص النعش الذى كان مثبتا جيدا ، داخل الأحزمة التى تحيط به ، والصـــق أقاربه وجـــوههم بزجاج النوافذ ، ليروا ما هناك . وقد سقطت احدى الحقائب من فوق الشباك التى تحملها ، وأخذ الجنود يصطدمون ببعضهم ، ثم ينضغط كل منهم بالآخر بقوة ، الى حد أنهم راحوا يتساءلون عما اذا كانوا سوف ينفصلون عن بعضهم أم يظلو نهكذا .

وخيل للضابط المسئول فى بداية الأمر أنهم يتعرضون لعملية تخريبية ، الغرض منها اختطاف الجثة ، وعند ذلك بادر باصدار أوامره لرجاله بأن يكونوا عى أهبة الاستعداد بمجرد وقوف القطار ، وأخرج الذين ظلوا غير ملتصقين منهم ببعضهم البعض من العربة ، فراحوا يفتشون جانبى القطار والقضبان الحديدية .

ثم عندما رأوا أن القطار أخذ يتراجع الى الوراء ، والسائق يعطيهم اشارة معناها ان لا شىء خطير قد وقع ، أدركوا أنه ليســـت هناك أية قوة معـــادية تتهدهم .

ولما رأت الروح من عليائها هذا التحول ، وجدت فى ذلك فرصة للتعلق بجذع شجرة فى السهل ، كان يجلس تحتها راع فى مقتبل العمر يعزف فى قيثارة ، لكى يدخل السرور على قطيعه الصغير .

وفى أثناء ذلك ، اســـتطاع ناظر المحطة أن يعيد القطار الى الخط الصحيح ، ثم زفر زفير ارتياح ، وأدار التليفون وفقا للتعليمات ، كى يضيف خيطا جديدا الى الخيوط التى ترى فوق نهر بينيوس العذب ، ذلك

النهر الأخضر المنطلق فى لامبالاة الى باقى أرجاء السهل، الذى شهد بدوره ذات يوم حياة العبودية التى مرت به منذ أن تحرر .

وقالت الروح لنفسها أن النهر وحده ، يحلم بالذين ظلوا مقيمين فى هذا الوادى،وأنه وحده يحمل أحلامهم حتى البحر ، لكى يعيد اليهم حريتهم ، فالنهر وحده هو روح بلاد شاهقة الارتفاع ، يحدها البحر والأشجار التى تعمر منذ مئات الأعوام ، وقبل أن يرتمى فى البحر يعبر الأحزان وارتعاش الطفولة ، تماما مثلها ، قبل أن تذوب فى سحابة ، اذ تستطيع من هناك أن ترى جسدها الراحل ، وتشهد منظر العالم الذى سيضيع منها عما قريب .

وهبطت الروح من ذلك المكان ، وعبرت الوادى، والطريق الرئيسى ومصنع تكرير السكر ، بصف السيارات التى تقف أمامه محملة تنتظر الدخول ، ووصلت الى محطة لاريسا التى كان القطار يعبرها مثل السهم . ولم يفهم بائع اللبن الصغير السبب الذى جعل عددا من المزارعين يلوحون بمناديلهم الحمراء لدى مرور القطار ، ثم فكر فى أنه ربما كان أحد السادة الوزراء ، أو أحد كبار ملاك الأرض فى هذه المنطقة الذين يصبحون عادة وزراء لكى يدافعوا بصورة أفضل عن مصالحهم ، الأمر الذى جعله يتوقع توقف القطار.

غير انه يمضى كالصاروخ ، ولا يترك خلفه سوى غلالة من الدخان ، ثم ربطة من الصحف سقطت من احدى نوافذه ، وجاءت لتنفجر تحت قدميه كما تنفجر القنبلة ، وكانت تحتوى صحف الصباح .

ولقد كتبت هذه الصحف تقول :

« ان دراسة الأحداث التى وقعت فى سالونيك من جميع الزوايا ، انما يثبت بما لايدع مجالا للشك ان هذه الأحداث قد كانت نتيجة استفزازات غير مقبولة، قامت بها عناصر شيوعية . وفضلا عن ذلك ، فانه لو أن سكان سالونيك لم يأخذوا الأمر على أنه استفزاز، فما الذى جعل الشيوعيين يتعرضون للهجوم ؟

ولو لم تكن مكبرات الصوت قد أخذت تذيع الشعارات الملتهبة ، فهل كان السكان المسالمون فى المدينة ، الذين تصادف وجودهم فى الحى ، يرون أنه يتعين عليهم أن يردوا عليهم ؟ ألم يكن ردهم هذا نتيجة للتحرشات المتكررة من جانب الخطباء الحمر ؟ ولو أن الشيوعيين لم يعمدوا عقب هذه التحرشات الى تنظيم مواكب تطالب بالانتقام ، وعلى رأسهم النائب الشيوعى الذى سقط بعد ذلك قتيلا فى حادث مرور ، فهل كانت كل هذه الأمور ستحدث ؟

ولكن ما أن قرر منظمو المظاهرة الشيوعية تشكيل هذه المواكب ، بالرغم من الأمر الصادر بحظرها ،حتى أصبح لا معدى من وقوع تلك الأحداث . لقد كان يانجوس خارجا من شارع سباندوينس ، حتى لو كان ذلك ليس مصادفة كما يؤكد الشيوعيون ومن كانوا فى المكان ، فاصطدم تلقائيا بالموكب .

وهنا فان سؤالا يطرح نفسه .. كيف كان ليانجوس أن يعرف أن الشيوعيين سوف يشكلون موكبا ، وكيف كان يمكنه أن يصل فى نفس الوقت بسيارته ، بحيث كان مستحيلا عليه تجنب وقوع الحادث ؟ وكيف لم

يساوره الخوف من أن ينقض عليه الشـــيوعيون ، ويمزقوه اربا ؟

وحتى اذا أقررنا أنه قد دبر الحادث ، ويقال فى هذا الشأن ان الشيوعيين قد ذبحوا اياه ، فكيف تسنى أنه عندما قرر أن ينقض بسيارته على الموكب ، استطاع ان يتعرف على النائب اليســـارى الذى كان من بين الجمهور المتظاهر ، ويتجه اليه دون غيره ؟

ان الشيوعية المحبة للدماء ، والتى تعيث فسادا فى هذه البلاد ، والتى تسببت فى سيل الدماء أنهارا فى الماضى القريب ، تحاول الآن استغلال هذه الأحداث، بهدف الاساءة الى الوطن والى سمعته فى الخارج ، وأن تخلق الاضطرابات فى الداخل .

ونحن نرى أن الدولة يتعين عليها أن تكون حازمة فى هذه الظروف ، وأن تبدأ بحل منظمة برتراند راسل التخريبية على الفور ، وكذلك منظمة السلام ، التى تعمل اليوم كرأس حربة للشيوعية الثورية .

كانت هذه هى أقوال الصحف فى صباح ذلك اليوم.

* * *

ان الجسد الذى وضع فى عربة القطار لا يرى شيئا، انه جسد بغير ذاكرة ، فقد غادرته الذاكرة فى الساعة العاشرة الا دقيقتين من مساء الأربعاء .

لقد كان زد ، من الناحية الطبية ، ميتا .

وابتداء من هذه اللحظة ، فانه ما من عضـــو أو حاسة فيه ، كانت تقوم بوظائفها . ان الجسد ، جسد البطل الرائع ، كان يعيش وهو هائد بلا حياة ، تماما كتلك العجلات فى السيارة التى تنقلب على ظهرها ، فلا يصيح هناك أى شىء يعوقها ، فتدور وحـــدها فى الفضـــاء .

ان ذلك هو ما حدث لجسده ، الذى كانت تصدر منه حشرجة عميقة تؤلم الأطباء . لقـد كانوا كثيرين هؤلاء الأطباء ، وقد جاء بعضهم من خارج البلاد ، من المجر والمانيا وبلجيكا .

غير انهم جميعا كانوا عاجزين عن عمل أى شىء، وقد استولت الدهشـــة عليهم ، وهم يرون الجهاز لا يزال حيا ، بينما جميع مراكزه قد انطفأت . لقد كان جهازه يرفض القبول بموته .

وها هو الآن يسير نحو القبر. ولم يكن ماهال الروح انها اضطرت أن تغادر جسده ، وأن تشهد تشريحه. حقا أن مما لا يدخل السرور على النفس القاء رداء لم يعد صالحا للاستخدام ، أو أن يراه المرء يمزق اربا أمام عينى رأسه .

ومع ذلك فانها قد تحملت ذلك . ولكن ما صدمها، انه كان هناك طبيب شرعى ، راح منذ البداية ، بل وحتى قبل التشريح ، وكذلك بعده ، عندما أصبحت النتائج معروفة ، يدافع عن نظرية سقوط القتيل على أرض الشارع ، مستبعدا بذلك أن هناك ضربة أصابت رأس زد ، الذى كان واقفا على قدميه .

وقد كتب يقول فى تقريره :

ـــ ان السبب الوحيد للكسر الذى أصاب الجمجمة، هو الصدمة العنيفة التى نتجت عندما اصطدمت الرأس بقوة بسطح الشارع الصلب .

فيالها من مهنة بشعة ، مهنة الطبيب الشرعى .

الا ان السياســـة ليس لها مكان فى الموت . ان رباطة الجأش التى تفرضها المهنة شىء ، ولكن الروح رأت أن اللجوء الى وضاعة السياســـة حول احدى الجثث شىء آخر .

فلندع السياسة الوضيعة الى الأحياء ، ولنحتفظ بالسياسة العليا من أجل الأموات . أما ذلك الطبيب الشرعى الذى انتقل من أثينا بغير أن يستدعيه أحد، فانه ما أن عاد الى العاصمة حتى بعث بتقرير الى رفيق له فى مدينة سالونيك ، طالبا منه أن يوقع معه على التقرير . ولكن هذا الأخير لم يكن من هذا الرأى ، يؤيده فى ذلك اثنان من الأطباء .

لقد كان مقتنعا بأن الكسر قد نتج عن ضربة فوق الرأس ، ومن ثم فانه رفض التوقيع ، فاضطر طبيب أثينا أن يعيد تحرير تقريره ، حيث ادخل عليه تعديلا جاء فيه :

ـــ ان هناك احتمالا فى أن ضربة عشوائية بشىء غير معروف قد أصـــابت الرأس .. ولكننى شخصيا لا أشارك فى هذا الرأى .

وكان ذلك سببا آخر فى الصدمة التى شعرت بها الروح .

* * *

راح القطار يركض كما لو كان قد ركبه الشيطان .

ولقد اجتاز سهولا وصعد جبالا ، وكان فى ذلك كمن يجذب ستارا فيسدله فى سرعة البرق على هذه القضية الكبرى . بيد أن هذا الستار كان يعود فينفتح من الخلف ، كلما اغلق من الأمام . ذلك أنه ما كان لأى قضية أن تنتهى ، لمجرد أن قطارا قد جن جنونه ، فراح يمر على المحطات بغير أن يتوقف عليها .

ان القضية ظلت مفتوحة تماما ، مثلها مثل أبواب البيوت فى صميم الصيف . ان القطار ينهب الأرض ويصفر ، لأن الخوف قد استولى عليه من جراء الجريمة التى فى داخله .

ولقد كان أهل القتيل يخشون حدوث ما هو أسوأ مما حدث ، فراحت زوجته تتطلع من النافذة بغير أن ترى شيئا . ان روحها كانت فى العربة المجاورة حيث كان زوجها وحيدا ، ملفوفا فى أكفانه ، ولا ماء عنده ولا ضوء ، بغير أى طعام ، بينما حراسه يأكلون حتى التخمة .

ونهضت من مكانها .

كان زوجها الميت فى ناحية ، وفى الناحية الأخرى يرقد أولئك الذين قتلوه . لم تستطع أن تتحرك ، أو

أن تقصد الى أى ناحية . لقد أصبح القطار سجنا يسير على عجلات ، فلم تعد تحتمل . أنها تشعر بأنها تكاد تختنق .

ترى هل هذه علامة الخطر ؟

انها لا تستطيع أن تظل فى مخيلتها تلك الرؤية الأخيرة ، عندما كان هو تحت خيمة الاوكسيجين ، يتنفس فى صعوبة ، والفقاقيع التى تخرج من صدره تضعف بالتدريج ، ومن حوله الأطباء الذين لم يكونوا يتوقعون حدوث أية معجزة .

وتركت الجبال أماكنها لجبال أخرى ، وجاءت حقول بدل الحقول ، وظلت هى لا ترى شيئا .

وفيما بعد ذلك بقليل ، وفى بقعة كان الهواء فيها له كثافة أخرى ، توقف القطار ، لكى يترك الطريق مفتوحا أمام قطار محلى ، لم يجدرا بغير شك الوقت لالغاء مسيره .

وفى هذا المكان المرتفع فوق الجبال ، قفز الحراس من العربة ، وضربوا نطاقا حول القطار . ومن فوق هذه الجبال العالية ، حطت الروح فى مكان ، ثم راحت تنتظر أن يأتى لصوص ويستولوا على الجسد ، ثم يتصدى لهم رجال المقاومة قادمين من مخابئهم القديمة ، ويدخلون فى قتال مع الحراس ، ويستعيدون بعد ذلك الجسد .

ويصعد رجال المقاومة به الى قمة الجبل ، ويقيمون احتفالا عظيما ، ثم يدفنونه فى أعلى بقعة ، وسط رقصاتهم وطلقات بنادقهم فى الهواء ، تماما كما كانت

تطلق المدافع فى جنازات الملوك . ويستقر الجسد فى مثواه بين الأبطال اليونانيين ، بين مظاهر التكريم التى ترفضها التقاليد المرعية القديمة ، التى كان يعمل بها رجال المقاومة قبل أن يهبطوا من الجبال الى المدينة.

وانطلق صفير جعل الحراس يخرجون من الأماكن التى تواروا فيها وراحوا يتبولون ، ، وصعدوا من جديد الى عربة القطار . ومر القطار المحلى ، فاستطاع قطار الموت أن يتحرك .

ولم يشعر الجسد بوقوفه أو بقيامه ، ولا برائحة النبات الجبلى التى تعبق الجو . أنه أشبه ما يكون بالوقادين الذين يمضون حياتهم أمام النيران فى بـــاطن السفن ، فلا يرون أى ميناء تقف عليها ، ولا يتنفسون هواء البحر قط ، عندما تصاب الآلات بعطب .

وفى احدى المحطات الصغيرة الواقعة فى مستوى السهل ، تم تغيير القاطرة التى تعمل بالديزل بأخرى تعمل بالبخار ، فتغطت أرواح الليل بالدخان ، وأخذت الوانها الزاهية تكتسى بلون أســـود ، فتثقل أجنحتها التى تطير بها . وأحست الروح فجأة أنها فى حاجة الى شىء تحتمى فيه ، ولكم ودت أن تعود فتدخل فى الجسد، حيث لا يمكن لأحد أن ينال منها .

وهبط الليل ، ولا زالت الروح خائفة من الظلام. ذلك أن تلك الليالى الثلاث التى قضتها فى العراء ، قد أتعبتها وارهقتها . لكن الجسد لم يكن يسمع نداءها، فأدخل ذلك اليأس على قلبها . ان محركات القلب لم

تعد تعمل ، واذا بالجسد كالآلة التالفة التى توقفت عن العمل ، فلم تعد لها فائدة ، ويتعين طرحها جانبا

* * *

وراح القطار يجتاز سهلا ، استعاد القمح فيه قوته مع مغيب الشمس . فقد رفعت السنابل رءوسها مع اضمحلال الأضواء ، كما لو كانت تتأهب للرقص حتى الصباح .

وجاءت امراة عجوز وأنزلت الحاجز الحديدى الذى يغلق طريق المرور ، ثم أخذت القرى القليلة المتناثرة تبرق أضواءها القليلة عند أقدام الجبال . لقد جاء الليل مرة أخرى ، وبدأت المحطات ترى كما لو كانت خيالات تمر على الحائط .

ولم يتوقف القطار فى أى مكان .

لقد راح يجرى ويصفر كما لو كان شيطانا . انه قطار يرسل صفيره فى صميم الليل ، قطار .. القطار .. والعربة رقم ز ٣٤٨٣ .. والسائق الذى يدعى جوزيف قسطنطينويولوس .. ومساعده سافاس بوليكرينيدس . قطار .. القطار .. والجسد الصامت، الباب الذى أوصد على الظلام ، والجسد مثل الشجرة التى أصابتها الصاعقة ، والجسد الذى حرم من اللمسات الحانية التى تعيد اليه القوة ، يرقد فى نعش من خشب الجوز . انه نعش جيد ، ولكن لكم يلقى من الوحشة فى داخله بغير روح!

* * *

وأخذ القطار يمزق سدول الظلام ، وتطلعت السيدة الى كلبها الصغير ، الذى كان يحاول أن يوارى فضلاته بغير أن يتمكن من ذلك ، لأن الأرضية لم تكن من التراب .

غير انه كان لابد مهما حدث تغطية فضلات كلبها البكينى ، لأنها تفسد جمال الأرض ، فضغطت على أحد الأزرار فوق مكتبها ، لكى تدعو الخادمة ، ثم أمرتها بأن تجمعها .

وبعد ذلك أخذت الكلب الصغير بين ذراعيها ، ومضت فى استكمال مقالها :

« لقد كانت وفاة زد صدمة كبيرة للوطنيين فى هذه البلاد ، اذ أن احترامهم لكل حياة انسانية من المبادىء الجوهرية التى تعمر قلوبهم . الا أن هؤلاء الوطنيين هم الذين يوجه اليهم الاتهام اليوم بجهالة ، بأنهم هم السبب فى موت زد .

والحقيقة هى أن اليسار المتطرف وجميع القوى المجهولة التى تعمل من ورائه ، انما تبغى باتهامها للوطنيين ، أن تخرب أسس حياتنا الوطنية والمسيحية، وهذه الأسس هى الكنيسة والقوات المسلحة وقوات الأمن والعدالة ...

ولسوف يقع باباندريو ومن معه فى خطأ جسيم ، اذا هم ضاربوا على تلك الاتهامات التى يوجهها اليسار ... »

وتملكت الكلب الصغير رغبة فى تغيير مكانه بين ذراعيها ، فرفعت السيدة عينيها عن مقالها ، وعملت على ترضيته . ودخلت الخادمة ومعها مجرفة من البلاستيك ، وانحنت وراحت تجمع الفضلات ، ثم رشت فى المكان نوعا من البخار المزيل للرائحة الكريهة .

ونهضت السيدة من مقعدها وهى تحتوى الكلب فى أحضانها ، وذهبت لكى تضع له الكمامة . ولكن الكلب تململ محتجا ، وهم بأن يعض يد السيدة . لا أنها كانت تعرف طبائع الكلاب جيدا ، فتركته فى الوقت المناسب .

وعادت فجلست مكانها امام المكتب ، ومضت فى الكتابة ، فى نفس اللحظة التى كان فيها القطار يمر أمام المقر الملكى فى تاتوى :

« ... ولو أننا فى صراحة مدقف اليسار المتطرف خلال هذه المناسبة ، لكان من اليسير علينا أن نخرج بانطباع مؤداة أنه لم يشعر على الاطلاق بأى صدمة من جراء الحادث ، بل انه يكاد يسعد لوقوعه ، لولا أن الاحترام اللازم للموتى يحول بينه وبين ذلك . ذلك أنه قد عثر أخيرا على « الرجل » الذى يريده ، وعلى « الضحية » التى كان يسعى اليها ، وعلى البطل الذى ينسبه الى نفسه .

ولقد كان الرجل فعلا كما يريد اليسار .. فهو عالم مرموق ، وبطل معروف ، وزوج طيب ، ورب أسرة ، وغير مسجل فى الحزب الشيوعى ، وشاب سياسى

متحمس بلغ مكان الشهرة لاعن طريق ولائه للسوفييت، وانما نتيجة لحملته لصالح السلام .

ان استغلال اليسار لجثته ، وشعور السذاجة الذى انطلق بين الشعب ، والأناشيد الجنائزية والبكاء ، والعرائض التى يرفعها العمال ، كل ذلك يشكل الاطار العام للمكاسب التى يسعى الى الخروج بها من وقوع هذه المأساة ...

* * *

وتنهدت الروح وهى تحلق فوق قصر تاتوى ، والغابات التى تحيط بهذا المقر الملكى الذى أحكم اغلاقه، حتى لا تستطيع الفرار منه .

لقد رأت القصر من حيث يمرق القطار وهو يتلوى كالثعبان ، ورأت أشجار الصنوبر بينما تتساقط منها قطرات الماء كالدموع ، فسكبت بدورها دموعا على هذه الغابات التى لا يرتادها أحد .

وجاء عدد من العاملين فى مطار تاتوى يذكرونها فى الم بعملية الطيران الكبرى التى هى فى سبيل القيام بها ، غير أن أثينا بدت من بعيد ، كحقل من الأضواء المرتعدة ، أو الشموع التى تشعل لاستقبال الجسد، من وراء ستار الدخان المتصاعد فى الفضاء ، خارجا من مصانع التكرير .

ان هذه هى أثينا الرقيقة ، حيث ترسو السفن فى وداعة بالقرب من المصانع التى تعطى للعاملين فيها الجوع ، وبدت فى الجو طبقات من الهواء الملوث بعد

أن قطع القطـــار ســـاعات طويلة فى الريف النقى . وأخذت الروح ترتعش ، لأن الأمر قد انتهى ، وهاهى تصل الى غايتها .

وودت فى هذه اللحظة لو تصبح كالجسد ، لا تدرك شيئا مما يدور حولها ، ولا تشعر بشىء .

ومع ذلك فلم يكن هناك من ســـبب يدعوها الى الشكوى ، وقد تبادر ذلك الى ذهنها وهى تشهد على البعد هيكل الاكروبول المضىء . فلديها على الأقل بعض ما تعطيه ، وهى شىء ما سوف يظل باقيا حتى بعد أن تتحلل فى الهواء ، وتصبح رمزا من الرموز .

ومرقت فوق الشـــوارع العتيقة ، وهى زاخرة بمن فيها ، والأحياء التى تقوم فيها كل شجرة كما لو كانت حارســـا ، والبيوت الفقيرة الصـــغيرة القائمـــة فى الضـــواحى ، حيث تعيش أسر بأكملها فى هيـــاكل السيارات المحطمة ، بغير ماء أو ضوء ، فى ذات الوقت الذى كان فيه العالم كله ينعم بالكهرباء .

* * *

ـــ ان من الحماقة أن يطلب أهل زد وأصـــدقاؤه عرض جثمانه فى كنيسة القديس اليوتير .. لكى يكرمه الشـــعب .

ـــ تاكو .. هل اتصلت تليفونيا بالأسقف ؟

ـــ أجـــل .

ـــ وماذا قال ؟ هل هو على استعداد لقبول طلبهم؟

ـــ انه لا يزال مترددا .. ولست احب كل ذلك . ولقد اتصل به القصر ايضا عن طريق التليفون ، وهو يحاورهم ايضا .

ـــ حاول أن تتصل به مرة أخرى ، فان عليه أن يرد علينا ردا قاطعا . وقل له ان هناك خوفا من وقوع اضطرابات ، وسفك الدماء ، وانهم سوف يشعلون النار فى الكنيسة ، وان ... قل له كل ما يتبادر الى ذهنك ، ولكن عليك أن تقنعه . اننى سوف أفعل ذلك بنفسى ، ولكنى أخشى الا أسيطر على نفسى ، فأقول له أشياء لم يسبق أن سمعها فى حياته كلها .

* * *

ان هذه الأيدى لن تلمس بعد اليوم ، والى الأبد ، أى جسد انسانى . انها ستعود الى سيرتها الأولى، حفنة من الماء . انها سوف تصبح هى التراب الذى يغذى الزهور .

ان هذه الأيدى التى كانت تمسك المبضع الذى كان يشفى الآلام التى يشـــعر بها البشر ، بغير أن تطلب مقابلا لذلك .. وهذا الوجه لن ينغمر الى الأبد فى مياه البحر .. وهذه الشفاه لن تقبل أحدا بعد الآن . انه جسد جامد لا حركة فيه ، ورسالة تعاد الى مرسلها وعليها عبارة تقول .. لقد رحل بغير أن يترك وراءه عنوانا .. ليعود الى أمه الأرض . انه جسد تجمدت دماؤه فى عروقه التى لم يعد يسير فيها الدم . انه صورة

توقفت على الستار ، فى نفس الساعة التى كانت فيها حركة الشوارع فى قمتها .. ففى هذه اللحظة بالذات، انتهى كل شىء .

* * *

وخرج أحد السكرتيرين من غرفة مجاورة ، وجاء ليتحدث فى اذن الأسقف ، الذى هز رأسه موافقا وقال:

ــ اننى ذاهب .

ثم توجه بالحديث الى اهل زد وأصدقائه قائلا :

ــ انهم يعاودون الاتصال بالتليفون .

وقصد الى الغرفة المجاورة ، ثم عاد بعد بضع لحظات ، وجلس وهو يتنهد ، ثم همس :

ــ انهم لازالوا يتحدثون فى هذه المسألة . وقد ابلغونى رغبتهم ، ورغبة شخصية كبيرة ، ما كنت أود معارضتها . واننى الآن لاتساءل .. ان ما يجعل كل هؤلاء المسئولين الكبار يشعرون بالقلق الى هذا الحد .. لابد أن يكون شيئا خطيرا . ان حوادث يمكن أن تقع ، بل انهم يتحدثون عن احتمال وقوع اضطرابات دامية قد تودى بحياة المئات .. وذلك بالنسبة لى مسئولية هائلة . اننى ياأبنائى فى موقف بالغ الحرج.

وتقدم أحد أبناء عمومة زد وقال :

ــ لن تقع أية حوادث يا صاحب النيافة .. ويمكنك أن تطمئن .والى جانب ذلك ، فانك اذا رفضت اعطاءنا الكنيسة ، فسوف يكون لذلك أثر مؤسف بين الشعب،

كما انك ستكون عرضة للنقد فى الخارج . ان المسألة تتعلق برجل مات وهو يحمل رسالة المسيح على شفتيه ، وهى رسالة سلام وحب .

* * *

ان مايو شهر قاس . فالأرض خلاله تعود وتمتص الفاكهة التى أخرجتها . لقد انتهت فترتا الأزهار الأولى والثانية ، وأخذ كل شيء يعود فى تثاقل الى بدايته ، وينفرط عقده ، كما تفعل السنابل .

لقد انتهى كل شيء ، وحتى الذاكرة سوف تتبدد وتضيع . انها قد تبعث من جديد لدى أناس آخرين، يغذيها دم آخر . أما ذاكرته ، تلك التى تنتمى الى روحه وجسده ، فانها سوف تتضاءل ، ثم تنطفىء وتخمد .

ومع ذلك ، فان فراشة الليل كانت تفكر فى أن ذلك لا يمكن أن يحدث ، فمن المستحيل أن ينتهى فعلا كل شيء . فحيثما يسقط بطل من الأبطال ، يهب شعب بأكمله ، فمن المستحيل اذن ، من المستحيل أن أموت.

فمتى ، وأين ؟ لست أدرى . وأنت أيضا ، لسوف تذكرنى ، أيها الجسد الرقيق المحبوب . انك سوف تذكرنى دائما ، لأننى طالما أحببتك . لسوف تعاودك ذكراى ، أنت الذى كان البحر يملؤك بالهناء ، والشمس تملؤك بالحياة ، أنت الذى كنت تفعمنى بالحب ...

والآن وأنت توشك أن تنطفىء وتعود الى باطن الأرض ، عليك أن تذكر اننى أحببتك ، وانك لهذا

السبب لن تموت قط . آه لو اننى استطعت ان آخذ يدك فى هذه اللحظة ! انك سوف تحدثنى ، وسوف تتطلع الى .

اننى مكدودة متعبة . فكيف ولماذا انتهى كل شىء على هذه الصورة ؟ كيف ذهب كل شىء بغير أن أستمتع بك فى غروبك ، وبغير أن أتعود على فقدك بالتدريج ؟ لقد غادرتنى فجأة ، فأصبحت فى فراغ هائل الحجم ، وبين احضانى الفراغ والخواء .

اننى اضـــيع فى مهيب الرياح ، فبغيرك لا أمل لى ولا رجاء .

* * *

ظل الأســـقف غارقا فى التفكير لحظة طويلة ، ثم استدار نحو الرجل الذى يتحدث معه وقال :

ـــ هل تعدنى بأنه لن تكون هناك أية اشتباكات ؟

ـــ اننا نعطيك وعد شرف ياصاحب النيافة ، بأننا سوف نعمل من جانبنا على تجنب كل ما من شأنه أن يعكر صـــفو النظام . فاذا وقع شىء من ذلك ، فان الحكومة والبوليس سيكونان هما المسئولان .

ـــ فليكن .. اننى أعطيكم الكنيسة .. وليكن الله فى عوننا .

* * *

أيها الجسد الحبيب المدلل ، الذى ظللت دائما لى، هلا استطعت أن تعود الى أمسية واحدة ، ثم أتركك تذهب عنى ؟

لقد انتزعونى منك على عجل ، فما كنت لأتصور انك ستكون لغيرى قط ...

ولكن ما الذى سيحدث الآن ؟ ان يديك وحدهما ، وهذه الرعدة ، لكم يطول شوقى اليهما ! اننى وحيدة بغيرك ، فلن يكون لى مكان فى أى مكان ، ولن أجد بعد اليوم أى سلوى أو عزاء . اننى سأفقد نفسى بفقدك، لسوف أصبح بحارا يطير فى الفضاء ، أو رياحا تحمل الطيور خلال هجرتها .

ان الوحدة قاتلة ، ولن أتحمل ثقلها

* * *

كان باقيا ربع ساعة على انتصاف الليل .

وفى هذه اللحظة ، دخل القطار الخاص محطة أثينا وهو يطلق صفيرا حادا راح يتردد ، كما لو كان صراخا ينطلق فى ساعة الموت .

وأبطأ القطار من سرعته ، وتوقف ، وتدافع الركاب فى أماكنهم ، لكى يصل كل منهم الى باب عربة البضائع المبطن بالرصاص ، حيث كان جثمان زد .

ورفعت الأختام عن العربة ، وحمل النعش المغطى بباقات الورد وهو ملفوف فى العلم اليونانى حتى عربة

نقل الموتى . وفى لحظة واحدة ، انشـــق الجمهور العريض الى نصفين ، لكى يفسح طريقا يمر منه النائب القتيل .

ووقف الجميع دقيقة صمت ، ثم سمع صوت يجهش بالبكاء ، وعندئذ ارتفعت هتافات تقول :

ـــ زد .. انك لم تمت !

ـــ زد .. انك ستعيش بيننا دائما !

وانفجرت عاصفة من التصفيق، هزت أركان المحطة، وسرعان ما راح الألوف يرددون النشيد الوطنى .

وجاء عامل فوضع لوحة على عربة القطار رقم ز ٤٣٨٣ مكتوب فيها : ممنوع الاقتراب من هذه العربة أو دخولها ، الى أن يتم تطهيرها .

* * *

أخذ الموكب يتقدم فى بطء ، وشعرت الروح بالسرور لمرأى أجساد كثيرة تتولى حراسة جسدها . واذ رأت كل هذه الأجساد من أعلى ، خيل اليها أنها جميعا جسد واحد ملتحم ، تماما كما يحدث عندما تصبح الأجســـاد كتلة واحدة فى صلاة الليل يوم الأحد المقدس ، وقد ارتفع وسطها العلم .

وتغيرت الاتجاهات فى الشوارع ، واخفقت الأنوار حتى تصبح فى مثل ضوء الشموع ، التى أخذت تذوب لدى مروره.وكان رجال البوليس الذين يتولون حراسة

الموكب ، هم انفسهم اولئك الذين يحيطون بالمصلين، وقد وضعوا بنادقهم تحت آباطهم .

انهم ذاهبون به الى كنيسة القديس اليويثر،بالقرب من مقر الأسقفية ، لكى يتركوه هناك حتى يوم الأحد، ويوم الأحد هو عيد البعث . وأخذ الجمهور يزداد ازدحاما حول الميت ، كما لو كان يخشى أن يعود جنود الرومان لاختطافه .

ان كاييف هو السيد الحاضر فى كل مكان . انه يتصل باللاسلكى مع كافة دوريات البوليس ، ويعطيها بعض التعليمات . ولقد شعر بالارتياح لأن عملية نقل الجثمان حتى الكنيسة قد جرت بغير وقوع حوادث ، فرافق بونس بيلات حتى بيته . وفى خلال الطريق ، تحدثا معا عن يوم الأحد ، فقال بيلات :

ـ يجب أن نتخذ اجراءات صارمة .

فأجابه كاييف مؤكدا : ان جميع قوات الأمن ستكون على أهبة الاستعداد ، ومعها القنابل المسيلة للدموع، وقاذفات اللهب ، وستكون جميع هذه الأشياء تحت تصرفك .

فقال بونس بيلات : ولكننى أشعر بالقلق .

وافترق الرجلان فى الساعة الثالثة صباحا ، وتبادل الاثنان تحية المساء ، وأن تكون ليلتهما طيبة ، انتظارا لأحداث يوم الأحد .

الا أن الوقائع أخذت على عاتقها تكذيب هذه الأمنية، اذ لم يقع أى حادث ، ولو أن اليوم كان عيد البعث.

وفكرت الروح فى أن الحادث الوحيد ، انما كان عملية نثر الزهور التى لم يسبق لها مثيل عند دفن أى انسان. لقد كان الربيع كله حاضرا عند دفن زد ، اذ اقتحم المكان من كل ناحية ، فعبر أولا القرى المحيطة بالعاصمة ، ثم احتل مدينة أثينا خلال ثلاث ساعات ، فى قلب قلبها.

وقال الناس :

ـــ لم تبق زهرة واحدة فى أثينا .

ـــ انه لا يموت !

ـــ انه لا يزال حيا !

ـــ لا نريد مزيدا من الدماء !

ـــ انه يعيش .. انه يعيش !

* * *

ان الرومان لم يكن لديهم أى سبب يدعو الى القلق، مع مثل هذه الشعارات . ان زهور القرنفل مهما كان عددها لا يحصى ، ومهما كان احمرارها ، لايمكن استخدامها فى الحرب . وكذلك فى الثورة .

ومع ذلك فانهم كانوا يضعون أيديهم فوق الزناد ، ومع كل المرارة التى شعرت بها الروح ، فانها وجدت وسيلة للخلاص . ولم يكن ذلك لأن هذه الجماهير قد غطت الشوارع والميادين حول دار الأسقفية ، وانما لأن كل هذه الجماهير لم تكن سوى كتلة واحدة ، وجسدا واحدا . ولو أن واحدا قد غاب عنها ، لما

غير ذلك من شيء . ولو غاب عشرة ، أو مائة ، أو الف ، فان الكتلة التى يتكون منها هذا الشعب الذى جاء لكى يعيد الحياة الى بطله ، ما كانت لتنفض أو تتبدد .

كان هذا هو عزاؤها .

ومادام جسدها هو الذى وجد فجأة بين كل هذه الذرات الانسانية ، فلا بأس بذلك . لقد فقدت واحدا ، ولكن الآخرين قد كسبوا مائة . ولقد تجسدت فكرة السلام التى ضحى هذا الجسد بنفسه فى سبيلها فجأة فى الفضاء ، وكان نفس الحب الذى انعقدت عليه قلوب أولئك الذين ملأوا الشوارع ، هو الذى استقر فى الأعماق . ان البحر لا يمكن نزحه ، وهو ملىء بالثروات التى لم يكشف عنها أحد بعد .

ومن الطبيعى أن مياه هذا البحر ما كانت لتجف ، لو أخذت منها حفنة ، أو قل عدد القوارب التى فيه واحدا . ان البحر هو ذلك الشىء الذى لا ينضب قط.

* * *

وهكذا راحت الروح بين سمائين ، تتابع أحداث عيد البعث .

لقد كانت تعرف جيدا ان الجسد لم يمت ، طالما أن كل هذا الشعب يتدافع حول النعش الذى يحتويه. وهى تعلم كذلك أن الخلود هو أن يبقى الانسان فى

ذاكرة الآخرين . ولقد كانت الصيحة الوحيدة التي تسمع على طول الطريق هي :

ـــ انه يعيش !

لم يكن ليستطيع قبول فكرة أن الموت قد اتخذ مكانا له داخل الراى ، فالموت لا يجوز الا على أولئك الذين يكتشفون ذات يوم ، وفى ذهول ، ان هذه الحياة قد انتهت . انهم يشـــعرون عندئذ بالهلع ، ويرحـــون يشـــكون ، ثم يذهبون الى العبادات النفســـية لكى يستعيدوا توازنهم .

والموت لا وجود له ، عندما يهب شعب بأكمله ، وتقاس عظمته بمقدار أعماله .

* * *

كان الشباب على رأس الجنازة ، يحملون باقات الزهور . وكانت كل باقة يحملها غلامان وفتاتان .

وجاء من وراء الشباب أعضاء لجنة السلام وجمعية برتران راسل ، يحملون زهور القرنفل والورود .

وعلى بعد قليل منهم جاءت موسيقات بلدية مدينة بيريه . وحمل شباب فرع جمعية برتران راسل فى هذه المدينة علما كبيرا ، عليه رمز وشعار نزع السلاح. وتقدم رفاق زد فى الرياضة عربة الموتى ، وهم يحملون الكئوس التى حصل عليها فى الملاعب . وكان الذين ملأوا النوافذ والشرفات على طول طـــريق الموكب

ينثرون الزهور عليه ، بينما تجمع المواطنون من كافة الطبقات وكل الأعمار على جانبى طرق المدينة وهم يهتفون :

ـــ عاش زد ! لا نريد مزيدا من الدماء ! السلام الديمقراطية !

وتردد هذا الهتاف فى كل مكان حتى المقابر .

***

وعندما وصل الموكب الى هناك ، توقفت الروح وقد تملكها الهم والقلق ، كما لو كانت طائرة من الورق توقفت فى سمتها ، عندما تبدو فجأة تثبت مكانها كالبقعة التى لا تتحرك فى الشمس ، وقد دفعتها الى أعلى طبقات الهواء ، بينما يقف الطفل على الأرض ، وفى يديه الخيط ، الذى يرسم خطا مقوسا ينعكس على المياه العميقة ، بغير أن يبدو أنه قد وصل الأعماق الأمر الذى يثبت أن الأعلى والأسفل ليسا الا أمرا واحدا .

وعندما وصلت الروح الى هناك ، توقفت فى انتظار انزال الجسد الى القبر ، حتى تستطيع هى أن تصعد الى السماء ، ولكى تتلقى الأرض هذا الجزاء منها ، حتى يمكنها أن تطير الى العلا . والواقع أن الاثنين ، أعلى وأسفل ، أو الجسد والروح ، ليسا الا شيئا واحدا .

وقد اضطرت فى توقفها فوق هذه الكتلة الهائلة من البشر ، أن تهبط قليلا لحظة ، لكى تمعن النظر فى تلك المرأة العجوز التى ارتدت السواد ، والتى انطلقت من قلب الجموع وهى تمزق شعر رأسها كما لو كانت قد مست من الجنون ، وراحت تصرخ فى ذات الوقت الذى كانوا يوارون الجثمان فيه قائلة

— انهض يا زد .. اننا فى انتظارك !

واضطربت الجموع لهذا الصراخ ، فقد أعربت هذه المرأة بكلماتها البسيطة عن أن شعبا بأكمله ، يترقب هذه اللحظة المحددة . وتنهدت الروح ، اذ كانت تعرف أن ما ترجوه هذه المرأة العجوز لن يتحقق ، لأن الجسد لم يكن نائما ، وانما قد تصـــدع وتحلل ، وفقـــد كل مقوماته ، كالبيت الذى انهدم بأكمله .

* * *

ان تلك الحجرات التى عاشا فيها معا ، هى وهو، بنوافذها التى تطل على الشمس وعلى الرياح ، تلك الحجرات الفسيحة التى لم يكن فيها ما يشوبها ، هذا البيت ، جسده ، يهبط الآن الى الأرض .

لقد رأيا الشمس تشرق، وهما معا فى تلك الحجرات، كل صباح فى أيام كثيرة ، بين أجساد البيوت المجاورة ، فى الغابة التى أنشأتها المرأة التى اتحدث معه طوال الليـــل .

وفى هذا المكان، كانت الروح قد نقلت بيتها ، واقامت عشها ، ذلك البيت الذى عبدته هى نفســـها وعبده معها الآخرون . ولكن لم يبق مكانه الآن الا الريح .

لقد كان البيت يشغل حيزا محدودا من الهواء ، تلتحم فيه الذرات من جديد . ولقد أظلم البيت ، وتهدم وغار فى الأرض التى خرجت منها المواد الأولية التى تكون منها .

ان هذه المواد المتهدمة لا يريدها أحد الآن ، فيجب أن تعود الى باطن الأرض . وقد أحزن الروح أن ترى هذه الأرض وهى تستعيد هذا البيت ، وهذا المأوى ، وهـــذه الحجرات الفســـيحة ، بنوافذها التى كانت متفتحة .

* * *

وقالت الروح فى ألم :

ـــ فى هذه الساعة التى تنسيع منى فيها ، هـــذه الساعة الأخيرة التى لن أراك بعدها قط ، والتى لن أربت بعدها قط على هيكلك الحبيب ، ولن أسمع بعدها صوتك ، أو ألمس بعدها ذراعيك ، فى هذه اللحظة التى أفقدك فيها ، لا تقل ان حياتنا معا كانت سرابا. فان هذه الأرض التى غفـــرت فاها فجـــأة لتحتويك وتمتصك ، اذا بها تحتوينى وتمتصنى كذلك .

اننى انهض رغما عنى ، لكى أذهب الى مكان أكثر ارتفاعا ، اذ قدر لنا أن نفقد بعضنا البعض .

فيا سفن الشمال التى لم تتركى وراءك صـــدى لمرورك ، ويا أيتها الحرائق التى أشتعلت بغير أن تخلفى أى رماد . وأنت يا بيتى حيث كنت أجد الدفء، ويا من كنت تعيد الى الثقة فى الحياة ، يا من كنت ساقى والعمود الذى كان يسند عالمى ، انك الآن يدان من النور ، وعينان ليس فيهما خيالى . فلماذا ... لماذا تهجرنى ، فى كل هذا العذاب ، وكل هذا الألم، وكل هذا الارهاق !

يا ساعة السماء التى توقفت ، اننى أنهض وأرتفع بغير توقف بالرغم منى ، كلما هبطت أنت ، بالرغم منك. ولن يكون هناك أى أمل فى أن أعود فأعثر عليك ، فاننى أعرف ذلك فلا أريد أن أرحل ، وانما أود البقاء على الأقل الى جانب الأشياء التى أحببتها ، وحيث عشنا معا ، الى جـــوار اللوحات التى كانت تزين بيتنا ، والتماثيل التى كانت ملعقة فوق حوائطنا ، وبالقرب من الطرق التى كنت تمر منها .

ولكن ذلك أمر مستحيل ، فاننى أنهض وأرتفع ، انى أرحل ، اننى أضيع فى الفضاء ، بغير أن أعرف ماذا أقول لك ، يابيتى ويا حبى ، بأنى قد أفتقدتك بشكل رهيب ، وأنه ليس هناك أى خمر يمكن أن يجعلنى أنســـاك .

* * *

أترانى قد عرفتك ، أم اننى لم أعرفك ؟

لو أننى كنت قد عرفت خير ما تكون المعرفة ، لما تركت هكذا تنفلت منى . اننى أهذى ، لانى لا أكاد أبصر جيدا ما يحدث تحتى ، ولم أعد أميز ما يدور فى الأرض ، أو الجمهور الذى تجمع من حولك ليحييك فى رحيلك ، والذى يبدو لى كبقعة من الحبر الأسود ، أو وصمة على خريطة الدنيا ، هذه الدنيا التى أغادرها ولا أبغى مغادرتها ، اذ ما أحلى سنابل القمح قبل الحصاد ، وما أروع الجياد عندما تربت عليها !

ان هذه الجياد تشبه سنابل القمح ، وهذا الفم الذى خلق للقبلات ، انك تحجبه عنى . ومن أجل ذلك فاننى أعيب ذلك عليك ، بل اننى أبغضك ، أيها الجسد الذى قتلوك .

انك لا شىء ، وكالبيت الذى طرد أصحابه منه ، فلم يستطيع أن يدفع عنهم غائلة الزمن . أنت أيها الجسد شىء تبعث على السخرية ، لأنك تذهب هكذا بغير شعور من الندم ، وبغير أن تنبىء المنبت الذى خرجت منه . وأنت أحمق أيها الجسد ، بل انك لم تدرك اننى بدورى قد لا تطيق فراقى ، ولا تعرف أنى كاليتيم بدونك .

فما الذى جعلنى أنفق كل هذا العمر الغالى معك، ولماذا لم أفكر فى الذهاب الى أى مكان آخر ، تطول اقامتى فيه ؟ انك لا تدرى نعمة عدم الوجود قط ، أو كم هو مروع التوقف عن الوجود فى ذات اللحظة التى تكون فيها الرغبة فى الوجود على أشد ما تكون .

اننى لم اعد ارى شيئا تحتى ، كل ما هناك صورة صنعت من الماء والتراب ، ولم اعد ادرى الى اين اذهب ، تماما كالبالونة التى قطع الخيط الذى يمسك بها ، فتضل سبيلها فى الفضاء .

ترى الى اين اذهب ؟

خبرنى لماذا لم اعد امسك بيدك ، ولماذا لا ارى ابتسامتك ؟

اين انت .. وماذا تصنع ؟ لكم اود ان اعرف كيف تضيع وتتبدد ، وما هو الشعور الذى تحس به وانت فى هذا الظلام ، وانت داخل هذه الحفرة التى فغرت فاها من تحتك !

اى رعدة استولت عليك ؟

لكم امقتك ايها الجسد ! لقد كنت امقتك دائمـــا ، وامقتك الآن لانك تخليت عنى وهجرتنى ، ولانك اخلفت موعدى فى هذا المساء .

والآن .. ها انا اختفى واتبدد .

ولقد نسيتك تماما ، فمن تكون ؟

اننى لا اكاد اذكر شيئا عنك ، كل ما هناك انك ..

كلا .. لا يمكن ان يكون من اذكره هو انت ، فهل التقينا قبل ذلك على الأرض ؟

لست أدرى عن ذلك شيئا ، ولا أدرك شيئا مما تقول . ولكم أتخفف وأنا أضيع وأزول . فلقد خنتنى أيها الجسد ، وتركتنى بغير مكان آوى اليه ، ولذلك فاننى أهجرك وأنساك وأتخلى عنك ، فقد استحققت ذلك .

لقد ضعنا الآن معا !

* * *

التوزيع فى ج. م. ع. مؤسسة الأهرام
التوزيع فى جميع الدول العربيـــة
الشركة الشرقية للنشر والتوزيع — بيروت لبنان

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٥ / ٤٩٣٧

زد

١٥ قرشا
فى : ج.م.ع

ذات صباح أحد أيام شهر مايو ١٩٦٣ ، بدت جميع جدران أثينا مغطاة بحرف (زد) .

فما الذى كان يعنيه ذلك ؟

لقد سقط الأمبراكيس ، أحد النواب اليساريين فى اليونان ، قبل ذلك بقليل قتيلا ، فى وضح النهار ، وتحت سمع البوليس وبصره .